بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القـــرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : سعيد بن حسين بن مفرح القحطاني كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراه في تخصص : العقيدة

عنوان الأطروحة : ((الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية - عرض ونقد في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٦ / ٢ / ١٤١٨هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم : د/ أحمد سعد حمدان الغامدي	الاسم د/ محمود أحمد خفاجي	الاسم : د/ علي بن حسن بن ناصر ألمعي
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع : ....

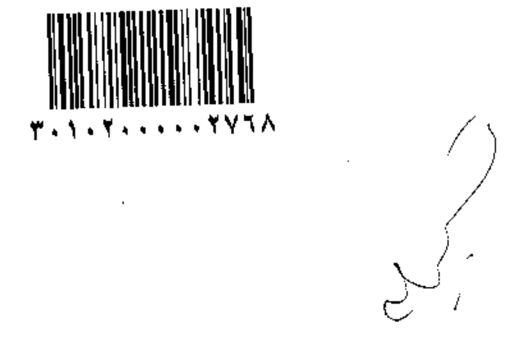
يعتمد

رئيس قسم العقيدة

الاسم : د / أحمد بن عطية الزهراني

التوقيع:

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية

عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في العقيدة

إعداد الطالب
سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني



إشراف الأستاذ الدكتور
أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي

الجزء الثاني

١٤١٧هـ

المبحـــث الخامـــس
الحــــوض

الحوض في اللغة مجتمع الماء والجمع أحواض وحياض. ولما ظهر لأم إسماعيل ماء زمزم جعلت تحوّضه أي تجعل له حوضاً يجتمع فيه الماء(١).

وشرعاً: ما أثبته الكتاب والسنة وإجماع السلف من وجود حوض يجمع الماء النازل من نهر الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يذكر أن عقيدة أهل السنة هي الإيمان بوجود حوض النبي ﷺ. فيقول:

«وأهل السنة يعتقدون أن لنبينا محمد ﷺ حوضاً في القيامة يسقى منه المؤمنون دون الكافرين ويكون ذلك بعد جواز الصراط قبل دخول الجنة من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق على عدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر أصله في الجنة وفرعه في الموقف»(٢).

وقد اشتمل كلامه رحمه الله عى عدة مسائل:

١ ـ إثبات الحوض يوم القيامة.

٢ ـ أنه يشرب منه المؤمنون دون الكافرين.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٧/ ١٤١ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ٤٦١.

(٢) الغنية للجيلاني ١/ ٧١.

٣ ـ أن مكانه بعد تجاوز الصراط وهو ما اختلف فيه أهل العلم حيث ذهب بعضهم إلى أن الحوض قبل الصراط، وبعضهم يرى رأي الشيخ عبدالقادر في أن الحوض بعد الصراط. وقد عرض ابن حجر أدلة الفريقين في فتح الباري فقال: «إيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة وبعد نصب الصراط إشارة منه إلى أن الورود على الحوض بعد نصب الصراط والمرور عليه وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط أن الذي يمر على الصراط إلى أن يصل إلى الحوض قد نجا من النار فكيف يرد إليها وهو ما رجحه القرطبي في التذكرة»[1]. وبعد ذكر الأدلة رجح ابن حجر أن الحوض يكون قبل المرور على الصراط.

٤ ـ صفات الحوض وأن عرضه مسيرة شهر وماءه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأن أباريقه عدد نجوم السماء وهذه الصفات أخذها من النصوص التي وردت لإثبات الحوض.

٥ ـ كون مائه من الكوثر.

وهذه المسائل الخمس مما اتفق عليها أهل السنة والجماعة ماعدا المسألة الثالثة فقد أشرت إلى الخلاف فيها وترجيح القرطبي وابن حجر أن الحوض قبل الصراط أما المسائل الأربع الأخرى فقد وردت أقوال للعلماء مثبتة لها ومنها:

١ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله: والإيمان بالحوض وأن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة ترد عليه أمته عرضه مثل طوله مسيرة شهر آنيته كعدد نجوم السماء على ما صحت به الأخبار من غير

(١) فتح الباري لابن حجر ١١/٤٧٤.

وجه[١].

٢ ـ نقل الآجري أن أنس بن مالك رضي الله عنه دخل على جماعة وهم يتذاكرون الحوض فلما رأوني طلعت عليهم قالوا قد جاءكم أنس فقالوا: ياأنس ما تقول في الحوض فقلت: والله ما شعرت أني أعيش حتى أرى أمثالكم تشكون في الحوض لقد تركت عجائز بالمدينة ما تصلِّ واحدة منهن صلاة إلا سألت ربها عزوجل أن يوردها حوض محمد ﷺ قال محمد بن الحسين ـ أي الآجري ـ ألا ترون إلى أنس بن مالك رضي الله عنه يتعجب ممن يشك في الحوض إذ كان عنده أن الحوض مما يؤمن به الخاصة والعامة حتى العجائز يسألن الله عزوجل أن يسقيهن من حوضه ﷺ فنعوذ بالله ممن لا يؤمن بالحوض ويكذب به وفيما ذكرناه من التصديق بالحوض الذي أعطاه الله عزوجل نبينا محمد ﷺ كفاية عن الإكثار[٢].

٣ ـ وقال ابن عبدالبر: الأحاديث في حوضه ﷺ متواترة صحيحة ثابتة كثيرة والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب والإقرار به عند الجماعة لازم وقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة وأهل الحق على التصديق بما جاء عنه في ذلك ﷺ. إلى أن قال رحمه الله: والآثار في الحوض أكثر من أن تحصى وأصح ما ينقل ويروى[٣].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات الحوض بالكتاب والسنة كما يلي:

---

(١) طبقات الحنابلة ١/٢٤٢.

(٢) الشريعة للآجري ٣٥٧.

(٣) التمهيد لابن عبدالبر ٢/٢٩١.

أولاً: من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾[1] روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه مبتسماً فقلت: ما أضحكك يارسول الله؟ فقال: «**أنزلت عليَّ آنفاً سورة فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي خيراً كثيراً هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[2].

وهذه الآية الكريمة تثبت أمرين هما:

الأول: الكوثر وهو نهر من أنهار الجنة وُعِد به رسول الله ﷺ وخصَّ به دون غيره.

الثاني: إثبات الحوض وهو مجمع مصب ماء نهر الكوثر في عرصات القيامة. يرد عليه من تمسك بسنته صلوات الله وسلامه عليه ليشرب شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

---

(١) الكوثر: ١.

(٢) رواه مسلم ح٤٠٠.

ثانياً: من السنة المطهرة:

أما إثبات حوض النبي ﷺ من السنة فقد دلَّت عليه أحاديث كثيرة تبلغ في مجموعها مبلغ التواتر رواها عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم، يقول ابن حجر رحمه الله في الفتح نقلاً عن القرطبي في المفهم: مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك مما صح نقله واشتهرت رواته ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف[(١)].

ومن هذه الأحاديث ما يلي:

١ ـ حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم»**[(٢)].

٢ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»**[(٣)].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١١/ ٤٧٥.

(٢) رواه البخاري ح٦٥٨٣ ومسلم ح٢٢٩٠.

(٣) رواه البخاري ح٦٥٨٠ ومسلم ح٢٣٠٣.

٣ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليردن عليَّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[١].

ووجه الاستدلال في هذه الأحاديث واضح في إثبات أن للنبي ﷺ حوضاً يوم القيامة نسأل الله أن نكون ممن يرد عليه ويشرب منه بمنه وكرمه.

(١) رواه البخاري ح٦٥٨٢ ومسلم ح٢٣٠٤.

المبحـــث الســـادس
الصــــراط

الصراط في اللغة: الطريق الواضح(١).

وفي الشرع: جسر منصوب على متن جهنم بين الجنة وأرض المحشر عليه يمر الناس على قدر أعمالهم(٢).

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يؤكد على وجوب الإيمان به فيقول: «**والإيمان بالصراط على جهنم واجب وهو جسر ممدود على متن جهنم يأخذ من يشاء الله إلى النار ويجوز من يشاء ويسقط في جهنم من يشاء، ولهم في تلك الأحوال أنوار على قدر أعمالهم. فهم بين ماشٍ وساعٍ وراكب وزحف وسحب**»(٣).

وتقسيم الشيخ عبدالقادر الجيلاني الذين يؤخذون إلى النار إلى قسمين إذا أراد به أن المشركين يؤخذون إلى النار قبل الصراط أن هذا قسم ثم الذين يؤخذون من فوق الصراط فيسقطون في النار وهذا قسم ثانٍ فالتقسيم صحيح.

وأما إذا أراد أن الساقطين من فوق الجسر إلى النار أنهم قسمان فهذا غير واضح، أما الذين أشار إليهم بأن لهم أنوار على قدر أعمالهم فإنه يعني بهم أولئك الذين لديهم أعمال صالحة حالت بينهم وبين السقوط في جهنم وتمكنوا بها من السير على الصراط ولكن

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٧/ ٣٤٠ ومختار الصحاح للرازي ١٥١.

(٢) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ١٨٩.

(٣) الغنية للجيلاني ١/ ٧٠.

سيرهم يتفاوت بحسب أعمالهم.

وما ذهب إليه الشيخ عبدالقادر الجيلاني من وجوب الإيمان بالصراط هو مذهب أهل الحق من سلف هذه الأمة وهذا طرف من بعض أقوال أئمتهم وعلمائهم:

١ ـ قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: يوضع الصراط يوم القيامة وله حد كحد الموسى فتقول الملائكة يارب من يمر على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي فيقولون: ياربنا ما عبدناك حق عبادتك[١].

٢ ـ وقال الإمام أحمد بن حنبل: والصراط حق يوضع على شفير جهنم ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك نسأل الله عزوجل السلامة في الجواز[٢].

٣ ـ وقال الإمام ابن بطة العكبري: ثم الإيمان بالبعث والصراط وشعار المؤمنين يومئذٍ سلم سلم والصراط كما جاء في الحديث إنه أحدُّ من السيف وأدقُّ من الشعرة[٣].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان بالصراط:

أولاً: بالإشارة الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[٤].

ثانياً: من السنة فقد وردت عدة أحاديث تضمنت ذكر الصراط

(١) ذكره اللالكائي انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم ٢٢٢١.
(٢) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١/٢٧.
(٣) الشرح والإبانة لابن بطة العكبري ص٢٢١.
(٤) مريم: ٧١ـ٧٢.

وصفاته وصفة المرور عليه. منها:

١ - حديث حذيفة بن اليمان الطويل، وفيه: «**فيأتون محمداً ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم ترو إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب[1] معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه فمخدوش ناج ومكدوس في النار**»[2].

٢ - حديث أبي هريرة وفيه، قوله ﷺ: «**ويضرب الجسر بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم في ذلك اليوم إلا الرسل، ودعوة الرسل يومئذٍ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان[3] هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يارسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلاَّ الله عزوجل تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم: المخردل ثم ينجو.. إلخ الحديث**»[4].

٣ - حديث أبوسعيد الخدري الطويل وفيه أن النبي ﷺ قال: «**ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون: اللهم سلم**

---

(١) كلاليب جمع كلوب وهو حديدة معوجة الرأس/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/ ١٩٥.

(٢) رواه مسلم ح١٩٥.

(٣) السعدان نبت ذو شوك وهو من جيد مراعي الإبل تسمن عليه/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/ ٣٦٧.

(٤) رواه البخاري ح٦٥٧٣ ومسلم ح١٨٢.

سلم. قيل يارسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلة[١] فيه خطاطيف وكلاليب وحسك[٢] تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمن كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب[٣] فناجٍ مسلم ومخدوش مسلم ومكدوس على وجهه في النار»[٤].

(١) الدحض الزَّلَق/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/ ١٠٤.

(٢) الحسك جمع حسكة وهو شوكة صلبة معروفة/ المصدر السابق ١/ ٣٨٦.

(٣) الركاب الرواحل من الإبل/ المصدر السابق ٢/ ٢٥٦.

(٤) رواه مسلم ح١٨٣.

المبحث السابع
الميزان

الميزان في اللغة: اسم للآلة التي توزن بها الأشياء والوزن هو معرفة قدر الشيء[١].

وفي الشرع: هو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به السيئات والحسنات[٢].

ووزن الأعمال يوم القيامة مما وردت به النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة المطهرة والشيخ عبدالقادر الجيلاني يذكر أن الإيمان به هو عقيدة أهل السنة، فيقول:

«ويعتقد أهل السنة أن لله تعالى ميزاناً يزن فيه الحسنات والسيئات يوم القيامة له كفتان ولسان. وقد أنكرت المعتزلة مع المرجئة والخوارج ذلك فقالت: إن معنى الميزان: العدل دون موازنة الأعمال وفي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تكذيبهم قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾[٤] والعدل لا يوصف بالخفة

---

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٥٢٢.

(٢) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ١٨٤.

(٣) الأنبياء: ٤٧.

(٤) القارعة: ٦ ـ ٩.

والثقل[١].

وبتأمل كلام الشيخ عبدالقادر نجد أنه تضمن عدة أمور:

١ ـ إثبات وتقرير الإيمان بالميزان.
٢ ـ أن الموزون يوم القيامة هو الحسنات والسيئات التي يعملها العباد في هذه الحياة الدنيا.
٣ ـ أن المعتزلة والمرجئة والخوارج قد أنكروا الميزان وقالوا: بأنه بمعنى العدل.
٤ ـ أن الميزان له كفتان ولسان.

فأما ما ذهب إليه الشيخ عبدالقادر من إثبات الميزان فهو عقيدة أهل السنة والجماعة حيث يثبتون أن الله ينصب الميزان يوم القيامة لوزن حسنات وسيئات العباد إظهاراً للعدل وهذه بعض أقوالهم.

١ ـ قال الإمام أحمد: والميزان حق توزن به الحسنات والسيئات كما شاء أن توزن[٢].
٢ ـ عقد الآجري باباً في كتابه الشريعة بعنوان الإيمان بالميزان وأنه حق يوزن به الحسنات والسيئات ثم ساق عدداً كبيراً من الأحاديث والآثار التي تثبت الإيمان بالميزان[٣].
٣ ـ قال ابن بطة العكبري: وقد اتفق أهل العلم بالأخبار والعلماء والزهاد والعباد في جميع الأمصار أن الإيمان بذلك واجب لازم[٤].

---

(١) الفنية للجيلاني ١/ ٧٢.
(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٢٧.
(٣) الشريعة للآجري ٣٨٢.
(٤) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة العكبري ٢٢٣.

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات الميزان بما يلي:

أولاً: من الكتاب الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[(١)].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[(٢)].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾[(٣)].

ووجه الاستدلال في هذه الآيات الكريمة ظاهر في إثبات الإيمان بالميزان كما قرر ذلك علماء التفسير[(٤)].

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»**[(٥)].

٢ ـ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ نائماً ذات يوم ورأسه في حجري فبكيت فقطرت دموعي على خده

(١) الأنبياء: ٤٧.

(٢) الأعراف: ٨،٩.

(٣) القارعة: ٦ ـ ٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٨/ ١٢٢ و١٧/ ٣٣.

(٥) رواه البخاري ح٦٤٠٦ ومسلم ح٢٦٩٤.

فانتبه رسول الله ﷺ فقال: مالك؟ قلت: ذكرت القيامة وأهوالها فهل يذكر أحدٌ أحداً يومئذٍ فقال ﷺ: «أما في ثلاثة مواطن فلا، عند الميزان حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أن صحيفته توضع في يمينه أو شماله وعلى الصراط»[1].

٣ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «أنا فاعل» قلت: يارسول الله فأين أطلبك؟ قال: «اطلبني أول ما تطلبني على الصراط»، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «فاطلبني عند الميزان»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطيء هذه الثلاث المواطن»[2].

---

(١) رواه أبوداود ح٤٧٥٥ والإمام أحمد في المسند ٦/ ١١٠ والحاكم ٤/٥٧٨ وقال صحيح الإسناد على شرط الشيخين.

(٢) رواه الترمذي ح٢٥٦٣ وقال عنه الألباني في صحيح الترمذي بأنه صحيح ح١٩٨١.

ثانياً: ما ذكره الشيخ عبدالقادر أن الموزون يوم القيامة هو الحسنات والسيئات التي يعملها العباد مما اختلف فيه أهل العلم على أقوال:

الأول: أن الذي يوزن هي الأعمال نفسها وأنها توضع في الميزان حيث تأتي الأعمال الحسنة على صورة حسنة، والأعمال السيئة على صورة قبيحة، ودليل أصحاب هذا القول حديث أبي هريرة الصحيح وهو قوله ﷺ: «**كلمتان حبيتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[١] وقد وردت نصوص كثيرة تدل على أن الأعمال تأتي يوم القيامة على هيئة أشكال تحاجان عن صاحبهما فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه واقرأوا الزهراوين سورة البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان**[٢] **أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**». قال معاوية ـ يعني ابن سلام[٣] ـ بلغني أن البطلة السحرة[٤] وهذا القول هو ما ذهب إليه الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما سبق بيانه.

الثاني: أن الذي يوزن هو العامل نفسه وأن العباد يوزنون يوم

---

(١) رواه البخاري ح٦٤٠٦ ومسلم ح٢٦٩٤.

(٢) قال النووي: الغمامة كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيرها قال العلماء المراد أن ثوابهما يأتي كغمامة/ شرح صحيح مسلم للنووي ٣/٣٣٨.

(٣) معاوية ابن الإمام أبي سلام الحبشي العربي الشامي وثقه النسائي وغيره وكان من أئمة الدين وقال يحيى بن معين أعده محدث أهل الشام في زمانه وقال عنه أحمد بن حنبل ثقة مات سنة ١٧٠هـ سير أعلام النبلاء ٧/٣٩٧.

(٤) رواه مسلم ح٨٠٤.

القيامة فيثقلون أو يخفون بقدر إيمانهم لا بضخامة أجسامهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: اقرؤا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾[(١)]»[(٢)].

الثالث: أن الموزون صحائف الأعمال فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلاً كل سجل مثل مدَّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ يقول: لا يارب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب، فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة ما هذه السجلات فقال: فإنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء»[(٣)].

وقد رجَّح القرطبي هذا القول فقال: والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة وبها تخف. قال ابن عمر: توزن صحائف الأعمال وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلاً على كثرة أعماله[(٤)].

---

(١) سورة الكهف: ١٠٥.

(٢) رواه البخاري ح٤٧٢٩.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٧٣ بلفظ قريب منه ورواه الترمذي ح٢٧٨٩ وابن ماجه ح٤٣٠٠ وقال عنه الألباني بأنه حديث صحيح وله سند آخر بمعناه انظر: صحيح الترمذي للألباني ٢/ ٣٣٣.

(٤) التذكرة للقرطبي ٣١٣.

كما مال إلى هذا القول السفاريني فقال: «والحق أن الموزون صحائف الأعمال وصححه ابن عبدالبر وغيرهما وذهب إليه جمهور من المفسرين»[(١)].

ويمكن الجمع بين ما دلت عليه النصوص التي أوردها أصحاب كل قول بالقول بأن الذي يوزن هو العامل وعمله وصحف أعماله وهو ما رجحه الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله. بعد أن أضاف قولاً رابعاً هو بمعنى القول الأول حيث يقول:

والذي استظهر من النصوص والله أعلم أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها ويدل لذلك ما رواه أحمد رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ قال: قال رسول الله ﷺ: توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان قال: فيبعث به إلى النار قال فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن عزوجل يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل الميزان[(٢)] فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن ولله الحمد والمنة[(٣)].

ثالثاً: قول الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ بأن المعتزلة

---

(١) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/١٨٧.

(٢) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٣) معارج القبول لحافظ الحكمي ٢/٨٤٨.

والمرجئة والخوارج قد أنكروا الميزان وقالوا بأنه بمعنى العدل.

فأما المعتزلة فقد نقل الأيجي[١] في المواقف أنهم ينكرون الميزان لأن الأعمال أعراض لا يمكن وزنها[٢].

ولكن القاضي عبدالجبار في شرح الأصول الخمسة يقول: «ولم يُرِد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارف بيننا دون العدل وغيره على ما يقول بعض الناس، وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز يبين ذلك ويوضحه أنه لو كان الميزان إنما هو العدل لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين»[٣].

ومعنى كلام القاضي عبدالجبار أنه يثبت الميزان على حقيقته وذلك يدل على أن المعتزلة لا يقولون بأجمعهم بأن الميزان هو العدل كما ذكر الأيجي وهو ما ذكره الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما سبق بيانه.

وأما المرجئة فلم نجد لهم قولاً في إنكار الميزان وإنما النص الوارد عنهم أنهم يثبتون الوزن يوم القيامة فقد نقل أبوالحسن الأشعري اختلافهم في الميزان على مقالين: إذ قال قائلون منهم: الإيمان يحبط عقاب الفسق لأنه أوزن منه وإن الله لا يعذِّب موحداً وهذا قول مقاتل بن سليمان.

وقال قائلون منهم بتجويز عذاب الموحدين وأن الله يوازن

---

(١) عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار الإيجي عالم بالأصول والمعاني والعربية له مصنفات منها المواقف في علم الكلام توفي سنة ٧٥٦هـ/ الأعلام للزركلي ٣/ ٢٩٥.

(٢) المواقف للإيجي ٣٨٤.

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ٧٣٥.

حسناتهم بسيئاتهم فإن رجحت حسناتهم أدخلهم الجنة، وإن رجحت سيئاتهم كان له أن يعذبهم وله أن يتفضل عليهم وإن لم ترجح حسناتهم على سيئاتهم ولا رجحت سيئاتهم على حسناتهم تفضل عليهم بالجنة»[1].

أما الخوارج فلم أجد فيما بين يدي من كتب الفرق من نسب إليهم القول بإنكار الميزان ولعل الشيخ عبدالقادر الجيلاني نسبه إليهم بناءً أصلهم بأن صاحب الكبيرة كافر ومخلد في النار وعلى هذا فلا معنى لوزن حسناته وسيئاته والله أعلم.

رابعاً: كون الميزان له كفتان ولسان هذا ما قرره الشيخ عبدالقادر ولكن في ذلك نظر فقد تتبعت الأحاديث والآثار التي وردت في ذكر الميزان فلم أجد ذكر اللسان الذي أشار إليه الشيخ عبدالقادر أما الكفتان فقد جاء ذكرهما في حديث ليس في الصحيحين وهو ما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مدَّ البصر ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يارب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يارب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فيقول: أحضروه فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في**

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/ ١٥١.

كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»[١].

فإذا صح هذا الحديث فلعله يشهد لذلك إلا أنني أود الإشارة إلى أن محاولة إخضاع الغيبيات لأفهام البشر بغير دليل شرعي صحيح. من السلبيات التي وقع فيها بعض أهل السنة انطلاقاً من مقصدهم النبيل وهو الإثبات وعدم التأويل والرد على المعطلة ولكن المغالاة في ذلك بغير دليل ربما أوقع في سلبية التكييف أو التشبيه وسواء كان ذلك في صفات الباري سبحانه أو في أفعاله يوم القيامة ومنها وزن الأعمال فإن المعطلة كما أسلفنا يقولون بأن معنى الوزن أي العدل نافين بذلك حقيقة الوزن مما دفع ببعض أهل السنة إلى مقابلتهم بإثبات الميزان على الوجه الحقيقي المعروف للناس وأن له لسان وكفتان وهذا تكييف بغير دليل إذ لا يلزم من وجود الميزان وجود كفتين ولسان فقد شاهدنا في حياتنا المعاصرة موازين دقيقة من غير كفتين ولا لسان وهي موازين درجات الحرارة وضغط الدم، وموازين الذهب الألكترونية وغيرها. والله سبحانه قادر على إيجاد موازين يوم القيامة لوزن الأعمال من غير كفتين أو لسان والله أعلم.

---

(١) سبق تخريجه ص٣٦٩.

المبحث الثامن

الجنة والنار

الجنة هي الدار التي أعدَّها الله لعباده المؤمنين الخاضعين لشريعته والمتبعين لرسله وهي دار النعيم والثواب المقيم أعدَّ الله فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[(١)] ومن دخلها فقد فاز الفوز العظيم وربح الربح الذي ليس بعده خسارة، يقول عزوجل: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[(٢)].

والنار هي الدار التي أعدَّها الله للكافرين به المكذبين لرسله المتمردين على شريعته فهي الخزي الأكبر والخسران العظيم يقول عزوجل: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾[(٣)] أعدَّ الله فيها من العذاب والنكال ما لا تتصوره العقول يقول الله عزوجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[(٤)].

والإيمان بالجنة والنار من أهم قضايا الإيمان باليوم الآخر الذي

---

(١) السجدة: ١٧.
(٢) آل عمران: ١٨٥.
(٣) التوبة: ٦٣.
(٤) الزمر: ٤٧.

هو أحد أركان الإيمان مما لا يتم الإيمان إلا بها.

وقد تحدث الشيخ عبدالقادر الجيلاني عن الجنة والنار فقال:

«ويعتقد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان وهما داران أعدهما الله تعالى إحداهما للنعيم والثواب لأهل الطاعة والإيمان والأخرى للعقاب والنكال لأهل المعاصي والطغيان وهما منذ خلقهما الله تعالى باقيتان لا تفنيان أبداً. وهي الجنة التي كان فيها آدم وحواء عليهما السلام، وإبليس اللعين ثم أخرجا منها للقصة المشهورة. وقد أنكرت المعتزلة ذلك فأما الجنة فلا يدخلونها وأما النار فلعمري هم فيها داخلون مخلدون لأنكارهم ولحكمهم بذلك للمؤمن الموحد المطيع لله عزوجل سبعين سنة بكبيرة واحدة»[1].

وقد تضمن كلام الشيخ عبدالقادر الجيلاني خمس مسائل رئيسية هي:

الأولى: اعتقاد أهل السنة والجماعة بوجود الجنة والنار.

الثانية: أنهما لا تفنيان أبداً.

الثالثة: أن الجنة هي الجنة التي كان فيها آدم وحواء.

الرابعة: إنكار المعتزلة لوجودهما الآن وإنكارهم بقائها.

الخامسة: الحكم على المعتزلة بعدم دخول الجنة.

وفيما يلي عرض لمذهب أهل السنة والجماعة في كل مسألة من هذه المسائل بإيجاز.

أولاً: أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن:

ما ذكره الشيخ عبدالقادر الجيلاني من أن الجنة والنار داران

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٧٣.

مخلوقتان موجودتان الآن معتقد أهل السنة والجماعة وهذه بعض أقوال أئمتهم وعلمائهم:

١ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله: «وأن الله خلق الجنة قبل الخلق وخلق لها أهلاً ونعيمها دائم ومن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر وخلق النار قبل خلق الخلق وخلق لها أهلاً وعذابها دائم»(١).

٢ ـ وقال أبوالحسن الأشعري عن عقيدة أصحاب الحديث: «ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان»(٢).

٣ ـ وعقد الآجري كتاباً مطولاً في كتابه الشريعة بعنوان: «كتاب الإيمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان ثم قال اعلموا رحمنا الله وإياكم أن القرآن شاهد على أن الله عزوجل خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم عليه السلام، وخلق للجنة أهلاً وللنار أهلاً قبل أن يخرجهم إلى الدنيا لا يختلف في هذا من شمله الإسلام وذاق حلاوة طعم الإيمان دل على ذلك القرآن والسنة فنعوذ بالله ممن كذب بهذا، ثم أورد كثيراً من نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة يثبت بها ما ذكره»(٣).

٤ ـ قال الإمام الصابوني وهو يستعرض عقيدة السلف وأصحاب الحديث: «ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان»(٤).

٥ ـ قال ابن عبدالبر عند ذكره لحديث صلاة الكسوف: «وفي

---

(١) رسالة الإمام أحمد التي بعثها لمسدد بن مسرهد ذكرها أبويعلى في طبقات الحنابلة ١/ ٣٤٤.

(٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/ ٢٩٦.

(٣) الشريعة للآجري ٣٨٧.

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ٦٤.

الحديث أيضاً من ذكر الجنة والنار دليل على أنهما مخلوقتان وعلى ذلك جماعة أهل العلم وأنهما لا يبيدان من بين سائر المخلوقات وأهل البدع ينكرون ذلك»[١].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ما ذهبوا إليه من القول بأن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن بالأدلة الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى عن الجنة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[٢].

٢ ـ قوله تعالى عن الجنة أيضاً: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[٣].

٣ ـ قوله جل جلاله عن النار: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[٤].

٤ ـ قوله عزوجل عن النار أيضاً: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾[٥].

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فقرأ سورة طويلة ثم ركع فأطال ثم رفع رأسه ثم استفتح بسورة أخرى ثم ركع حتى قضاها وسجد ثم فعل ذلك في الثانية

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٣/ ٣٢٠.
(٢) آل عمران: ١٣٣.
(٣) الحديد: ٢١.
(٤) البقرة: ٢٣٤، آل عمران: ١٣١.
(٥) الفتح: ٦.

ثم قال: «إنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتم ذلك فصلوا حتى يفرج عنكم لقد رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدته حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني جعلت أتقدم ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت ورأيت فيها عمرو بن لُحَيٍّ[(١)] وهو الذي سيب السوائب»[(٢)].

٢ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف فإني أراكم من أمامي ومن خلفي ثم قال: والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً قالوا: وما رأيت يارسول الله قال: رأيت الجنة والنار»[(٣)].

٣ ـ حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[(٤)].

ووجه الاستدلال في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ظاهر فإن الله أخبر أنه أعد الجنة وما فيها لأهل التقوى والإيمان وأعد النار وما فيها لأهل الكفر والنفاق والإعداد فيه التصريح بثبوت الشيء وتحققه وأنه مخلوق وموجود الآن كما أن الرسول ﷺ أخبر أنه رأى

(١) عمرو بن لُحيٍّ بن حارثة الأزدي أول من بدل دين إسماعيل ودعى العرب إلى عبادة الأوثان كنيته أبوثمامة كان قد تولى حجابة البيت الحرام بمكة وزار بلاد الشام فوجد أهلها يعبدون الأصنام وأعجب عمرو بتلك الأصنام فأخذ عدداً منها ونصبها بمكة ودعا الناس إلى تعظيمها والاستشفاء بها/ الأعلام للزركلي ٥/ ٨٤.

(٢) رواه البخاري ح١٢١٢ ومسلم ح٩٠١.

(٣) رواه مسلم ح٤٢٦.

(٤) رواه البخاري ٦٥٤٦ ومسلم ح٢٧٣٧.

الجنة والنار وأطلع عليهما وعلى أهلهما ومعنى هذا أنهما مخلوقتان وموجودتان الآن وهو معتقد أهل السنة والجماعة وهو أيضاً ما قرره الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما سبق.

ثانياً: أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان أبداً:

يذهب الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما أسلفنا إلى القول ببقاء الجنة والنار وأبديتهما وعدم فنائهما ويذكر أن هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة وهذه المسألة مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة حيث يقولون بعدم فنائهما وإلى أنهما باقيتان أبد الآبدين وهذه بعض أقوالهم:

١ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله وقد خلقت النار وما فيها وخلقت الجنة وما فيها خلقهما الله عزوجل ثم خلق الخلق لهما لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عزوجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[١] وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له: كل شيء مما كتب الله عزوجل عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقهما الله للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا[٢].

٢ ـ قال الإمام عبيد الله بن بطة العكبري: «ثم الإيمان بأن الله عزوجل خلق الجنة والنار قبل خلق الخلق ونعيم الجنة لا يزول دائم أبداً في النضرة والنعيم والأزواج من الحور العين لا يمتن ولا ينقصن ولا يهرمن ولا ينقطع ثمارها ونعيمها كما قال عزوجل: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[٣] وأما عذاب النار فدائم أبداً بدوام الله وأهلها فيها مخلدون خالدون من خرج من الدنيا غير معتقد للتوحيد ولا متمسك بالسنة[٤].

---

(١) القصص: ٨٨.

(٢) طبقات الحنابلة ١/٢٨.

(٣) الرعد: ٣٥.

(٤) الشرح والإبانة لابن بطة العكبري ٢٢٨.

٣ ـ قال ابن عبدالبر رحمه الله: قال أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا تبيدان لأنهما إذا كانتا لا تبيدان حتى تبيد الدنيا ومعلوم أن الدنيا إذا انقرضت بقيام الساعة جاءت الاخرة والآخرة غير خالية من جهنم كما أنها غير خالية من الجنة لأن الجنة رحمة الله تعالى والنار عذابه يصيب بها من يشاء من عباده[1].

٤ ـ قال ابن تيمية رحمه الله: وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك»[2].

وقد استدل عامة أهل السنة على ما ذهبوا إليه من القول بخلود الدارين ـ أعني الجنة والنار وعدم فنائهما ـ بأدلة الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى في الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾[3].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[4].

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٥/ ١٠.
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٨/ ٣٠٧.
(٣) النساء: ٥٧
(٤) التوبة: ٢٠ ـ ٢٢.

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾[1].

٤ ـ وقال تعالى في النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾[2].

٥ ـ ويقول سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾[3].

٦ ـ ويقول جل وعلا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾[4].

ووجه الاستدلال في تلك الآيات أن الله ذكر أن أهل النعيم يتنعمون في الجنة بصفة أبدية دائمة وأنهم لن يخرجوا منها كما أخبر عن أهل النار أنهم أيضاً يعذبون فيها بشكل دائم وبصورة متواصلة وأنهم لن يخرجوا منها.

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم ياأهل النار لا موت ياأهل الجنة لا موت. خلود»**[5].

٢ ـ حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) الحجر: ٤٧ ـ ٤٨.

(٢) النساء: ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٣) المائدة: ٣٧.

(٤) البقرة: ١٦٧.

(٥) رواه البخاري ٦٥٤٤ ومسلم ح٢٨٥٠.

ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال ياأهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون[١] وينظرون ويقولون نعم: هذا الموت. ويقال ياأهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون فيقولون: نعم هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح ثم يقال: ياأهل الجنة خلود فلا موت وياأهل النار خلود فلا موت». قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[٢]»[٣].

٣ ـ حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: ينادي منادٍ إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبداً فذلك قوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[٤][٥].

ودلالة هذه الأحاديث على بقاء الجنة والنار وبقاء أهلها بها للنعيم أو للعذاب ظاهرة ولله الحمد والمنة.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال في أبدية النار قولان معروفان عن السلف والخلف وأن النزاع في ذلك معروف عن التابعين ثم ساق طرق الذين قطعوا بدوام النار وخلودها وعدم فنائها، وهي:

١ ـ اعتقاد الإجماع فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين

---

(١) يشرئبون: أي يرفعون رؤوسهم لينظروا/ النهاية لابن الأثير ٢/ ٤٥٥.

(٢) مريم: ٣٩.

(٣) رواه البخاري ح٤٧٣٠ ومسلم ح٢٨٤٩.

(٤) الأعراف: ٤٣.

(٥) رواه مسلم ح٢٨٣٧.

الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه وأن الاختلاف حادث وهو من أقوال أهل البدع.

٢ ـ أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية، فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم، وأنه لا يفتر، عنهم وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً وأنهم خالدون فيها أبداً، وما هم بخارجين من النار، وما هم منها بمخرجين، وأن الله حرم الجنة على الكافرين، وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها، وأن عذابها كان غراماً أي مقيماً لازماً قالوا: وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره.

٣ ـ أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار وأن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

٤ ـ أن الرسول ﷺ وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.

٥ ـ أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا يفنيان بل هما دائمتان وإنما يذكرون فنائهما عن أهل البدع.

٦ ـ أن العقل يقضي بخلود الكفار في النار لأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها بل لو فارقها العذاب لرجعت كما كانت يقول عزوجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟

عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1] فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بلِ خبثها وكفرها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفارا كما كانوا وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضي به العقل كما جاء به السمع[2].

ثم ذكر بعد ذلك جواب القائلين بفناء النار على هذه الأدلة بما لا إقناع فيه مع صراحة الأدلة التي تضمنها الكتاب الكريم والسنة المطهرة مما سبق إيراده ولا مجال للعقل في الخوض فيه مادام الله عزوجل ورسوله ﷺ قد أخبرا بشكل صريح وواضح إلى خلود الدارين وخلود أهلهما وعدم فنائهما.

ويلاحظ أن ابن القيم رحمه الله لم يرجح أي القولين أولى بالصواب حيث قال: فهذه نهاية أقدام الفريقين في هذه المسألة ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب فإن قيل فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة قيل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾[3] وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء وقال ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء[4].

---

(١) الأنعام: ٢٧ ـ ٢٨.
(٢) حادي الأرواح لابن القيم ٢٥٤ بتصرف يسير وشفاء العليل ٥١٨ بأسلوب قريب منه
(٣) هود: ١٠٧.
(٤) حادي الأرواح ٢٧٤.
وفي شفاء العليل إضافة إلى ذلك قوله رحمه الله: وأنا في هذه المسألة على قول =

ورغم أن كلامه في كتابه شفاء العليل يوحي بميله إلى رأي القائلين بفناء النار وعدم أبديتها[١] فإنه قد صرح بأن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع حيث يقول: «والمقصود أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة السلف والذين قالوه إنما تلقوه من قياس فاسد كما اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقاً»[٢].

ويقول في الوابل الصيب: «ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب يشينه خبث وخبث لا طيب فيه وآخرون فيهم خبث وطيب كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض وهاتان الداران لا تفنيان ودار لمن معه خبث وطيب وهي

= أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ووصف ذلك أحسن صفة ثم قال: ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء.
وعلى مذهب عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حيث يقول: (لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً) وذكر ذلك في تفسير قوله: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الأنعام: ١٢٨.
وعلى مذهب أبي سعيد الخدري حيث يقول: (انتهى القرآن كله إلى هذه الآية ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ هود: ١٠٧.
وعلى مذهب قتادة حيث يقول في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ الله أعلم بتبيينه على ما وقعت.
وعلى مذهب ابن زيد حيث يقول (أخبرنا الله الذي يشاء لأهل الجنة فقال ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ هود ١٠٨ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار).
والقول بأن النار وعذابها دائم بدوام الله خبر عن الله بما يفعله فإن لم يكن مطابقاً لخبره عن نفسه بذلك وإلا كان قولاً عليه بغير علم والنصوص لا تفهم ذلك والله أعلم). شفاء العليل لابن القيم ٥٢٢.

(١) انظر: شفاء العليل لابن القيم ٥٠٦ ـ ٥١٨.
(٢) حادي الأرواح ٢٤٧.

الدار التي تفنى وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض»[١].

ومثل ذلك موجود في كثير من مؤلفاته[٢] وهو ما يتفق مع منهجه في الاستدلال باعتباره من أئمة أهل السنة والجماعة ومن أكابر الدعاة إليها رحمه الله رحمة واسعة.

وقد حاول بعض الباحثين المعاصرين تبرئة الشيخين أعني ابن تيمية وابن القيم مما نسب إليهما أو فهم من كلامهما ومنهم... الدكتور بكر أبوزيد في كتابه «ابن القيم حياته وآثاره» ص١٤٨ والدكتور عبدالله محمد جار النبي في كتابه «ابن القيم وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف» ٥٦٧ والله أعلم.

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ٣٣.

(٢) انظر: زاد المعاد ٦٦/١ واجتماع الجيوش الإسلامية ٩١ وطريق الهجرتين ٢٥٤.

ثالثاً: أن الجنة الموعودة هي الجنة التي كان فيها آدم وحواء:

يرى الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما أسلفنا أن الجنة التي أعدها الله للمؤمنين هي التي كان فيها آدم وحواء فيقول:

«وهي الجنة التي كان فيها آدم وحواء عليهما السلام»[(١)].

وهذه المسألة محل نزاع بين أهل السنة والجماعة رحمهم الله وقد ذكر ابن القيم أن للعلماء فيها قولين مشهورين:

الأول: أن الجنة التي أسكنها آدم وحواء ثم إهبطا منها هي جنة الخلد.

الثاني: أنها جنة أخرى غيرها في موضع عالٍ من الأرض ثم ساق حجج الفريقين فقال:

«حجج من اختار أنها جنة الخلد التي يدخلها الناس يوم القيامة.

١ ـ قالوا: قولنا هذا هو الذي فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سواه وأكثرهم لا يعلم في ذلك نزاعاً.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦﴾[(٢)] فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين:

أ ـ من لفظه اهبطوا فإنه نزول من علو إلى سفل.

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٧٣.

(٢) البقرة: ٣٥، ٣٦.

ب ـ قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ عقب قوله: ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ قد دلَّ على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض.

٣ ـ لو كانت تلك الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب إبليس في قوله: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾[1] فإن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية وأن ملكها يبلى.

٤ ـ أن الجنة جاءت معرفة بلام التعريف في جميع المواضع كقوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[2] ونظائره ولا جنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب فقد صار هذا الإسم علماً عليها بالكلية كالمدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرها فحيث ورد لفظها معرفاً انصرف إلى الجنة المعهودة المعلومة في قلوب المؤمنين.

ثم ساق حجج القائلين بأنها ليست جنة الخلد وإنما هي جنة في الأرض فقال:

١ ـ قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد. وأنها دار المقامة وأن من دخلها أقام بها وأن لها صفات ليست في الجنة التي دخلها آدم من كونها دار خلد ودار ثواب لا دار تكليف ودار سلامة لا دار ابتلاء ودار لا يعصى الله بها. وأنها دار قرار ولم يستقر بها الأبوان وليست دار خوف ولا حزن، وقد حصل للأبوين فيها من الحزن والخوف ما حصل ودار سلام ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة وأنه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذب

---

(١) طه: ١٢٠.

(٢) البقرة: ٣٥.

وقد سمع فيها آدم من إبليس اللغو والإثم والكذب.

٢ ـ أن الله خلق آدم في الأرض ولم يذكر في موضع واحد أصلاً أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ولو كان قد نقله بعد ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذكر. لأنه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه.

٣ ـ أن الله أخبر ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة أي آدم فكيف يسكنه دار الخلد التي من دخلها خلد فيها ولا يخرج منها.

٤ ـ من المعلوم الذي لا ينازع فيه مسلم أن الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من تربة هذه الأرض وأن ما فوق السموات ليس بمكان للطين الأرضي.

بعد ذلك أورد جواب أرباب القول الثاني على حجج أصحاب القول الأول. فقال:

١ ـ أما قولكم أن قولنا هو الذي فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه فالمسألة سمعية لا تعرف إلا بإخبار الرسل ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن لا من المعقول ولا من الفطرة. فالمتبع فيه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن بأنها جنة الخلد.

٢ ـ أما استدلالكم بقوله تعالى: ﴿وقلنا اهبطوا﴾ عقيب إخراجهم من الجنة فلفظ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض وغايته أن يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه وهذا غير منكر فإن كانت جنة في أعلى الأرض فاهبطوا منها إلى الأرض وأما قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض فإن الأرض اسم جنس وكانوا في أعلاها وأطيبها وأفضلها لا يدركهم

فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى فاهبطوا إلى أرض يعرض فيها ذلك كله.

٣ ـ أما قولكم أن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب إبليس في قوله هل أدلك على شجرة الخلد فجوابه من وجهين:

أ ـ أن اللفظ إنما يدل على الخلد وهو أعم من الدوام وهو في اللغة المكث الطويل.

ب ـ أن العلم بانقطاع الدنيا ومجيء الآخرة إنما يعلم بالوحي ولم يتقدم لآدم عليه السلام نبوة يعلم بها ذلك.

٤ ـ وأما قولكم أن الجنة وردت معرفة باللام التي للعهد فقد وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعاً كقوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾[1].

وفي نهاية المحاكمة ساق ردود أصحاب القول الأول على استدلالات أصحاب القول الثاني القائلين بأنها ليست جنة الخلد فقال:

١ ـ أما قولكم أن الله سبحانه أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد. فهذا حق في الدخول المطلق الذي هو دخول استقرار أما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة فقد دخل النبي ﷺ الجنة ليلة الإسراء وأخبر أن أرواح المؤمنين والشهداء في البرزخ في الجنة وهذا غير الدخول الذي أخبر الله به يوم القيامة وما ذكرتموه من الصفات التي توجد في الجنة وأنها لا توجد في جنة آدم من

---

(١) القلم: ١٧.

العري والنصب والحزن والكذب فهذا حق ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة.

٢ ـ وأما استدلالكم بكون آدم خلق من الأرض فمن أيد لكم أنه كمَّل خلقه فيها مع أن قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾[١] دليل على أنه كان معهم في السماء حيث أنبأهم بتلك الأسماء وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض حتى سمعوا منه ذلك ولو كان خلقه قد كمل في الأرض لم يمتنع أن يصعده سبحانه على السماء لأمر دبَّره وقدَّره فقد أصعد المسيح عليه السلام إلى السماء وقد أسري ببدن رسول الله ﷺ وروحه إلى السماء[٢].

هذا ملخص حجج الفريقين وكم كنا نود أن ابن القيم رحمه الله بعد ذلك رجَّح أي القولين أقرب إلى الصواب ولكنه توقف في ذلك لقوة أدلة كل فريق ونحن نتوقف في ذلك كما توقف ونكل علم ذلك إلى علام الغيوب ونستغفر الله من كل ذنب ونتوب.

---

(١) البقرة: ٣١.

(٢) حادي الأروح لابن القيم ص(١٩).

رابعاً: إنكار المعتزلة لوجود الجنة والنار:

المعتزلة ينكرون وجود الجنة والنار وهو مذهبهم جميعاً فعود الضمير إليه في كلام الشيخ عبدالقادر السابق أولى لأنه هو المشهور عنهم أما القول بفنائها فهو في الأصل للجهمية حيث يقول الجهم بن صفوان بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان[١].

وقد قال بها من المعتزلة شيخهم ومقرر طريقتهم أبوالهذيل[٢] حيث يذكر عنه البغدادي ذلك فيقول:

«من فضائح أبي الهذيل: قوله بفناء مقدورات الله عزوجل حتى لا يكون بعد فناء مقدوراته قادراً على شيء ولأجل هذا زعم أن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنيان ويبقى حينئذٍ أهل الجنة وأهل النار خامدين لا يقدرون على شيء ولا يقدر الله عزوجل في تلك الحال على إحياء ميت ولا على إماته حي ولا على تحريك ساكن ولا على تسكين متحرك ولا على إحداث شيء ولا على إفناء شيء»[٣].

وقد تصدى علماء أهل السنة والجماعة لهذه الضلالات بالرد والإبطال لأنها لا تعتمد على دليل ولم يقل بها أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا من أئمة المسلمين. يقول ابن القيم رحمه الله:

«القول بفناء الجنة والنار هو قول قاله جهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية وليس له سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا

---

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/٢٧٩.

(٢) رأس المعتزلة وشيخهم والمناظر عنهم محمد بن الهذيل البصري العلاف أخذ الاعتزال عن عثمان الطويل عن واصل بن عطاء وكان رجلاً فاسقاً يشرب الخمر مات سنة ٢٢٦/ شذرات الذهب ٢/ ٨٥ وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٢.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ١٢٢.

أحد من أئمة الإسلام ولا قال به أحد من أهل السنة وهذا القول مما أنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام وكفروهم به وصاحوا بهم في أقطار الأرض كما ذكره عبدالله بن الإمام أحمد في كتاب السنة[١] عن خارجة بن مصعب أنه قال: كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله عزوجل يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[٢] وهم يقولون لا يدوم ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[٣] وهم يقولون ينفد ويقول الله عزوجل: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[٤]. قال شيخ الإسلام ـ يعني ابن تيمية ـ وهذا قاله جهم لأصله الذي اعتقده وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام الذي استدلوا بها على حدوث الأجسام وحدوث ما لم يحل من الحوادث وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم فرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنع في المستقبل فدوام الفعل ممتنع عنده على الرب تبارك وتعالى في المستقبل كما هو ممتنع عنده عليه في الماضي وأبوالهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الأصل لكن قال إن هذا يقتضي فناء الحركات وقد استمر ابن القيم رحمه الله في دحض حججهم وإبطال مزاعمهم إلى أن قال: والمقصود أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين والذين قالوا إنما تلقوه عن قياس فاسد كما اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقاً وبنوا عليه

(١) كتاب السنة لعبدالله بن أحمد فقرة ٧٧ ص١٣٠ تحقيق دكتور/ محمد سعيد القحطاني.
(٢) الرعد: ٣٥.
(٣) ص: ٥٤.
(٤) النحل: ٩٦.

القول بخلق القرآن ونفي الصفات وقد دل القرآن والسنة والعقل الصريح على أن كلمات الله وأفعاله لا تتناهى ولا تنقطع بآخر ولا تحد بأول(١).

وممن تصدى بالرد والإبطال لمزاعم الجهمية والمعتزلة في هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول:

«وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها»(٢).

ومما سبق بيانه يتضح بطلان ما ذهب إليه الجهمية والمعتزلة من القول بفناء الجنة والنار وأن ما قاله أهل السنة والجماعة هو الحق وهو الذي قال به الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما أسلفنا والله أعلم.

---

(١) حادي الأرواح لابن القيم ٢٤٤.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ١٨/٣٠٧.

خامساً: الحكم على المعتزلة بعدم دخول الجنة:

رحم الله الشيخ عبدالقادر الجيلاني، فقد دفعته غيرته الدينية وكراهيته لأهل الأهواء والبدع إلى القول بعدم دخول المعتزلة الجنة وتخليدهم في النار وذلك واضح من قوله:

«وقد أنكرت المعتزلة ذلك فأما الجنة فلا يدخلونها وأما النار فلعمري هم فيها داخلون مخلدون لإنكارهم»[١].

ومعنى هذا أنه ـ رحمه الله ـ يرى كفر المعتزلة ولذا حكم عليهم بعدم دخول الجنة وتخليدهم في النار. ومباديء المعتزلة من القول بخلق القرآن وإنكارهم صفات الباري عزوجل، وأنه سبحانه لا يرى في الآخرة هذه المباديء هي فروع نشأت عن أصول الجهمية والقدرية الذين لم يتردد علماء وأئمة أهل السنة والجماعة في تكفيرهم على العموم لا على التعيين:

فعن سلام بن أبي مطيع[٢] أنه قال: الجهمية كفار لا يصلى خلفهم[٣].

وعن سفيان بن عيينة «القرآن كلام الله عزوجل من قال مخلوق فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر»[٤].

وعن الإمام أحمد: «من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لأن

---

(١) الغنية للجيلاني ١/٧٣.

(٢) سلام بن أبي مطيع الخزاعي البصري ثقة صاحب سنة مات سنة ١٦٤هـ/ تقريب التهذيب ٢٦١.

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم ٥١٧.

(٤) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة رقم ٢٥ تحقيق د/ محمد سعيد القحطاني.

القرآن من علم الله عزوجل وفيه أسماء الله عزوجل»[١].

وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية تكفير عامة الأئمة لهم قال: «والمشهور من مذهب الإمام أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب»[٢].

كما ذكر ابن القيم رحمه الله كفرهم ونقله عن خمسمائة من علماء السلف فقال:

ولقد تقلَّد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنهم بل حكاه قبله الطبراني[٣]

وكون المعتزلة من الجهمية فقد قال العلامة جمال الدين القاسمي وهو يتحدث عن الجهمية: «وقد يظن أنها أمست أثراً بعد عن مع أن المعتزلة فرع منها وهي في الكثرة تعد بالملايين»[٤].

أما قضية تكفيرهم على التعيين والقطع لأحدهم بالحرمان من الجنة والخلود في النار فللسلف في هذا موقف آخر قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«مع أن أحمد لم يكفر أعيان الجهمية ولا كل من قال إنه جهمي كفره ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعهم بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم وامتحنوا الناس وعاقبوا من لم

(١) المصدر السابق رقم ١.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٨٥.

(٣) نونية بن القيم بشرح الهراس ١/ ١١٥.

(٤) تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ص٦.

يوافقهم بالعقوبات الغليظة لم يكفرهم أحمد وأمثاله بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم ويدعو لهم»[١].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع. وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية الذين كانوا يقولون القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة»[٢].

وعلى هذا يحمل قول الشيخ عبدالقادر الجيلاني في قطعه بعدم دخول المعتزلة إلى الجنة وتخليدهم في النار في أنه يعني على العموم والإطلاق لا على التعيين.

لكننا نود الإشارة إلى أن منهج أهل السنة والجماعة في الحكم على أهل الأهواء كالمعتزلة وغيرهم يتميز بما يلي:

أولاً: أنهم يطلقون الحكم كما أسلفنا على وجه العموم أو الإطلاق دون التعيين وقد ذكرنا الأدلة على ذلك.

ثانياً: أن الأحكام التي يطلقونها تتعلق بالدنيا دون الآخرة فهم مثلاً: يقولون من قال كذا فهو كافر أو مخطيء أو مبتدع أو ضال. ولا يقولون هو مخلد في النار أو أنه لا يدخل الجنة لأن المقالة قد تكون كفراً ولكن لا يلزم تكفير صاحبها[٣].

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ٧/ ٥٠٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٨٩.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٢٠/ ١٠٤، ٧/ ٥٠٧، ١٠/ ٣٢٩.

ثالثاً: أنهم لا يردون على المبتدع ببدعة مماثلة فمثلاً بدعة الخوارج وتكفيرهم لصاحب الكبيرة قابلها السلف ببيان خطأ الخوارج دون أن يقولوا من كفر بالكبيرة فهو كافر[1].

رابعاً: أن المبتدع المؤول الذي يقول بالبدعة أو يعمل بها وعنده شبهة بجواز العمل بها إما لاعتماده على حديث ضعيف أو موضوع أو على حديث صحيح لكن لا وجه لاستدلاله به وكان تأويله سائغاً فأهل السنة والجماعة لا يرون كفره ولا ضلاله وإنما يذكرون خطأه وعدم موافقته للحق، يقول شيخ الإسلام رحمه الله:

«المتأول الذي قصده متابعة الرسول لا يكفر ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية وأما مسائل الاعتقاد فكثير من الناس كفروا المخطئين فيها وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم كالخوارج والمعتزلة والجهمية، ووقع في ذلك كثير من أتباع الأئمة»[2] والله أعلم.

---

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٢٨٢، ٥/ ٢٤٧، ٧/ ٢١٧.
(٢) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/ ٦٠.
وقريباً منه أو في معناه ٣/ ٣٥٢ ـ ٣٥٥، من الفتاوى.

الفصل الخامس

البدعة وموقف الشيخ عبدالقادر الجيلاني منها

وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة

المبحث الثاني: ذم البدع والتحذير منها

المبحث الثالث: البدع الاعتقادية

المبحث الرابع: البدع العملية في العبادة

المبحث الأول
أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة

مدار سعادة الإنسان في الدارين وفوزه وفلاحه في الحياتين يعتمد على مدى اعتصامه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأنهما النوران اللذان يضيئان للإنسان طريقه وهو يعبر دروب الحياة ومجاهيلها.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يقرر ذلك في قوله: **«لا فلاح لك حتى تتبع الكتاب والسنة»**[١].

ويضيف إلى ذلك في مكان آخر ضرورة اتباع العلماء من أئمة الدين في فهم نصوص الكتاب والسنة باعتبارهم أعرف الناس بمفاهيم الكتاب والسنة فيقول:

«إذا لم تتبع الكتاب والسنة ولا الشيوخ العارفين بهما فما تفلح أبداً»[٢].

وما يقرره الشيخ عبدالقادر الجيلاني هو عين ما يؤكده أئمة أهل السنة والجماعة فهم يرون أن الاعتصام بهما والعمل بهديهما واتباعهما في جميع قضايا الدين أصوله وفروعه هو سبيل النجاة وطريق الفوز والفلاح وهذه بعض أقوالهم:

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني المجلس التاسع والثلاثون ص١٢٨.
(٢) الفتح الرباني للجيلاني المجلس التاسع والثلاثون ص١٢٨.

أولاً: أقوال بعض الصحابة:

١ - عن أبي بن كعب رضي الله عنه[١] قال: عليكم بالسبيل والسنة - يعني بالسبيل الكتاب الكريم - فإنه ما على الأرض عبد على السبيل والسنة وذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله عزوجل فيعذبه الله وما على الأرض عبد على السبيل والسنة وذكره - يعني الرحمن - في نفسه فأقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحات - أي تساقط عنها ورقها إلا حط عنه خطاياه كما تحات عن تلك الشجرة ورقها وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهاداً واقتصاداً أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسنتهم»[٢].

٢ - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه[٣] قال: لن تضل ما أخذت بالأثر[٤].

---

(١) أبوالمنذر الأنصاري الخزرجي سيد القراء ومن فضلاء الصحابة شهد العقبة وبدراً وجمع القرآن في حياة النبي ﷺ وكان رأساً في العلم والعمل. سأله النبي ﷺ في أعظم آية في القرآن فقال: آية الكرسي فضرب في صدره. وقال: ليهنك العلم أباالمنذر، مات رضي الله عنه سنة ١٩ وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء ١/ ٣٨٩، تقريب التهذيب ٩٦.

(٢) ذكره اللالكائي في أصول أهل السنة والجماعة برقم ١٠.

(٣) صاحب رسول الله ﷺ عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي حكيم هذه الأمة وسيد قراء دمشق وهو معدود فيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ. ولى القضاء في دمشق في خلافة عثمان رضي الله عنه في أواخر عهد عثمان رضي الله عن الجميع. سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٣٥، وتقريب التهذيب ٤٣٤.

(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة ١/ ٣٥٣.

ثانياً: أقوال بعض التابعين:

١ ـ قال الإمام الزهري رحمه الله: كان من مضى من علماءنا يقول: الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض قبضاً سريعاً فَنَعْشُ العلم ـ أي انتعاشه ورفعته ـ ثبات الدنيا والدين وذهاب العلماء ذهاب ذلك كله[١].

٢ ـ وقال الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز[٢] رحمه الله حين كتب إلى بعض عماله: أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسوله ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعده فيما قد جرت به سنته وكفوا مؤونته[٣].

ثالثاً: أقوال بعض الأئمة:

١ ـ قال سفيان بن سعيد الثوري: كان الفقهاء يقولون لا يستقيم قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة[٤].

٢ ـ قال الإمام أحمد بن حنبل في بعض رسائله: ثم بعد كتاب الله سنة النبي ﷺ والحديث عنه وعن المهديين أصحاب النبي ﷺ واتباع السنة نجاة وهي التي نقلها أهل العلم كابراً عن كابر[٥]..

٣ ـ قال الإمام الأصبهاني: قال بعض علماء السنة كل من صح عنده

(١) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي برقم ١٣٦.
(٢) الإمام الزاهد العابد الراشد أمير المؤمنين كان من أئمة الجهاد والاجتهاد ومن الخلفاء الراشدين سيرته العطرة محل عظة واعتبار، مات رحمه الله سنة ١٠١/ سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٤.
(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة ١/ ٣٢١.
(٤) ذكره ابن بطة في الإبانة الكبرى ١/ ٣٣٣.
(٥) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١/ ٣٤٢.

شيء من أمر رسول الله ﷺ ونهيه صغيره وكبيره بلا معارض له يعرفه من حديثه أو ناسخ له ثم قال: قال رسول الله ﷺ كذا وأنا أقول بخلافه فقد تكلم بعظيم وإن كان ذلك الشيء مما لا يضل الرجل بتركه لأن أدنى معاندة للنبي ﷺ في شيء من أمره ونهيه عظيم فمن قبل عن النبي ﷺ فإنمايقبل عن الله ومن ردَّ عليه فإنما يردُّ على الله قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1][2].

٤ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: لما بعث الله محمداً ﷺ بكتابه الذي هو الهدي والشفاء والنور وجعله أحسن الحديث وأحسن القصص وجعله الصراط المستقيم لأهل العقل والتدبر ولأهل التلاوة والذكر ولأهل الاستماع والحال فالمعتصمون به علماً وحالاً وتلاوةً وسمعاً باطناً وظاهراً هم المسلمون حقاً خاصة أمة محمد ﷺ ثم لما انحرف من انحرف من أهل الكلام والحروف إلى كلام غيره ومن أهل السماع والصوت إلى سماع غيره كان الانحراف في أربع طوائف متجانسة:

الأولى: قوم تركوا التعلم منه والنظر فيه والتدبر له إلى كلام غيره من كلام الصابئة أو اليهود أو ما هو مولد من ذلك أو مجانس له أو نحو ذلك وهم منحرفة المتكلمة.

الثانية: وبإزائهم قوم أقاموا حروفه وحفظوه وتلوه من غير فقه فيه ولا فهم لمعانيه ولا معرفة للمقالات التي توافقه أو تخالفه، ووجه بيانه لمسائلها ودلائلها، وهم ظاهرية القراء والمحدثين ونحوهم، وهذان الصنفان: نظير متفقه لا يعرف

---

(١) النساء ٨٠.

(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ٢/٣٩٧.

الحديث، أو صاحب حديث لا يتفقه فيه، وكذلك متكلم لا يتدبر القرآن، أو قارىء لا يعرف من القرآن أنواع الكلام الحق والباطل، فهاتان فرقتان علميتان.

الثالثة: قوم تركوا استماع القلوب له والتنعم به وتحرك القلب عن محركاته، وذوق حلاوته ووجود طعمه إلى سماع أصوات تغيره من شعر أو ملاهي من أصوات الصابئة أو النصارى أو ما هو مولد عن ذلك ومجانس له أو نحو ذلك وهم منحرفة المتصوفة والمتفقرة.

الرابعة: وبإزائهم قوم يصوتون به ويسمعون قراءته من غير تحرك عنه ولا وجد فيه ولا ذوق لحقائقه ومعانيه وهم ظاهرية العباد والمتطوعة والمتقرئة فهذان الصنفان صاحب حال. تحرك الأصوات حاله. وليست تلك الحركة والحال عن الصوت بالقرآن. وصاحب مقال يميز بين الأقوال وينظر فيها. وليس ذلك النظر والمقال عن القرآن وبإزائهما صاحب عبادة ظاهرة معه استماع ظاهر القرآن وتلاوته وصاحب علم ظاهر معه حفظ حروف القرآن أو تفسير حروفه من غريبه وإعرابه وأسباب نزوله ونحو ذلك.

فهذه الأقسام الأربعة الذين وقفوا مع ظاهر العلم والعمل المشروعين والذين خاضوا في باطن العلم والعمل لكن غير المشروعين جاء التفريط والاعتداء منهم[1].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ذلك بالأدلة الآتية:

---

(١) الفتاوى لابن تيمية ١٣/ ٣٧٦.

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[١].

قال ابن جرير عند تفسيره لهذه الآية: «يقول تعالى ذكره وهذا الذي وصاكم به ربكم أيها الناس وأمركم بالوفاء به هو صراطه يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده مستقيماً لا اعوجاج به عن الحق فاعملوا به واجعلوه لأنفسكم منهاجاً تسلكونه ولا تسلكوا طريقاً سواه ولا تركبوا منهجاً غيره ولا تبغوا ديناً خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان وغير ذلك من الملل فإنها بدع وضلالات» وقد عزا هذا القول إلى بعض أئمة التفسير كمجاهد وغيره[٢].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[٣].

قال الإمام القرطبي: «أحسن ما أنزل هو القرآن وكله حسن والمعنى ما قال الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته وقال السدي: الأحسن ما أمر الله به في كتابه وقال ابن زيد يعني المحكمات وكلوا علم المتشابه إلى عالمه، وقال: أنزل الله كتباً التوراة والإنجيل والزبور ثم أنزل القرآن وأمر باتباعه فهو الأحسن وهو المعجز. وقيل: هذا أحسن لأنه ناسخ قاضٍ على

---

(١) الأنعام ١٥٣.
(٢) انظر تفسير ابن جرير بتصرف يسير ٨/ ٨٧.
(٣) الزمر ٥٥.

جميع الكتب وجميع الكتب منسوخة»[١].

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: «**أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها**»[٢].

٢ ـ حديث أبي شريح الخزاعي[٣] رضي الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. قالوا: بلى، قال: إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً»[٤].

ووجه الدلالة في تلك الأحاديث ظاهر وهو أمره صلوات الله وسلامه عليه بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأنهما سبيل السعادة وطريق الفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ٢٧٠.

(٢) رواه مسلم ح٨٦٧.

(٣) خويلد بن عمرو وقيل عبدالرحمن بن عمرو وقيل غير ذلك، صحابي جليل نزل المدينة ومات سنة ٦٨/ تقريب التهذيب ٦٤٨.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه رقم ١٢٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٧٩ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ص٩٣.

المبحث الثـاني

ذم البدع والتحذير منها

تعريف البدعة: البدعة في اللغة تطلق على الشيء المخترع على غير مثال سابق أي الأمر المحدث والجديد فيقال لمن أتى بأمر لم يسبقه إليه أحد ابتدع(١).

والبدعة في الشرع لها عدة تعريفات قالها أهل العلم من أفضلها تعريف الإمام الشاطبي الذي يقول: بأنها طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى(٢).

وكذلك تعريف الإمام ابن رجب الذي يبين المراد بها فيقول: «هي ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه»(٣).

ويمكن القول بأن معالم البدعة تبرز في كونها إحداثاً في دين الله بغير دليل شرعي.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يحذر دائماً من الابتداع في الدين ويوصي بالاتباع ويقرن ذلك بوصيته بالتوحيد وضرورة مجانبة الشرك وكأنه ينزل البدعة في الخطورة منزلة الشرك فيقول:

«اتبعــوا ولا تبتــدعــوا وأطيعــوا ولا تمــرقــوا ووحــدوا ولا

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٨/ ٧ والصحاح للجوهري ٣/ ١١٨٣.

(٢) الاعتصام للشاطبي ١/ ٥٠.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢٦٥.

تشركوا»[١].

ويضيف في مكان آخر أهمية موافقة السنة وعدم مخالفتها فيقول:

«اتبعوا ولا تبتدعوا وافقوا ولا تخالفوا اطيعوا ولا تعصوا أخلصوا ولا تشركوا»[٢].

ويبين أن أساس الخير في متابعة النبي ﷺ فيقول:

«أساس الخير متابعة النبي ﷺ في قوله وفعله»[٣].

ثم يبين أن الأولى للمؤمن العاقل أن يتبع السنة فيقول:

«والأولى للعاقل المؤمن الكيس أن يتبع ولا يبتدع ولا يغالي ويعمق ويتكلف لئلا يضل ويزل ويهلك»[٤].

وما أشار إليه الشيخ عبدالقادر الجيلاني هو ما أدركه سلف هذه الأمة من أهل السنة والجماعة من عظيم نعمة الله على عباده بإكمال دينه وإتمام شريعته حتى فارق رسول الله ﷺ الدنيا بعد أن بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمة وأنزل عليه ربه سبحانه في حجة الوداع: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٥] ولقد كان اليهود يغبطون هذه الأمة على هذه الآية فقد جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: «آية في

(١) فتوح الغيب للجيلاني المقالة الثانية ص١٠.
(٢) الفتح الرباني للجيلاني المجلس السابع والأربعون ص١٥١.
(٣) الفتح الرباني للجيلاني المجلس التاسع والخمسون ص٢٠٧.
(٤) الغنية للجيلاني ١/٧٩.
(٥) المائدة: ٣.

كتابكم تقرؤونها لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال: وأي آية هي قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[١].

وقدقال ابن عباس رضي الله عنه في تأويل هذه الآية أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً وقد رضيه فلا يسخطه أبداً[٢].

ولذا كانت القرون الثلاثة الأولى هي خير قرون هذه الأمة وذلك لتمسكها بكتاب ربها وسنة رسوله ﷺ ومحاربة البدع والإحداث في دين الله عزوجل لما يفضي إليه الابتداع من لوازم خطيرة ذات أثر سيء على عقيدة المبتدع ودينه منها:

١ ـ أن الابتداع يستلزم اتهام جناب النبي ﷺ بعدم إبلاغ الرسالة إلى الأمة وأنه لم ينفذ أمر الله له بقوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾[٣].

وأذكر أنني كنت في زيارة إحدى الدول الإسلامية للمشاركة في مؤتمر للإعجاز العلمي في الكتاب والسنة عام ١٤١٥هـ، وحدث أن ناقشني أحد كبار علماء تلك الدولة في بدعة المولد النبوي[٤] بعد أن رماني بعدم محبة النبي ﷺ لأنني

---

(١) رواه البخاري ح٤٥ ومسلم ح٣٠١٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/١٢.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.

(٤) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن بدعة المولد النبوي: (وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع من اتخاذ مولد=

لا أحتفل بمولده بأبي وأمي هو فأخبرته بأن المانع الوحيد من الاحتفال بمولده هو محبته صلوات الله وسلامه عليه لأن محبته الحقيقية إنماتنبع من متابعته والعمل بشريعته.

ثم سألته عن هذا الاحتفال، أطاعة هو لله أم معصية؟ فأجاب بأنه طاعة يتقربون بها إلى الله يرجون ثوابها.

فقلت له: هل علم رسول الله ﷺ هذه الطاعة أم جهلها وبطبيعة الحال لم يجرؤ على أن يقول أن رسول الله ﷺ جهلها إذ أنه من البديهيات المسلمة أنه صلوات الله وسلامه عليه أعلم الناس بطاعة الله عزوجل فقال: بل علمها.

فقلت: هل بلَّغها لأمته أم كتمها؟ فوقف مبهوتاً حائراً لا يدري بم يجيب ثم قال: بل بلغها، فطلبت منه الأمر النبوي الذي بلَّغ فيه أمته بالاحتفال بمولده فعجز فقلت له: يلزم من عجزك أن الرسول ﷺ كتم الرسالة ولم يبلغها فهناك اعترف بأنها ليست طاعة وبالتالي فهي بدعة وقد وعدني بأن يكون حرباً عليها

= النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ. وتعظيماً له منا وهم على الخير أحرص وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم حراصاً على أمثال هذه البدع مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة تجدونهم فاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه وإنما هم بمنزلة من يُحَلِّي المصحف ولا يقرأ فيه أو يقرأ فيه ولا يتبعه وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه أو يصلي فيه قليلاً) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٣١٣.

نسأل الله لنا وله الهداية والثبات.

٢ ـ إن الابتداع يعني عدم كمال الدين وهذا معارض لقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[(١)]. فقد أخبر سبحانه أن هذا الدين قد كمل وأنه ليس بحاجة إلى إضافة أو زيادة.

من هنا ندرك السر في اهتمام السلف رحمهم الله وتركيزهم على محاربة البدع وهذه بعض أقوالهم.

أولاً: أقوال بعض الصحابة:

١ ـ قال الصحابي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة[(٢)].

٢ ـ قال عثمان الأزدي[(٣)]: دخلت على ابن عباس فقلت له أوصني فقال: نعم عليك بتقوى الله والاستقامة اتبع ولا تبتدع[(٤)].

٣ ـ قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم اتبعوا آثارنا فقد سبقتم سبقاً بعيداً وإن أخطأتم فقد ضللتم ضلالاً بعيداً[(٥)].

ثانياً: أقوال بعض التابعين:

١ ـ قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر

(١) المائدة: ٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/١٠٣ وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي.

(٣) عثمان بن حاضر الحميري ويقال الأزدي أبو حاضر القاص روى عن ابن عباس وغيره قال عنه أبوزرعة يماني حميري ثقة/ الجرح والتعديل ٦/١٤٧.

(٤) أخرجه الدارمي في سننه ١/٥٠.

(٥) ذكره ابن بطة في الإبانة الكبرى ١/٣٣٦.

بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله عزوجل واستكمال لطاعته وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرهاولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها فمن اقتدى بما سنوا اهتدى ومن استبصر بها أبصر ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاّه الله ما تولاه وأصلاه جهنم وساءت مصيراً[١].

٢ ـ قال الحسن البصري: اعرفوا المهاجرين بفضلهم واتبعوا آثارهم وإياكم وما أحدث الناس في دينهم فإن شر الأمور المحدثات[٢].

ثالثاً: أقوال بعض الأئمة:

١ ـ قال الإمام مالك رحمه الله: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٣] فما لم يكن يومئذٍ ديناً لا يكون اليوم دينا[٤].

٢ ـ قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة ضلالة[٥].

٣ ـ قال الإمام أبومحمد البربهاري رحمه الله[٦]: واحذر صغار

(١) انظر الشريعة للآجري ٤٨ والدر المنثور للسيوطي ٢/٦٨٦.

(٢) ذكره الإمام أحمد في كتاب الزهد ٣٣٤.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) الاعتصام للشاطبي ١/ ٦٤.

(٥) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١/٢٤١.

(٦) الإمام الحافظ أبومحمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري كان قوالاً للحق داعية إلى الأثر والسنة لا يخاف في الله لومة لائم مات سنة ٣٢٩ وعمره ٧٧ سنة/ سير أعلام النبلاء ١٥/ ٩٠.

المحدثات فإن صغار البدع تعود حتى تصير كباراً وكذلك كل بدعة أحدثت في الأمة كان أولها صغيراً يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها ثم لم يستطع المخرج منها فعظمت وصارت ديناً يدان به مخالف الصراط المستقيم فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة ولا تعجلن ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم فيه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أو أحد من العلماء فإن أصبت فيه أثراً عنهم فتمسك به ولا تجاوزه بشيء ولا تختر عليه شيئاً فتسقط في النار[(١)].

٤ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة[(٢)].

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ويقدمون هدي محمد على هدي كل أحد وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة.

وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم

---

(١) شرح السنة للبربهاري رقم ٢ ص٤٥ ود ذكره أبويعلى في طبقات الحنابلة ٢/ ١٨.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ عن العرباض بن سارية الترمذي ٥/ ٤٤ وأبوداود ٥/ ١٣ والحاكم في المسترك ١/ ٩٦ وأحمد في المسند ٤/ ١٢٦ وقال عنه الألباني بأنه صحيح برقم ٢١٥٧ صحيح الترمذي.

المجتمعين والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين.

وهم يَزِنُونَ بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين والإجماع الذي ينضبط: هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة[١].

٥ـ قال ابن القيم رحمه الله: فإن قال قائل: أنتم سميتم أنفسكم أهل السنة ومانراكم في ذلك إلا مدعين لأنا وجدنا كل فرقة من الفرق تنتحل اتباع السنة وتنسب من خالفها إلى البدعة وليس على أصحابكم منها سمة وعلامة أنهم أهلها دون من خالفها من سائر الفرق وكلنا في انتحال هذا اللقب شركاء متكافئون ولستم بأولى بهذا اللقب إلا أن تأتوا بدلالة ظاهرة من الكتاب والسنة أو من إجماع المعقول.

فالجواب: أن الأمر على ما زعمتم إنه لا يصح لأحد دعوى إلا ببينة عادلة أو بدلالة ظاهرة من الكتاب والسنة وهما لنا قائمتان بحمد الله ومنَّه قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٢].

فأمرنا باتباعه وطاعته فيما سنه وأمر به وما نهى عنه وما حكم به وقال ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»**[٣] وقال: **«من رغب عن سنتي فليس**

(١) فتاوى ابن تيمية ٣/١٥٧.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) سبق تخريجه ص ٤١٤

مني»[١]، «ومن أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة»[٢] فعرفنا سنته ووجدناها بهذه الآثار المشتهرة التي رويت بالأسانيد الصحيحة المتصلة التي نقلها حفاظ العلماء وثقاتهم بعضهم عن بعض.

ثم نظرنا فرأينا فرقة أصحاب الحديث لها أطلب وفيها أرغب ولها أجمع ولأصحابها أتبع فعلمنا يقيناً أنهم أهلها دون من عداهم من جميع الفرق، فإن صاحب كل حرفة أو صناعة إن لم يكن معه دلالة وآلة من آلات تلك الصناعة والحرفة ثم ادعى تلك الصناعة كان في دعواه مبطلاً فإذا كانت معه آلات الصناعة والحرفة شهدت له تلك الآلات بصناعته بل شهد له كل من عاينه قبل الاختبار كما إذا رأيت رجلاً قد فتح باب دكانه على بز عرفت أنه بزاز أو على تمر علمت أنه تمار أو على عطر علمت أنه عطار أو إذا رأيت بين يديه الكير والسندان والمطرقة علمت أنه حداد وكل صاحب صنعة يستدل على صناعته بآلته فحكم له بها بالمعاينة من غير اختبار.

فلو رأيت بين يدي إنسان قدوماً أو منشاراً ومثقباً وهو مستعد للعمل بها ثم سميته خياطاً جهلت ولو قال صاحب التمر لصاحب العطر أنا عطار وصاحب البناء للبزاز أنا بزاز قال له: كذبت وصدقه الناس على تكذيبه ثم كل صاحب صنعة وحرفة يفتخر بصناعته ويجالس أهلها ويألفهم ويستفيد منهم ويحرص على بلوغ الغاية في صناعته وأن يكون فيها أستاذاً.

---

(١) رواه البخاري ٥٠٦٣ ومسلم ح١٤٠١.

(٢) لم أجده فيما بين يدي من المراجع الحديثية.

ورأينا أصحاب الحديث قديماً وحديثاً هم الذين رحلوا في هذه الآثار وطلبوها فأخذوه من معادنها وحفظوها واغتبطوا بها ودعوا إلى اتباعها وعابوا من خالفهم وكثرت عندهم وفي أيديهم حتى اشتهروا بها كما يشتهر أصحاب الحرف والصناعات بصناعتهم وحرفهم.

ثم رأينا قوماً انسلخوا من حفظها ومعرفتها وتنكبوا عن اتباع صحيحها وشهيرها وغنوا عن صحبة أهلها وطعنوا فيها وفيهم وزهدوا الناس في حقها وضربوا لها ولأهلها أسوأ الأمثال ولقبوهم أقبح الألقاب فسموهم نواصب(١) ومشبهة(٢) وحشوية(٣)

---

(١) من الألقاب الشنيعة التي يطلقها الرافضة على كل من قدَّم أبابكر وعمر وعثمان على علي رضي الله عنهم أجمعين ويطلق على الخوارج الذين غلوا في بغض علي بن أبي طالب حتى كفروه، وقيل هم الذين يبغضون أهل بيت رسول الله ﷺ بالقول والعمل. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٧٢. والفتاوى لابن تيمية ٣/ ١٥٤.

(٢) هذا لقب شنيع أطلقه أهل البدع والأهواء من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة على أهل السنة والجماعة لأنهم يصفون الله سبحانه بكل ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل. وذلك لاعتقادهم الباطل أن ظاهر النصوص يوهم التشبيه فلابدَّ عندهم من تأويلها ولذا اعتبروا كل من أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ مشبهاً. وهذا باطل ومردود لأن أهل السنة ما قالوا إلاَّ كما قال ربهم وخالقهم عن نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى ١١. أما أصحاب الأهواء فهم الذين شبهوا ثم عطلوا وأولوا. انظر الفتاوى لابن تيمية ٥/ ١١٠.

(٣) من أقذع الصفات والألقاب التي أطلقها أهل البدع والأهواء على أهل السنة. وقد نسب ابن القيم رحمه الله بجهلة الجهمية أنهم لقبوا أهل السنة بذلك لأنهم بزعمهم جعلوا ربهم حشو هذا الكون بإثباتهم له صفة الفوقية والاستواء وأنه في السماء وأول من عرف أنه تكلم بهذا اللفظ عمرو بن عبيد زعيم المعتزلة وعابدهم. فقد ذكر له أن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يخالف قوله فقال: كان ابن عمر =

ومجسمة، فعلمنا بهذه الدلائل الظاهرة والشواهد القائمة أن أولئك أحق بها من سائر الفرق ومعلوم أن الاتباع هو الأخذ بسنة رسول الله ﷺ التي صحّت عنه والخضوع لها والتسليم لأمر رسول الله ﷺ ووجدنا أهل الأهواء بمعزل عن ذلك فهذه علامة ظاهرة ودليل واضح يشهد لأهل السنة باستحقاقها وعلى أهل البدع والأهواء أنهم ليسوا من أهلها[1].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ذم البدع ومحاربتها بالأدلة الكثيرة من كتاب الله عزوجل وسنة رسوله ﷺ وهذا طرف منها:

أولاً من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[2]، وقد فسَّر ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية بقوله: فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأولوا العلم وأما الذين أسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة[3].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[4].

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو

= حشوياً. انظر نونية ابن القيم بشرح الهراس ١/ ٣٣٣. وفتاوى ابن تيمية ٣/ ١٨٦.

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٥٢١.

(٢) آل عمران ١٠٥.

(٣) ذكره اللالكائي في شرح أصول أهل السنة والجماعة برقم ٧٤.

(٤) النور: ٦٣.

مردود على قائله وفاعله كائناً من كان إلى أن قال: أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً أو ظاهراً أن تصيبهم فتنة أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة أو يصيبهم عذاب أليم أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك»[١].

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ قوله ﷺ: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»** وفي رواية أخرى: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**[٢]. قال النووي: هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات[٣].

٢ ـ قوله ﷺ: **«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة»**[٤].

ووجه الدلالة في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة السابقة ظاهر في أهمية المتابعة وحرمة الابتداع والإحداث في دين الله.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٠٧.

(٢) رواه البخاري تعليقاً في كتاب الاعتصام بالسنة باب إذا اجتهد الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود لقول النبي ﷺ «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» فتح الباري ١٣/ ٣٢٩ ورواه مسلم ح١٧١٨.

(٣) شرح النووي على مسلم ٦/ ٢٥٧.

(٤) سبق تخريجه. ص ٤١٤

المبحث الثالث
البدع الاعتقادية

يقسم العلماء البدع بحسب حالها إلى قسمين:
بدع اعتقادية.
بدع عملية.

ويعنون بالبدع الاعتقادية ما كان له صلة بالعقيدة وهو مخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف هذه الأمة ومن أمثلة تلك البدع بدع الخوارج والمعتزلة والجهمية والقدرية والرافضة والمرجئة وغيرها وهذه البدع تتفاوت في درجاتها بحسب بعدها أو قربها من أصول الدين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والبدع نوعان، نوع في الأقوال والاعتقادات ونوع في الأفعال والعبادات وهذا الثاني يتضمن الأول كما أن الأول يدعو إلى الثاني فالمنتسبون إلى العلم والنظر وما يتبع ذلك يخاف عليهم إذا لم يعتصموا بالكتاب والسنة من القسم الأول، والمنتسبون إلى العبادة والنظر والإرادة وما يتبع ذلك يخاف عليهم إذا لم يعتصموا بالكتاب والسنة من القسم الثاني[1].

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يبدو أنه حينما يتحدث عن البدع ويحذر منها فإنمايعني البدع الاعتقادية بدليل وقوعه في بعض البدع العملية ـ في العبادة ـ كما سيتضح في المبحث الآتي وهو ما يجعلنا نحمل كل تحذيراته على البدع الاعتقادية من ذلك قوله:

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٢/ ٣٠٦، ٣/ ٣٥٠.

«فعلى المؤمن اتباع السنة والجماعة، فالسنة ما سنه رسول الله ﷺ والجماعة ما اتفق عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين المهديين رحمة الله عليهم أجمعين». ثم بعد هذا التعريف لأهل السنة و الجماعة يحذر من أهل البدع فيقول: «وألا يكاثر أهل البدع ولا يدانيهم ولا يسلم عليهم لأن الإمام أحمد رحمه الله قال: من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه[1] ولقول النبي ﷺ: «أفشوا السلام بينكم تحابوا»[2]. ولا يجالسهم ولا يقرب منهم ولا يهنيهم في الأعياد وأوقات السرور ولا يصلي عليهم إذا ماتوا ولا يترحم عليهم إذا ذكروا بل يباينهم ويعاديهم في الله عزوجل معتقداً ومحتسباً بذلك الثواب الجزيل والأجر الكثير»[3].

وما ألمح إليه الشيخ عبدالقادر الجيلاني في كلامه السابق من ضرورة مباينة ومعاداة أهل البدع وانتفاء جميع الحقوق التي شرعها الإسلام للمسلم كحق الصلاة عليهم والترحم عليهم[4] يدل دلالة

---

(١) لم أجد هذا النص عن الإمام أحمد ولكني وجدت نصاً قريباً منه وهو قوله: (لا يجالس صاحب البدعة ولا يكلم لعله أن يرجع) ذكره ابن بطة في الإبانة الكبرى ٢/ ٤٧٥.

(٢) الحديث رواه مسلم ح٥٤ بلفظ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم».

(٣) الفنية للجيلاني ١/ ٨٠.

(٤) الصلاة على الميت دعاء له بالمغفرة وطلب له بأن يرحمه الله وقد نهى الله نبيه عن الصلاة على المنافقين بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤] وكذلك نهى الله نبيه عن الاستغفار للمشركين بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣] أما من مات من المسلمين فالصلاة عليه مشروعة سواءً كان الميت عدلاً أو فاسقاً مادام أنه مسلم لم يأت بما ينقض أصل إسلامه.

واضحة على ما سبق أن ذكرناه من أنه يعني بذلك أهل البدع الاعتقادية ويزيد هذا الأمر وضوحاً تعريف الشيخ عبدالقادر لأهل البدع بعلامات يعرفون بها. فيقول:

«واعلم أن لأهل البدع علامات يعرفون بها فعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر بالحشوية وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر ناصبة وكل ذلك عصبية وغياظ لأهل السنة ولا اسم لهم إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث ولا يلتصق بهم ما لقبهم به أهل البدع كما لم يلتصق بالنبي ﷺ تسمية كفار مكة له ساحراً وشاعراً ومجنوناً ومفتوناً وكاهناً ولم يكن اسمه عند الله وعند ملائكته وعند إنسه وجنه وسائر خلقه إلا رسولاً نبياً بريئاً من العاهات كلها»[1].

فانظر كيف ساق وفصَّل أقوالهم ثم وصفهم بأنهم أهل البدعة في قوله: **«ولا يلتصق بهم ما لقبهم به أهل البدعة»**.

وهذا التعريف للشيخ الجيلاني قد سبقه إليه الإمام الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث حيث يقول:

«وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم واستخفافهم بهم وتسميتهم إياهم حشويه وجهله وظاهرية ومشبهة اعتقاداً منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل عن العلم وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ووساوس صدورهم المظلمة وهواجس قلوبهم الخالية من الخير وكلماتهم وحججهم

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٨٠.

العاطلة بل شبههم الداحضة الباطلة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾[(١)] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾[(٢)] إلى أن قال رحمه الله:

«وكل ذلك عصبية ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث وقد رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة ولا يلحقهم شيء منها فضلاً من الله ومنة سلكوا معهم مسلك المشركين لعنهم الله مع رسول الله ﷺ. فإنهم اقتسموا القول فيه فسماه بعضهم ساحراً وبعضهم كاهناً وبعضهم مجنوناً وبعضهم مفتوناً وبعضهم مفترياً مختلقاً كذاباً وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بعيداً بريئاً ولم يكن إلا رسولاً مصطفى نبياً قال الله عزوجل: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾[(٣)].

وكذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حملة أخباره ونقلة آثاره ورواة أحاديثه المقتدين به المهتدين بسنته المعروفين بأصحاب الحديث فسماهم بعضهم حشوية وبعضهم مشبهة وبعضهم نابتة وبعضهم ناصبة وبعضهم جبرية.

وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعائب بريئة زكية نقية وليسوا إلا أهل السنة المُضِيّة والسيرة المرضية والسبل السوية والحجج البالغة القوية قد وفقهم الله جل جلاله لاتباع كتابه ووحيه

---

(١) محمد: ٢٣.
(٢) الحج: ١٨.
(٣) الإسراء ٤٨، والفرقان ٩.

وخطابه واتباع أقرب أوليائه والاقتداء برسوله ﷺ في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل وزجرهم فيها عن المنكر منهما وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته وجعلهم من أتباع أقرب أوليائه وأكرمهم وأعزهم عليه وشرح صدورهم لمحبته ومحبة أئمة شريعته وعلماء أمته ومن أحب قوماً فهو معهم يوم القيامة بحكم قول رسول الله ﷺ «**المرء مع من أحب**»[١][٢].

(١) رواه البخاري ح٦١٦٨ ومسلم ح٢٦٣٠.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص١٠٥.

المبحـــث الرابـــع
البـــدع العمليـــة

هذا القسم من البدع حدث من بعض المتأخرين من العباد والزهاد ولم يحدث منه شيء في زمن الصحابة والتابعين وإذا وقع فبشكل محدود تتم محاربته ومواجهته والقضاء عليه في مهده.

من ذلك بدعة الذكر الجماعي، فعندما كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في الكوفة في العراق ظهرت تلك البدعة فرد عليها.

فقد روى الإمام الدارمي في سننه أن عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبدالله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبوموسى الأشعري فقال: أَخَرَجَ إليكم أبوعبدالرحمن بعد؟ قلنا: لا؛ فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً فقال له أبوموسى: ياأباعبدالرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصىً فيقول: كبروا مائة فيكبرون مائة، فيقول هللوا مائة فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم؟

ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقه من تلك الحلق فوقف

عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: ياأباعبدالله حصىً نعد به التكبير والتهليل والتسبيح قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم ياأمة محمد ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة. قالوا: والله ياأبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه[١].

وقد كانت هذه البدع أكثر انتشاراً في الناس من البدع الاعتقادية يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«فالبدع الكثيرة التي حصلت في المتأخرين من العباد والزهاد والفقراء[٢] والصوفية ولم يكن عامتها في زمن التابعين وتابعيهم بخلاف أقوال أهل البدع القولية فإنها ظهرت في عصر الصحابة والتابعين فعلم أن الشبهة فيها أقوى وأهلها أعقل وأما بدع هؤلاء فأهلها أجهل وهم أبعد عن متابعة الرسول ﷺ»[٣].

ولما كانت العصمة للأنبياء فقط. وغيرهم معرض للخطأ والزلل فقد وقع الشيخ عبدالقادر الجيلاني في الكثير من البدع العملية التي سوف نوردها ونتحدث عنها بالتفصيل وهذا لا يحط من قدره رحمه الله بل نسلك معه مسلك أهل السنةوالجماعة في تقويم الرجال بإعطائه حقه ومحبته بقدر ما فيه من الإيمان والهدي مع عدم موافقته فيما أخطأ فيه ونحن نجد هذا المنهج مطبقاً أثناء كلامهم على

---

(١) سنن الدارمي ١/ ٧٩ وصححه الألباني في السلسلة ح٢٠٠٥.

(٢) الفقراء لقب من ألقاب النساك لأنهم يتعمدون إظهار الفقر وهي أسبق من كلمة التصوف.

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩/ ٢٧٤.

الرجال.

فالذهبي رحمه الله يبدأ بالثناء على الرجل بتبيين محاسنه وأعماله الطيبة ثم يبين ما وقع فيه من الخطأ أو البدع فمثلاً عندما ترجم في السير لابن تومرت البربري قال عنه الشيخ الإمام الفقيه الأصولي الزاهد كان أماراً بالمعروف نهاءاً عن المنكر قوي النفس زعراً شجاعاً ذا هيبة ووقار. وجلالة في معاملة وتأله. انتفع به خلق. واهتدوا في الجملة وملكوا المدائن وقهروا الملوك. وكان خشن العيش فقيراً قانعاً ثم قال عنه: وهو يوضح بدعته: وكان لهجاً بعلم الكلام خائضاً في مزال الأقدام ربط البربر بادعاء العصمة وأقدم على الدماء إقدام الخوارج»[١].

ونحن نترحم على الشيخ عبدالقادر ونعتذر له ونرجوا الله أن يغفر له وأن يتجاوز عنه فإن هذه الزلات مغمورة ببحر حسناته ومناقبه والخطأ لم يسلم منه أحد من العلماء ومع ذلك لم يقدح في إمامتهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«وكثير من مجتهدي السلف قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنها بدعة إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[٢] وفي الصحيح أن الله قال قد

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/٥٣٩.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

فعلت[١]»[٢].

وخلال تاريخ الأمة الإسلامية الطويل وقع بعض الأئمة الأعلام في بعض الزلات العظام ولم يتابعوا عليها فقد قال ابن عباس بالمتعة ثم رجع[٣] ولم يحط ذلك من قدره بل له منزلته العالية وقدره الرفيع قبل هذا القول وبعده.

وهذا مجاهد بن جبر يفسر المقام المحمود بجلوس النبي ﷺ مع الله سبحانه وتعالى على العرش وقد أنكر السلف هذا القول ولم يقدح ذلك في إمامة مجاهد وعلو منصبه في التفسير[٤].

وهذا سعيد بن جبير ساهم في الخروج على الولاة مع عبدالرحمن بن الأشعث ولم يقره علماء السلف على هذا الفعل ومع

---

(١) هذا الحديث رواه مسلم في الصحيح رقم (١٢٦) ونصه عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ قال: دخل في قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء فقال النبي ﷺ: «قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا» قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال قد فعلت، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال قد فعلت، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا﴾ قال قد فعلت.

(٢) فتاوى ابن تيمية ١٩/ ١٩١.

(٣) قال ابن قدامة في المغني عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس لقد كثرت في المتعة حتى قال فيها الشاعر:

أقول وقد طال الثواء بنا معاً ... ياصاح هل لك في فتيا ابن عباس

هل لك في رخصة الأطراف آنسة ... تكون مثواك حتى مصدر الناس

فقام خطيباً وقال إن المتعة كالميتة والدم ولحم الخنزير وأما إذن رسول الله ﷺ فيها فقد ثبت نسخه) المغني والشرح الكبير ٧/ ٥٧٢.

(٤) انظر الكلام حول المقام المحمود في هذه الرسالة ص.

هذا عذروه ولم ينسوا له فضله[١].

وخلاصة القول: أن ما يقع من هفوة أو زلة من عالم صالح فإن الواجب الاعتذار له والاستغفار له مع بيان تلك الهفوة والتحذير منها وهو ما سنسلكه مع الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله وهذا بيان لتلك البدع:

(١) انظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢١.

أولاً: بدعة السفر إلى قبر النبي ﷺ:

يقول الشيخ عبدالقادر الجيلاني غفر الله لنا وله:

«وينبغي أن يكون سفره لطاعة من الطاعات كالحج أو زيارة النبي ﷺ»[(١)].

وكلام الشيخ عبدالقادر حول زيارة النبي ﷺ، له احتمالان:

الأول: أن يكون ذلك في حياته ﷺ فلا شك في مشروعية ذلك لأنه قربه من القرب وطاعة من الطاعات.

الاحتمال الثاني: أن يكون ذلك بعد مماته صلوات الله وسلامه عليه أي قصده في قبره بالزيارة فهذا ما فهم سلف الأمة وأئمتها عدم مشروعيته من قوله ﷺ: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا»**[(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد كره مالك وغيره أن يقول الرجل: زرت قبر الرسول ﷺ. لأن هذا اللفظ لم يرد. والأحاديث المروية في زيارة قبره كلها ضعيفة، بل كذب وهذا اللفظ صار مشتركاً في عرف المتأخرين يراد به الزيارة البدعية التي في معنى الشرك كالذي يزور القبر ليسأل أو يسأل الله به أو يسأل الله عنده»[(٣)].

---

(١) الفنية للجيلاني ١/ ٣٤.
(٢) رواه البخاري ح١١٨٩ ومسلم ح١٣٩٧.
(٣) فتاوى ابن تيمية ١/ ٣٥٥.

ثانياً: قصد القبر للاستغفار والدعاء:

يقول الشيخ عبدالقادر الجيلاني:

«فإذا منَّ الله تعالى عليه بالعافية وقدم المدينة فالمستحب له أن يأتي مسجد النبي ﷺ ثم يأتي القبر وليكن حذاءه بينه وبين القبلة ويجعل جدار القبلة خلف ظهره والقبر أمامه والمنبر عن يساره وليقم مما يلي المنبر وليقل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم آت سيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود الذي وعدته. اللهم صل على روح محمد في الأرواح وصل على جسده في الأجساد كما بلَّغ رسالتك وتلا آياتك وصَدَعَ بأمرك وجاهد في سبيلك وأَمَرَ بطاعتك ونهى عن معصيتك وعادى عدوك ووالى وليك وعبدك حتى أتاه اليقين. اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[1] وإني أتيت نبيك تائباً من ذنوبي مستغفراً فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حال حياته فأقرَّ عنده بذنوبه فدعا له نبيه فغفرت له. اللهم إني أتوجه إليك بنبيك عليه سلامك نبي الرحمة يارسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي اللهم إني أسألك بحقه أن تغفر لي وترحمني اللهم اجعل محمداً أول الشافعين وأنجح السائلين وأكرم الأولين والآخرين اللهم كما آمنا به ولم نره وصدقنا به ولم نلقه فأدخلنا مدخله واحشرنا في زمرته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشرباً روياً سائغاً هنيئاً لا نظمأ بعده أبداً غير خزايا ولا ناكثين ولا مارقين

---

(١) النساء: ٦٤.

ولا جاحدين ولا مرتابين ولا مغضوباً عليهم ولا ضالين واجعلنا من أهل شفاعته ثم يتقدم عن يمينه ثم ليقل السلام عليكما ياصاحبي رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته. السلام عليك ياأبابكر الصديق السلام عليك ياعمر الفاروق اللهم اجزهما عن نبيهما وعن الإسلام خيراً واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ثم يصلي ركعتين ويجلس ويستحب أن يصلي بين القبر والمنبر في الروضة وإن أحب أن يتمسح بالمنبر تبركاً به»(١) .

وكلام الشيخ عبدالقادر الجيلاني هذا يتضمن عدة أمور:

- السؤال بحق النبي ﷺ.
- استقبال القبر حال السلام.
- استقبال القبر حال الدعاء للنفس.
- التوجه إلى الله بالنبي ﷺ.
- التبرك بالمنبر بالتمسح به وهذا بيانها.

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ١١ـ١٢.

١ ـ السؤال بحق النبي ﷺ

السؤال والدعاء يرفع من جانب العبد الضعيف المحتاج. إلى الغني الذي لا حدَّ لغناه. والإجابة على الدعاء تأتي تفضلاً من الله ومنة. وليس لأحد أن يلزم الله بالإجابة بناءً على حق أحد كائناً من كان. ولذا لم يكن السلف يسألون الله بحق أحد. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«فأما التوسل بذاته في حضوره أو مغيبه أو بعد موته مثل الإقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشهور عند الصحابة والتابعين بل عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان. ومن بحضرتهما من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان لماأجدبوا استسقوا وتوسلواواستشفعوا بمن كان حياًكالعباس ويزيد بن الأسود ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا في هذه الحال بالنبي ﷺ لا عند قبره ولا غير قبره بل عدلوا إلى البدل كالعباس وكيزيد بل كانوا يصلون عليه في دعائهم وقد قال عمر: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا»[١]. فجعلوا هذا بدلاً عن ذلك لما تعذَّر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه وقد كان من الممكن أن يأتوا قبره فيتوسلوابه ويقولوا في دعائهم. في الصحراء بالجاه ونحو ذلك من الألفاظ التي تتضمن القسم بمخلوق على الله عزوجل أو السؤال به فيقولون نسألك أو نقسم عليك بنبيك أوبجاه نبيك ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس[٢]

(١) رواه البخاري ح١٠١٠.

(٢) فتاوى ابن تيمية ٣١٨/١.

٢ ـ استقبال القبر أثناء السلام على النبي ﷺ

وهذا الفعل لا شك في مشروعيته لفعل الصحابة وأئمة السلف لذلك لأنه مقتضى السلام إذ لا يتوقع ألا يكون السلام إلا مع المواجهة. وقد ورد عن بعضهم عدم استقبال القبر لا عند السلام ولا عند الدعاء وهذا مرجوح. يقول شيخ الإسلام رحمه الله:

«ومذهب الأئمة الأربعة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة الإسلام أن الرجل إذا سلم على النبي ﷺ وأراد أن يدعو لنفسه فإنه يستقبل القبلة واختلفوا في وقت السلام عليه فقال الثلاثة مالك والشافعي وأحمد يستقبل الحجرة ويسلم عليه من تلقاء وجهه وقال أبوحنيفة لا يستقبل الحجرة وقت السلام كما لا يستقبلها وقت الدعاء باتفاقهم ثم في مذهبه قولان: قيل يستدبر الحجرة، وقيل يجعلها عن يساره»[١].

---

(١) فتاوى ابن تيمية ١٢/ ٣٥٢.

٣ - الدعاء للنفس أثناء استقبال القبر

يرى الشيخ عبدالقادر الجيلاني مشروعية ذلك كما سبق بيانه في كلامه، والصحيح أن هذا العمل غير مشروع بل نص على بدعيته الإمام مالك رحمه الله. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«عن عبدالله بن دينار[١] قال: رأيت عبدالله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي يدعو لأبي بكر وعمر وكذلك أنس بن مالك وغيره نقل عنهم أنهم كانوا يسلمون على النبي ﷺ فإذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة يدعون الله تعالى لا يدعون مستقبلي الحجرة. وإن كان قد وقع في بعض ذلك طوائف من الفقهاء والصوفية والعامة ممن لا اعتبار بهم فلم يذهب إلى ذلك إمام متبع في قوله ولا من له في الأمة لسان صدق عام إلى أن قال رحمه الله:

وأما وقت الدعاء فلم يتنازعوا في أنه إنما يستقبل القبلة لا الحجرة والحكاية التي تذكر عن مالك أنه قال للمنصور لما سأله عن استقبال الحجرة فأمره بذلك وقال هو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم كذب على مالك ليس لهاإسناد معروف وهو خلاف الثابت المنقول عنه بأسانيد الثقات في كتب أصحابه كما ذكره إسماعيل بن إسحاق القاضي[٢] وغيره مثل ما ذكروا عنه أنه سئل عن أقوام يطيلون القيام

---

(١) الإمام المحدث الحجة أبوعبدالرحمن عبدالله بن دينار العدوي العمري حدث عن ابن عمر وأنس وجماعة وروى عن شعبة ومالك وسفيان الثوري توفي سنة ١٢٧/ سير أعلام النبلاء/ ٥/ ٢٥٣.

(٢) الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام إسماعيل بن إسحاق القاضي صاحب التصانيف ولد سنة ١٩٩ واعتنى بالعلم من الصغر ولى القضاء في بغداد ونشر مذهب مالك له=

مستقبلي الحجرة يدعون لأنفسهم فأنكر مالك ذلك وذكر أنه من البدع التي لم يفعلها الصحابة والتابعون لهم بإحسان وقال: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. ولا ريب أن الأمر كما قاله مالك فإن الآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين تبين أن هذا لم يكن من عملهم وعادتهم ولو كان استقبال الحجرة عند الدعاء مشروعاً لكانوا هم أعلم بذلك وكانوا أسبق إليه ممن بعدهم. والداعي يدعو الله وحده وقد نهى عن استقبال الحجرة عند دعائه لله تعالى كما نهى عن استقبال الحجرة عند الصلاة لله تعالى كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن أبي مرثد الغنوي[1] أن النبي ﷺ قال: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**»[2]، فلا يجوز أن يصلي إلى شيء من القبور لا قبور الأنبياء ولا غيرهم لهذا الحديث الصحيح[3].

= كتاب (أحكام القرآن ومعاني القرآن) وغيرها. مات سنة ٢٨٢/ سير أعلام النبلاء ١٣/٣٣٩.

(١) مرثد بن أبي مرثد الغنوي صحابي وأبوه صحابي واسمه كنَّاز وهو وأبوه ممن شهد بدراً وقد استشهد رضي الله عنه في غزاة الرجيع سنة ثلاث للهجرة. الإصابة لابن حجر ٦/٧٨.

(٢) رواه مسلم ح٩٧٢.

(٣) فتاوى ابن تيمية ١/٣٥٢.

٤ ـ التوجه إلى الله بالنبي ﷺ

حيث يقول الشيخ عبدالقادر : «يارسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي».

هذا سؤال من النبي ﷺ وطلب قضاء حاجة منه والمعلوم عند علماء أهل السنة والجماعة أنه لا يجوز دعاء الأموات ولا سؤالهم الحاجات لأنه لم يعد بإمكانهم بعد موتهم إجابة دعوة الداعي بدفع ضر أو جلب نفع حتى ولو كان المدعو رسول الله ﷺ. بل إن الأموات هم أهل الحاجة إلى الأحياء بالدعاء لهم والاستغفار يقول الله عزوجل: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾[1] ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله:

«ولا خلاف بين المسلمين أنه لا يشرع أن يقصد الصلاة إلى القبر بل هذا من البدع المحدثة وكذلك قصد شيء من القبور لاسيما قبور الأنبياء والصالحين عند الدعاء فإذا لم يجز قصد استقباله عند الدعاء لله تعالى فدعاء الميت نفسه أولى ألا يجوز كما أنه لا يجوز أن يصلي مستقبله فلأن لا يجوز الصلاة له بطريق الأولى، فعلم أنه لا يجوز أن يسأل الميت شيئاً ولا يطلب منه أن يدعو له ولا غير ذلك. ولا يجوز أن يشكي إليه شيء من مصائب الدنيا والدين ولو جاز أن يشكي إليه ذلك في حياته فإن ذلك في حياته لا يفضي إلى الشرك وهذا يفضي إلى الشرك لأنه في حياته مكلف أن يجيب سؤال

(١) فاطر: ١٤.

من سأله لما في ذلك من الأجر والثواب وبعد الموت ليس مكلفاً بل ما يفعله من ذكر لله تعالى ودعاء ونحو ذلك، كما أن موسى يصلي في قبره ـ كما صلى الأنبياء خلف النبي ﷺ ليلة المعراج ببيت المقدس وتسبيح أهل الجنة والملائكة ـ فهم يمتعون بذلك وهم يفعلون ذلك بحسب ما يسره الله لهم ويقدره لهم. ليس هو من باب التكليف الذي يمتحن به العباد.

وحينئذٍ فسؤال السائل للميت لا يؤثر في ذلك شيئاً بل ما جعله الله فاعلاً له هو يفعله وإن لم يسأله العبد كما يفعل الملائكة بما يؤمرون به وهم أنما يطيعون أمر ربهم لا يطيعون أمر مخلوق كما قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[1]، فهم لا يعملون إلا بأمره سبحانه وتعالى ولا يلزم من جواز الشيء في حياته جوازه بعد موته فإن بيته كانت الصلاة فيه مشروعة وكان يجوز أن يجعل مسجداً ولما دفن فيه حرم أن يتخذ مسجداً.

إلى أن قال رحمه الله... الثالثة أن يقال أسألك بفلان أو بجاه فلان عندك ونحو ذلك الذي تقدم عن أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما أنه ينهى عنه وتقدم أيضاً أن هذا ليس بمشهور عن الصحابة بل عدلوا عنه إلى التوسل بدعاء العباس»[2].

---

(١) الأنبياء: ٢٦، ٢٧.

(٢) فتاوى ابن تيمية: ١/ ٣٥٤.

٥ ـ جواز التمسح بالمنبر للتبرك

فيقول كما تقدم بيانه: «**وإن أحب أن يتمسح بالمنبر تبركاً به**» ولا شك ولا ريب أن رسول الله ﷺ بركة على أمته وأن التبرك به وبشعره وريقه وبما فضل عن وضوئه مما جوَّزه علماء أهل السنة والجماعة لورود الأحاديث الصحيحة الدالة على مشروعيته منها:

* حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها فربما جاءه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها»[١].

* حديث أنس بن مالك أيضاً قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها[٢] وليست فيه قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأتيت فقيل لها هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم الفراش ففتحت عتيدتها[٣] فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع النبي ﷺ فقال: ما تصنعين ياأم سليم فقالت: يارسول الله نرجو بركته لصبياننا قال: أصبت»[٤].

فهذه الأحاديث وغيرها تدل دلالة واضحة على مشروعية التبرك

---

(١) رواه مسلم ح٢٣٢٤.

(٢) قال النووي لأنها كانت محرماً له وفيه الدخول على المحارم والنوم عندهن وفي بيوتهن/ شرح صحيح مسلم للنووي ٨/ ٩٤.

(٣) العتيدة بعين مهملة، مفتوحة ثم مثناه من فوق ثم من تحت وهي كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها/ المرجع السابق ٨/ ٩٤.

(٤) رواه مسلم ح٢٣٣١.

بآثار النبي ﷺ.

أما المنبر والتمسح به فهو مما اختلف العلماء في حكم وضع اليد عليه يوم كان موجوداً فقد كرهه الإمام مالك وغيره لأنه بدعة ولما رأى عطاء يفعل ذلك لم يأخذ عنه العلم ورخص فيه الإمام أحمد وغيره لفعل ابن عمر له ولكن ذلك التجويز إنما كان للمنبر الذي مات عنه رسول الله ﷺ وكان يخطب عليه في حياته. أما بعد زوال المنبر وتغييره فلم يعد هناك مبرر للتبرك بوضع اليد عليه لأن الرسول ﷺ لم يخطب عليه ولم يمسه يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركني البيت ـ اللذان يليان الحجر ـ ولا جدران البيت ولا مقام إبراهيم ولا صخرة بيت المقدس ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين حتى تنازع الفقهاء في وضع اليد على منبر سيدنا رسول الله ﷺ لما كان موجوداً فكرهه مالك وغيره لأنه بدعة وذكر أن مالكاً لما رأى عطاء فعل ذلك لم يأخذ عنه العلم ورخص فيه أحمد وغيره لأن ابن عمر رضي الله عنهما فعله وأما التمسح بقبر النبي ﷺ وتقبيله فكلهم كره ذلك ونهى عنه وذلك لأنهم علموا ما قصده النبي ﷺ من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله رب العالمين»[1].

(١) فتاوى ابن تيمية ٢٧/ ٧٩.

ثالثاً: بدعة تخصيص رجب ببعض العبادات

يخص أهل البدع والأهواء شهر رجب بعبادات لم يأذن بها الله ولم يشرعها رسوله صلوات الله وسلامه عليه ولا فعلها أصحابه رضوان الله عليهم ولم تعرف في القرون المفضلة وإنما أحدثت عند غلبة الجهل وبُعْد الناس عن السنة ولازالت تقع من العوام والجهلة حتى يومنا هذا وهي ما يسمونه بالعمرة الرجبية وليلة الإسراء والمعراج وغيرها. وقد وقع الشيخ عبدالقادر الجيلاني غفر الله لنا وله في شيء من ذلك فقد عقد مجلساً في فضائل شهر رجب بدأه بتعريف لغوي لاسم رجب وقال:

«رجب هو اسم من الأسماء المشتقة واشتقاقه من الترجيب والترجيب هو التعظيم عند العرب يقال: رجبت هذا الشهر إذا عظمته ثم ساق العديد من الأقوال في تسمية رجب ختمها بقوله: فرجب ثلاثة أحرف راء وجيم وباء فالراء رحمة الله عزوجل والجيم جود الله تعالى والباء بِرُّ الله تعالى فَمِنْ أوَّلِ هذا الشهر إلى آخرِه منَّ الله عزوجل بثلاث عطايا للعباد رحمة بلا عذاب وجود بلا بخل وبر بلا جفاء ثم ذكر بعد ذلك أسماء أخرى لشهر رجب وذكر أن الدعاء فيه مستجاب على الظلمة وكل جائر ولهذا كانت الجاهلية يؤخرون دعواتهم على من ظلمهم فيدعون عليه في رجب فلا يرد خائباً. ثم أورد حديثاً استدل به على مشروعية صيام أيام من شهر رجب وهو:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

﴿وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[1] فرجب يقال له: شهر الله الأصم وثلاث أخر متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم.

ألا أن رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي فمن صام من رجب يوماً إيماناً واحتساباً استوجب رضوان الله الأكبر وأسكن الفردوس الأعلى.

ومن صام منه يومين فله من الأجر ضعفان وزن كل ضعف مثل جبال الدنيا.

ومن صام من رجب ثلاثة أيام جعل الله بينه وبين النار خندقاً طوله مسيرة سنة.

ومن صام من رجب أربعة أيام عوفي من البلايا ومن الجنون والجذام والبرص. ومن فتنة المسيح الدجال.

ومن صام منه خمسة أيام وُقِيَ من عذاب القبر.

ومن صام منه ستة أيام خرج من قبره ووجهه أضوأ من القمر في ليلة البدر.

ومن صام منه سبعة أيام فإن لجهنم سبعة أبواب يغلق الله عنه بصوم كل يوم من أيامه باباً من أبوابها.

ومن صام منه ثمانية أيام فإن للجنة ثمانية أبواب يفتح الله له بصوم كل يوم باباً من أبوابها.

ومن صام منه تسعة أيام خرج من قبره وهو ينادي أشهد ألا إله إلا الله. ولا يرد وجهه دون الجنة.

---

(١) التوبة: ٣٦.

ومن صام منه عشرة أيام جعل الله تعالى له على كل ميل من الصراط فراشاً يستريح عليه.

ومن صام منه إحدى عشر يوماً لم ير في القيامة أفضل منه إلا من صام مثله أو زاد عليه.

ومن صام من رجب اثني عشر يوماً كساه الله تعالى يوم القيامة حلتين الحلة الواحدة خير من الدنيا وما فيها.

ومن صام من رجب ثلاثة عشر يوماً يوضع له يوم القيامة مائدة في ظل العرش فيأكل عليها والناس في شدة شديدة.

ومن صام من رجب أربعة عشر يوماً أعطاه الله عزوجل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومن صام منه خمسة عشر يوماً يوقفه الله تعالى يوم القيامة موقف الآمنين ولا يمر به ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا قال له: طوبى لك إنك من الآمنين».

هذا حديث موضوع تشهد ألفاظه الغريبة وأسلوبه الركيك على أنه لم يخرج من مشكاة النبوة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. وقد صرح العلماء بوضعه قال ابن الجوزي حديث موضوع على رسول الله ﷺ. الموضوعات لابن الجوزي/ ٢/ ٢٠٥.

ثم ساق الشيخ عبدالقادر أثراً غريباً: عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلاً سأله عن صيام رجب فقال: سألت عن شهر كانت الجاهلية تعظمه في جاهليتها وما زاده الإسلام إلا فضلاً وتعظيماً.

ومن صام منه يوماً تطوعاً يحتسب به ثواب الله تعالى ويبتغي به وجهه مخلصاً أطفأ صومه ذلك اليوم غضب الله تعالى، وأغلق عنه باباً

من أبواب النار ولو أعطى ملء الأرض ذهباً ما كان جزاءً له. ولا يستكمل أجر شيء من الدنيا دون يوم الحساب وله إذا أمسى عشر دعوات مستجابات فإن دعا به لشيء من عاجل الدنيا أعطيه وإلا ادخر له من الخير كأفضل ما دعا به داعٍ من أولياء الله تعالى وأصفيائه.

ومن صام يومين كان له مثل ذلك وله مع ذلك أجر عشرة من الصديقين في عمرهم بالغة أعمارهم ما بلغت وشفع في مثل ما يشفعون فيه ويكون في زمرتهم حتى يدخل الجنة معهم ويكون من رفقائهم.

ومن صام ثلاثة الأيام كان له مثل ذلك. وقال الله تعالى عند إفطاره لقد وجب حق عبدي هذا ووجبت له محبتي وولايتي أشهدكم ياملائكتي أني قد غفرت له من ذنبه ما تقدم وما تأخر.

ومن صام أربعة أيام كان له مثل ذلك وثواب أولي الألباب التوابين ويعطى كتابه في أوائل الفائزين.

ومن صام خمسة أيام كان له مثل ذلك ويبعث يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ويكتب له عدد رمل عالج حسنات ويدخل الجنة ويقال له تمنَّ على الله ما شئت.

ومن صام ستة أيام كان له مثل ذلك ويعطى سوى ذلك نوراً يستضيء به أهل الجمع في القيامة ويبعث في الآمنين حتى يمر على الصراط بغير حساب ويعافى من عقوق الوالدين وقطيعة الرحم ويقبل الله عليه بوجهه إذا لقيه يوم القيامة.

ومن صام سبعة أيام كان له مثل ذلك ويغلق عنه سبعة أبواب النار ويحرمه الله على النار، ويوجب له الجنة يتبوأ منها حيث يشاء.

ومن صام ثمانية أيام كان له مثل ذلك وفتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخلها من أي باب شاء.

ومن صام تسعة أيام كان له مثل ذلك ويرفع كتابه في عليين ويبعث يوم القيامة في الآمنين ويخرج من قبره ووجهه نور يتلألأ ويشرف لأهل الجمع حتى يقولوا هذا نبي مصطفى وإن أدنى ما يعطى أن يدخل الجنة بغير حساب.

ومن صام عشر أيام فبخ فبخ فبخ له فيعطى مثل ذلك وعشرة أضعافه وهو ممن يبدل الله سيئاته حسنات ويكون من المقربين القوامين لله بالقسط وكان كمن عبدالله ألف عام صائماً قائماً صابراً محتسباً.

ومن صام عشرين يوماً كان له مثل ذلك وعشرون ضعفاً وهو ممن يزاحم إبراهيم خليل الله عليه السلام في قبته ويشفع في مثل ربيعة ومضر كلهم من أهل الخطايا والذنوب.

ومن صام ثلاثين يوماً كان له مثل ذلك وثلاثون ضعفاً وينادي منادٍ من السماء أبشر ياولي الله بالكرامة العظمى. قال: وما الكرامة العظمى؟ قال: النظر إلى وجه الله تعالى الجميل ومرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً طوبى لك طوبى لك غداً إذا كشف الغطاء وأفضيت إلى جسيم ثواب ربك الكريم فإذا نزل به ملك الموت سقاه الله تعالى عند خروج نفسه شربة من حياض الفردوس ويهون عليه سكرات الموت حتى ما يجد ألم الموت ويظل في قبره ريان حتى يرد حوض النبي ﷺ وإذا خرج من قبره شيعه سبعون ألف ملك معهم النجائب من الدر والياقوت ومعهم طرائف الحلي والحلل فيقولون له ياولي الله النجاء النجاء إلى ربك عزوجل

الذي أظمأت له نهارك وأنحلت له جسدك فهو من أول الناس دخولاً جنات عدن يوم القيامة مع الفائزين رضي الله عنهم ورضوا عنه وذلك هو الفوز العظيم، قال: وإن كان له في كل يوم يصومه صدقة على زنة قوته تصدق بها فهيهات هيهات هيهات ثلاثاً لو اجتمع جميع الخلائق أن يقدروا قدر ما أعطى ذلك العبد من الثواب ما بلغوا معشار العشر مما أعطى الله ذلك العبد من الثواب».

هذا الأثر مكذوب وفيه من الدجل والتهاويل ما يشهد بكذبه وقد صرح بوضعه صاحب ذيل اللآليء ص١١٧ وقال هذا الإسناد ظلمات بعضها فوق بعض وداود كذاب وضاع كما صرح بوضعه صاحب تنزيه الشريعة ٢/ ١٦١.

بعدها عقد فصلاً في الأدعية المأثورة في أول ليلة من رجب وَذَكَرَ بعض الأدعية التي لم ترد بها أدلة شرعية ولم تؤثر عن النبي ﷺ.

ثم عقد فصلاً في تأكيد فضيلة صوم أول خميس من رجب والصلاة في أول ليلة جمعة منه مستدلاً بحديث موضوع عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي، قيل يارسول الله مامعنى قولك شهر الله؟ قال ﷺ: لأنه مخصوص بالمغفرة وفيه تحقن الدماء وفيه تاب الله على أنبيائه وفيه أنقذ أولياءه من أعدائه.

ومن صامه استوجب على الله ثلاثة أشياء: مغفرة لجميع ما سلف من ذنوبه وعصمته فيما بقى من عمره وأما الثالث فيأمن العطش يوم العرض الأكبر، فقام شيخ ضعيف فقال يارسول الله إني أعجز عن صيامه كله فقال رسول الله ﷺ: صم أول يوم منه وأوسط

يوم فيه وآخر يوم منه، فإنك تعطى ثواب من صامه كله فإن الحسنة بعشر أمثالها.

ولكن لا تغفلوا عن أول ليلة جمعة في رجب فإنها تسميها الملائكة ليلة الرغائب وذلك أنه إذا مضى ثلث الليل لا يبقى ملك في جميع السموات والأرضين إلا ويجتمعون في الكعبة وحواليها فيطلع الله تعالى عليهم إطلاعه فيقول: ملائكتي سلوني ما شئتم فيقولون: ربنا حاجتنا إليك أن تغفر لصوام رجب فيقول الله تعالى: قد فعلت ذلك، ثم قال رسول الله ﷺ: فما من أحد يصوم يوم الخميس أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين المغرب والعشاء العتمة يعني ليلة الجمعة اثنتا عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتا عشرة مرة. يفصل بين كل ركعتين بتسليمة فإذا فرغ من صلاته صلى عليَّ سبعين مرة يقول: اللهم صلِ على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم ثم يسجد سجدة يقول في سجوده سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة. ثم يرفع رأسه فيقول رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فإنك أنت العزيز الأعظم سبعين مرة. ثم يسجد الثانية فيقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل الله حاجته في سجوده فإنها تقضى. قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما من عبد ولا أمة صلى هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وعدد قطر الأمطار ووزن الأشجار وشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته فإذا كان أول ليلة في قبره جاءت ثواب هذه الصلاة بوجه طلق ولسان ذلق فيقول له ياحبيبي أبشر فقد نجوت من كل شدة فيقول من أنت فوالله ما رأيت رجلاً أحسن وجهاً منك ولا سمعت كلاماً أحلى من كلامك ولا

شممت رائحة أحلى من رائحتك فيقول له: ياحبيبي أنا ثواب تلك الصلاة التي صليتها في ليلة كذا في شهر كذا في سنة كذا جئت الليلة لأقضي حاجتك وأؤنس وحدتك وادفع عنك وحشتك فإذا نفخ في الصور أظللتك في عرصات القيامة على رأسك فأبشر فلن تعدم الخير من مولاك أبداً».

هذا الحديث باطل ومكذوب وشواهد البطلان ظاهرة عليه، وقد صرح بوضعه ابن الجوزي فقال: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ ثم قال: ولقد أبدع من وضع هذه الصلاة فإنه يحتاج من يصليها أن يصوم وربما كان النهار شديد الحر فإذا صام ولم يتمكن من الأكل حتى يصلي المغرب ثم يقف فيها، ويقع في ذلك التسبيح الطويل والسجود الطويل فيتأذى غاية الإيذاء وإني لأغار لرمضان ولصلاة التراويح كيف زوحم بهذه بل هذه عند العوام أعظم وأجل فإنه يحضرها من لا يحضر الجماعات/ الموضوعات لابن الجوزي ٢/ ١٢٤.

ثم عقد فصلاً آخر في فضل صيام السابع والعشرين من رجب[1].

وبتأمل تلك الفصول وما أورده من أحاديث نجد أنها تتضمن عدة أمور منها:

١ ـ قوله: أن حروف شهر رجب ثلاثة وأن حرف الراء يدل على رحمة الله سبحانه والجيم على وجود الله عزوجل والباء يدل على بر الله تعالى.

وقوله أن الدعاء على الظلمة مستجاب لأن الجاهلين كانوا

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ١٧٣ـ١٨٣.

يؤخرون دعاءهم على من ظلمهم حتى يدخل رجب.

وقوله هذا لا يستند على دليل من الكتاب الكريم أو السنة المطهرة، إذ كيف يمكن معرفة أن حروف شهر رجب تدل على تلك المعاني التي هي من أمور الغيب الذي لا يعرف إلا بالوحي

أما كون الدعوة تكون مستجابة في شهر رجب لأن أهل الجاهلية كانوا يدعون على من ظلمهم إذا دخل شهر رجب فهذا أيضاً يحتاج إلى دليل إذ أن معرفة زمن استجابة الدعاء من قبل الرب سبحانه وتعالى لا يعرف إلا بالوحي، وكون أهل الجاهلية يدعون في رجب مدعاة إلى إنكار هذا الفعل ومحاربته لأنه من أفعال الجاهلية التي أمرنا بمخالفتها وعدم الركون إليها.

٢ ـ استشهاده بالأحاديث الموضوعة على فضل شهر رجب والمكذوبة على رسول الله ﷺ كما بينها أهل العلم حسبما أوضحت سابقاً، وبالتالي فإن التعبد بها باطل إذ لا يثبت فعل الطاعة إلا بدليل شرعي صحيح، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«وأما صوم رجب بخصوصه فأحاديثه كلها ضعيفة بل موضوعة لا يعتمد أهل العلم على شيء منها وليست من الضعيف الذي يروى في الفضائل بل عامتها من الموضوعات والمكذوبات»[1].

٣ ـ صلاة أول ليلة من رجب ثم الدعاء فيها ببعض الأدعية وهذه الصلاة تسمى عند العوام صلاة الرغائب قد أوضحت أن الأحاديث التي ذكرها موضوعة ومكذوبة لا أصل لها ولا يحتج

(١) فتاوى ابن تيمية ٢٥/ ٢٩٠.

بها. يقول ابن تيمية رحمه الله:

«وأما صلاة الرغائب فلا أصل لها فلا تستحب لا جماعة ولا فرادى والأثر الذي ذكر فيها كذب موضوع باتفاق العلماء ولم يذكره أحد من السلف والأئمة أصلاً» إلى أن قال رحمه الله: «وصلاة الرغائب بدعة باتفاق أئمة الدين لم يسنها رسول الله ﷺ ولا أحد من خلفائه ولا استحبها أحد من أئمة الدين كمالك والشافعي وأحمدوأبي حنيفة والثوري والأوزاعي والليث وغيرهم والحديث المروي فيها كذب بإجماع أهل المعرفة بالحديث وكذلك الصلاة التي تذكر أول ليلة جمعة من رجب»[1].

ويقول ابن رجب رحمه الله: وأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة تختص به والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب في أول ليلة من شهر رجب كذب وباطل لا تصح وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء ومن ذكر ذلك من أعيان العلماء والمتأخرين من الحفاظ إسماعيل الأنصاري[2] وأبوبكر السمعاني وأبوالفضل بن ناصر[3] وأبوالفرج ابن الجوزي وغيرهم وإنما لم يذكرها المتقدمون لأنها أحدثت بعدهم. وأول ما ظهرت بعد الأربعمائة»[4].

---

(١) فتاوى ابن تيمية بتصرف يسير ٢٣/ ١٣٢.

(٢) إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير أبوإسحاق الأنصاري مولاهم المدني الإمام الحافظ قال يحيى بن معين عنه ثقة مأمون قليل الخطأ / الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ١٦٢.

(٣) محمد بن منصور بن محمد السمعاني حافظ محدث فقيه أديب توفي بمرو سنة ٥١٠/ سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٧٢.

(٤) لطائف المعارف لابن رجب ١٢٣.

رابعاً: بدعة تخصيص بعض الأيام وبعض الليالي بصلوات محددة

عقد الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ غفر الله لنا وله ـ فصلاً في ذكر فضائل الصلوات في أيام الأسبوع ولياليه واستدل على مشروعيتها بأحاديث موضوعة.

فمثلاً استدل على فضل صلاة الأحد بحديث: «**من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات وأعطاه ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة ثم أعطاه الله تعالى في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر**».

هذا حديث موضوع مختلق على رسول الله ﷺ وكذبه واضح في ألفاظه الركيكة وفي كتابة الحسنات بعدد كل نصراني ونصرانية وفي إعطاء الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر. وقد صرح العلماء بوضعه منهم ابن الجوزي في الموضوعات ٢/١١٦ وابن عراق في تنزيه الشريعة ٢/٨٦.

وفي فضل صلاة يوم الاثنين أورد حديثاً موضوعاً عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ:

«**من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد مرة والمعوذتين مرة فإذا سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي ﷺ عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها**».

هذا أيضاً حديث موضوع ذكره ابن الجوزي في الموضوعات

٢/ ١١٧ وابن عراق في تنزيه الشريعة ٢/ ٨٦.

وفي فضل صلاة يوم الثلاثاء ساق حديثاً موضوعاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم يكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوماً فإن مات إلى سبعين يوماً مات شهيداً وغفر له ذنوب سبعين سنة». وهذا الحديث موضوع ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ١١٨.

كما ساق أحاديث موضوعة في فضل صلاة بقية أيام وليالي الأسبوع[١].

وشواهد الوضع ظاهرة على تلك الأحاديث وهي كافية في ردها وعدم العمل والاحتجاج بها يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«وأشد من ذلك ما يذكره بعض المصنفين من الفضائل في الصلوات الأسبوعية والحولية كصلاة يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت المذكورة في كتاب أبي طالب[٢] وأبي حامد[٣] وعبدالقادر[٤] وغيرهم وكصلاة الألفية التي

---

(١) الغنية للجيلاني ٢/ ١٣٩ـ١٤٤.

(٢) شيخ الصوفية أبوطالب محمد بن علي بن عطية المكي كان مجتهداً في العبادة وعظ في بغداد وخلط في كلامه توفي سنة ٣٨٦هـ وله مصنف مشهور وهو قوت القلوب وهو الذي يعنيه شيخ الإسلام رحمه الله/ الأعلام للزركلي ٦/ ٢٧٤.

(٣) زين الدين أبوحامد الغزالي صاحب التصانيف والذكاء المفرط، له نحو مائتي مصنف فيلسوف متصوف ولد سنة ٤٥٠، ومات سنة ٥٠٥هـ/ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/ ٣٢٢. والأعلام للزركلي ٧/ ٢٢.

(٤) الشيخ عبدالقادر الجيلاني في كتابه الغنية الذي أشرنا إليه.

في أول رجب ونصف شعبان والصلاة الاثني عشرية التي في أول ليلة جمعة من رجب والصلاة التي في ليلة سبع وعشرين من رجب وصلوات أخرى تذكر في الأشهر الثلاثة وصلاة ليلتي العيدين وصلاة يوم عاشوراء وأمثال ذلك من الصلوات المروية عن النبي ﷺ مع اتفاق أهل المعرفة بحديثه أن ذلك كذب عليه ولكن بلغ ذلك أقواماً من أهل العلم والدين فظنوه صحيحاً فعملوا به وهم مأجورون على حسن قصدهم. واجتهادهم لا على مخالفة السنة وأما من تبينت له السنة فظن أن غيرها خير منها فهو ضال مبتدع بل كافر»[1].

وهذا الكلام العظيم هو الذي يليق بالشيخ عبدالقادر فإننا إذا تأملنا عقيدته ورغبته في متابعة الكتاب والسنة وتأكيده على ذلك في مثل قوله:

«وعلى المؤمن اتباع السنة والجماعة فالسنة ما سنه الرسول ﷺ والجماعة ما اتفق عليه أصحاب الرسول ﷺ»[2]. علمنا أنه لم يذهب إلى القول بالعمل بتلك الأحاديث الموضوعة إلالأنه ظن أنها صحيحة فعمل بها، واعتقاد صحة تلك الأحاديث والعمل بها قد يؤجر الشخص عليها إذا استفرغ جهده لمعرفتها أو سؤال المختصين عنها.

أما من يعمد إلى الأحاديث الموضوعة فيعمل بها وهو يعلم أن من الأحاديث ما هو مكذوب على رسول الله ﷺ. ولا يلحظ ذلك فيما يرويه ويبني عليه أحكاماً فهذا ربما كان ممن لا يشمله الخطأ في الاجتهاد لأنه لم يجتهد كما ينبغي والله أعلم.

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٤/ ٢٠١.

(٢) الغنية للجيلاني ١/ ٨٠.

خامساً: بدعة تخصيص يوم عاشوراء ببعض العبادات

التطوع بصيام يوم عاشوراء ثابت في سنة رسول الله ﷺ ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«قدم النبي ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فقال ماهذا قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. قال: فأناأحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه»[1].

والسنة في هذا اليوم أن يصام فحسب كما صامه ﷺ وأمر بصيامه. وهذا هو الحق في تعظيم هذا اليوم كما هو مذهب أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة.

ولكن الشيخ عبدالقادر الجيلاني غفر الله لنا وله ذكر فضائل لمن صام هذا اليوم مستشهداً على ذلك بأحاديث موضوعة منها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **من صام يوم عاشوراء من المحرم أعطى ثواب عشرة آلاف ملك.**

ومن صام يوم عاشوراء من المحرم أعطي ثواب عشرة آلاف شهيد وثواب عشرة آلاف حاج ومعتمر ومن مسح بيده على رأس يتيم يوم عاشوراء رفع الله تعالى له بكل شعرة على رأسه درجة في الجنة.

ومن فطر مؤمناً ليلة عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد ﷺ وأشبع بطونهم، قالوا يارسول الله لقد فضّل الله تعالى يوم

(١) رواه البخاري ح٢٠٠٤ ومسلم ح١١٣٠.

عاشوراء على سائر الأيام قال ﷺ: نعم خلق الله تعالى السموات في يوم عاشوراء، وخلق الجبال يوم عاشوراء، وخلق البحار في يوم عاشوراء، وخلق القلم يوم عاشوراء، وخلق اللوح يوم عاشوراء، وخلق آدم يوم عاشوراء، وأدخله الجنة يوم عاشوراء، وولد إبراهيم عليه السلام يوم عاشوراء، ونجاه الله من النار يوم عاشوراء، وفدى ابنه من الذبح يوم عاشوراء، وأغرق فرعون يوم عاشوراء، وكشف الله تعالى البلاء عن أيوب يوم عاشوراء، وتاب الله على آدم يوم عاشوراء، وغفر الله تعالى ذنب داود عليه السلام يوم عاشوراء».

هذا الحديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ وقد صرح بوضعه ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٢٠٢ وصاحب اللآليء المصنوعة ٢/ ٦١.

كما ذكر أن من آداب هذا اليوم التوسيع على الأهل في النفقة مستدلاً بحديث موضوع عن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من وسع على أهله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر سنته. هذا الحديث موضوع أيضاً قال ابن الجوزي في الموضوعات نقلاً عن العقيلي الحديث غير محفوظ ولا يثبت عن رسول الله ﷺ في حديث مسند ٢/ ٢٠٣.

كما استدل بقول سفيان بن عيينة أنه بلغه أن من وسَّع على عياله في يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر سنته وأن سفيان قال: إنه جرَّب ذلك منذ خمسين سنة فلم ير إلا سعةً.

كما أورد آثاراً في فضل الاكتحال في يوم عاشوراء وأنه إنما سُمِّيَ عاشوراء لأن الله تعالى أكرم فيه عشرة من الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام بعشر كرامات[١].

وهذه الفضائل لا تثبت إلا بالدليل الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقد سئل عما يفعله بعض الناس في يوم عاشوراء فأجاب:

«الحمد لله رب العالمين لم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ولا استحب من أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم. ولا روي أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئاً لا عن النبي ﷺ ولا الصحابة ولا التابعين لا صحيحاً ولا ضعيفاً لا في كتب الصحيح ولا في السنن والمسانيد ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة، ولكن روى بعض المتأخرين في ذلك أحاديث مثل ما رووا أن من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد من ذلك العام ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام وأمثال ذلك.

ورووا فضائل في صلاة يوم عاشوراء ورووا أن في يوم عاشوراء توبة آدم واستواء السفينة على الجودي ورد يوسف على يعقوب وإنجاء إبراهيم من النار، وفداء الذبيح بالكبس ونحو ذلك.

ورووا في حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ: «أنه من وسَّع على أهله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر السنة».

ورواية هذا كله عن النبي ﷺ كَذِبٌ ولكنه معروف من رواية سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن المنتشر عن أبيه قال: بلغنا أنه من وسَّع على أهله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر سنته، وإبراهيم بن

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٥٢ـ٥٧.

محمد بن المنتشر من أهل الكوفة وأهل الكوفة كان فيهم طائفتان:

طائفة رافضة يظهرون موالاة أهل البيت وهم في الباطن إما ملاحدة زنادقة وإما جهال وأصحاب هوى.

وطائفة ناصبة تبغض علياً وأصحابه لما جرى من القتال في الفتنة ما جرى[١].

ثم يقول رحمه الله فصارت طائفة جاهلة ظالمة إما ملحدة منافقة وإما ضالة غاوية تظهر موالاته وموالاة أهل بيته تتخذ يوم عاشوراء يوم مأتم وحزن ونياحة وتظهر فيه شعار الجاهلية من لطم الخدود وشق الجيوب والتعزي بعزاء الجاهلية. إلى أن قال رحمه الله: وعارض هؤلاء قوم إما من النواصب المتعصبين على الحسين وأهل بيته وإما من الجهال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد والكذب بالكذب والشر بالشر والبدعة بالبدعة فوضعوا الآثار في شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء كالاكتحال والاختضاب وتوسيع النفقات على العيال وطبخ الأطعمة الخارجة عن العادة ونحو ذلك مما يفعل في الأعياد والمواسم فصار هؤلاء يتخذون يوم عاشوراء موسماً كموسم الأعياد والأفراح وأولئك يتخذون مأتماً يقيمون فيه الأحزان والأتراح وكلا الطائفتين مخطئة خارجة عن السنة، وإن كان أولئك أسوأ قصداً وأعظم جهلاً وأظهر ظلماً لكن الله أمر بالعدل والإحسان.

وقد قال النبي ﷺ: **«إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»**[٢] ولم

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٢٥/٢٩٩ـ٣٠١.

(٢) سبق تخريجه ص ٤١٤

يسن رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون في يوم عاشوراء شيئاً من هذه الأمور لا شعائر الحزن والترح ولا شعائر السرور والفرح ولكنه ﷺ لما قدم المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء فقال: ما هذا فقالوا: هذا يوم نجى الله فيه موسى من الغرق فنحن نصومه فقال: نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه[١].

إلى أن قال رحمه الله: وأما سائر الأمور: مثل اتخاذ طعام خارج عن العادة إما حبوب وإما غير حبوب أو تجديد لباس أو توسيع نفقة أو اشتراء حوائج العام ذلك اليوم أو فعل عبادة مختصة كصلاة مختصة به أو قصد الذبح أو إدخار لحوم الأضاحي ليطبخ بها الحبوب أو الاكتحال أو الاختضاب أو الاغتسال أو التصافح أو التزاور أو زيارة المساجد أو المشاهد ونحو ذلك فهذا من البدع المنكرة التي لم يسنها رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين ولا مالك ولا الثوري ولا الليث بن سعد ولا أبوحنيفة ولا الأوزاعي ولا الشافعي ولا أحمد بن حنبل ولا إسحاق ابن راهوية[٢] ولا أمثال هؤلاء من أئمة المسلمين وعلماء المسلمين وإن كان بعض المتأخرين من أتباع الأئمة قد كانوا يأمرون ببعض ذلك ويروون في ذلك أحاديث وآثاراً ويقولون إن بعض ذلك صحيح فهم مخطئون غالطون بلا ريب عند أهل المعرفة بحقائق الأمور وقد

(١) سبق تخريجه .ص ٤٥٤

(٢) إسحاق بن راهوية الإمام الكبير شيخ المشرق سيد الحفاظ ولد سنة ١٦١ قال عنه الحاكم إسحاق إمام عصره في الحفظ والفتوى وقال عنه الإمام أحمد لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيراً. وقال ابن خزيمة والله لو كان إسحاق في التابعين لأقروا له بحفظه وعلمه وفقهه. وكان سريع الحفظ يقول عن نفسه ما سمعت شيئاً إلا حفظته ولاحفظت شيئاً قط فنسيته وقال عنه الذهبي كان مع حفظه إماماً في التفسير رأساً في الفقه، من أئمة الاجتهاد، سير أعلام النبلاء ٣٥٨/١١.

قال حرب الكرماني[1] في مسائله: سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث: «من وسع على أهله يوم عاشوراء فلم يره شيئاً» وأعلى ما عندهم أثر يروى عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه أنه قال: بلغنا «أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته» قال سفيان بن عيينة: جربناه منذ ستين عاماً فوجدناه صحيحاً. وإبراهيم بن محمد كان من أهل الكوفة ولم يذكر ممن سمع هذا ولا عمن بلغه فلعل الذي قال هذا من أهل البدع الذين يبغضون علياً وأصحابه ويريدون أن يقابلوا الرافضة بالكذب مقابلة الفاسد بالفاسد والبدعة بالبدعة. وأما قول ابن عيينة فإنه لا حجة فيه فإن الله سبحانه أنعم عليه برزقه وليس في إنعام الله بذلك ما يدل على أن سبب ذلك كان التوسيع يوم عاشوراء ولم يكونوا يقصدون أن يوسعوا على أهليهم يوم عاشوراء بخصوصه»[2].

---

(١) حرب الكرماني الإمام العلامة الفقيه تتلمذ على أحمد بن حنبل ورحل في طلب العلم. له كتاب مسائل حرب من أنفس كتب الحنابلة في مجلدين، مات سنة ٣٨٠هـ/ سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٤٤.

(٢) فتاوى ابن تيمية ٢٥/ ٣٠٩-٣١٣.

سادساً: بدعة تخصيص ليلة النصف من شعبان ببعض العبادات

عقد الشيخ عبدالقادر الجيلاني غفر الله لنا وله. فصلاً عن فضل الصلاة الواردة في ليلة النصف من شعبان وأنها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة قل هو الله أحد عشر مرات وتسمى هذه الصلاة صلاة الخير وتعرف بركتها ثم ذكر أن السلف الصالح كانوا يصلونها جماعة وأن رسول الله ﷺ قال: إن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة»[1][2].

وليلة النصف من شعبان ورد في فضلها حديث صححه بعض أهل العلم لتعدد طرقه وكثرة من رواه من الصحابة وهو ما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: إن الله عزوجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب»[3].

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ١٩٢.

(٢) هذا الحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور وقال إن البيهقي قال عنه يشبه أن يكون هذا الحديث موضوعاً وهو منكر وفي رواته مجهولون/ الدر المنثور للسيوطي ٧/ ٤٠٥.

(٣) هذا الحديث أخرجه الترمذي ح٧٣٩ وقال: سمعت البخاري يضعفه وأخرجه ابن ماجه برقم ١٣٨٩ وضعفه الألباني في ضعيف بن ماجه برقم ٢٩٥ ورواه الإمام أحمد ٦/ ٢٣٨ واللالكائي في اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم ٧٦٤ جميعهم عن عائشة بهذا اللفظ وأخرجه ابن حبان كما في الموارد ح١٩٨٠ من رواية معاذ بن =

وحتى لو صح الحديث فإن ذلك لا يدل على تخصيصها بصلاة أو نهارها بصيام لأن ذلك يفتقر إلى الدليل الشرعي وإنما يدل فقط على فضلها وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«من هذا الباب ليلة النصف من شعبان فقد روى في فضلها من الأحاديث المرفوعة والآثار ما يقتضي أنها ليلة مفضلة وأن من السلف من كان يخصها بالصلاة فيها وصوم شهر شعبان قد جاءت فيه أحاديث صحيحة.

ومن العلماء من السلف من أهل المدينة وغيرهم من الخلف من أنكر فضلها وطعن في الأحاديث الواردة فيها كحديث إن الله يغفر فيها لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب. وقال لا فرق بينها وبين غيرها. لكن الذي عليه كثير من أهل العلم أو أكثرهم من أصحابنا وغيرهم على تفضيلها وعليه يدل نص أحمد لتعدد الأحاديث الواردة فيها وما يصدق ذلك من الآثار السلفية.

وقد روى بعض فضائلها في المسانيد والسنن وإن كان قد وضع فيها أشياء أخر فأما صوم يوم النصف مفرداً فلا أصل له بل

= جبل وابن أبي عاصم في السنة ح٥١٢ بلفظ: ((يطلع الله إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا المشرك أو مشاحمه)) وصحح الألباني هذه الرواية في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح١١٤٤.

كما أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ص١٣٦ من رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابن أبي عاصم في السنة ح٥٠٩ على نحو لفظ رواية معاذ بن جبل.

وأخرجه ابن ماجه ح١٣٩٠ من رواية أبي موسى الأشعري وللحديث روايات أخرى عن أبي ثعلبة الخشني وأبي هريرة وعبدالله بن عمرو وقد ساق الألباني هذه الروايات في السلسلة الصحيحة ٣/ ١٣٥ـ١٣٨ ثم قال وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب والصحة تثبت بأقل منها عدداً مادامت سالمة من الضعف الشديد.

إفراده مكروه واتخاذه موسماً تصنع فيه الأطعمة وتظهر فيه الزينة هو من المواسم المحدثة المبتدعة التي لا أصل لها.

وكذلك ما قد أحدث في ليلة النصف من الاجتماع للصلاة الألفية في المساجد الجامعة ومساجد الأحياء والدور والأسواق فإن هذا الاجتماع لصلاة نافلة مقيدة بزمان وعدد وقدر من القراءة مكروه لم يشرع فإن الحديث الوارد في الصلاة الألفية موضوع بإتفاق أهل العلم بالحديث[١] وما كان هكذا لا يجوز استحباب صلاة بناءً عليه. وإذا لم يستحب فالعمل المقتضى لاستحبابها مكروه ولو سوغ أن كل ليلة لها نوع فضل تخص بصلاة مبتدعة يجتمع لها لكان يفعل مثل هذه الصلاة أو أزيد أو أنقص ليلتي العيدين وليلة عرفة[٢].

(١) انظر: تنزيه الشريعة ٢/ ٩٢.
والموضوعات لابن الجوزي ٢/ ١٢٧.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢/ ٣٢١.

سابعاً: بدعة الصلاة بين الظهر والعصر يوم عرفة

أورد الشيخ عبدالقادر الجيلاني غفر الله لنا وله أحاديث موضوعة ومكذوبة على رسول الله ﷺ منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **من صلى يوم عرفة بين الظهر والعصر أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة كتب الله له ألف ألف حسنة ورفع له بكل حرف في القرآن درجة في الجنة ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام. ويزوجه الله بكل حرف سبعين حوراء مع كل حوراء سبعون ألف مائدة من الدر والياقوت على كل مائدة سبعون ألف لون ما بين لحم طير خضر برده برد الثلج وحلاوته حلاوة العسل وريحه ريح المسك لم تمسه نار ولاحديدة يجد لآخره طعماً كما يجد لأوله ثم يأتيهم طائر جناحاه من ياقوتتين حمراوين ومنقاره من ذهب له سبعون ألف جناح فينادي بصوت لم يسمع السامعون بمثله مرحباً بأهل عرفة وقال: يسقط ذلك الطير في صحفة الرجل منهم فيخرج من تحت كل جناح من أجنحته سبعون لوناً من الطعام فيأكل منها ثم ينتفض فيطير فإذا وضع في قبره أضاء له بكل حرف في القرآن نور حتى يرى الطائفين حول البيت ويفتح له باب من أبواب الجنة ثم يقول عند ذلك رب أقم الساعة رب أقم الساعة مما يرى من الثواب والكرامة»**[1]

هذا الحديث موضوع يستحي ذو العقل السليم والفطرة النقية

---

(١) الغنية للجيلاني ٢/ ٣٧.

أن يرويه ولست أدري كيف انطلى أمره على الشيخ عبدالقادر رحمه الله حتى يذكره في كتابه إذ كيف يصدق العقل أن يرتب الله هذا الجزاء الذي لا يمكن تصوره على تلك الصلاة المبتدعة وكيف يتزوج الإنسان بهذا العدد الهائل من الحوريات وهن بعدد حروف القرآن سبعين مرة. ثم مع كل حورية سبعون ألف مائدة من الدر والياقوت ثم على كل مائدة سبعون ألف لون من الطعام كل هذا من الخرافة والدجل الذي ننزه هذا الدين وهذا الرسول الكريم أن يقول به. وقد صرح ابن الجوزي بأن هذا الحديث موضوع وفيه ضعاف ومجاهيل انظر: الموضوعات ٢/ ١٣٢.

والمعلوم عند أهل الإسلام قاطبة أن رسول الله ﷺ صلى الظهر والعصر جمعاً وقصراً يوم عرفة في حجة الوداع ولم ينقل عنه من حج معه من الصحابة وكانوا أكثر من مائة ألف صحابي أنه صلى بين الصلاتين شيئاً فقد روى البخاري في الصحيح عن ابن شهاب قال: أخبرني سالم(١) أن الحجاج بن يوسف(٢) عام نزل بابن الزبير(٣)

(١) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب الإمام الزاهد الحافظ مفتي المدينة صاحب الأسناد العالي روى عن أبيه وعن عائشة وأبي هريرة وروى عنه الزهري وعمرو بن دينار ومحمد بن واسع مات رحمه الله سنة ١٠٧هـ/ سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٧.

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفي قال عنه الذهبي: كان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء وفصاحة وبلاغة وتعظيم للقرآن وكان ظلوماً جباراً ناصبياً سفاكاً للدماء حاصر ابن الزبير بمكة ورمى الكعبة بالمنجنيق وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه وله توحيد في الجملة وأمره إلى الله/ سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٣.

(٣) عبدالله بن الزبير أحد الأعلام أول مولود للمهاجرين بالمدينة سنة ٢ للهجرة وله صحبة وكان كبيراً في العلم والشرف والجهاد والعبادة ويعد من فرسان قريش في زمانه بويع بالخلافة بعد موت يزيد سنة ٦٤ وحكم الحجاز واليمن ومصر والعراق ولم يستتب له الأمر حيث قاتله عبدالملك بن مروان حتى قتله واستقل بالخلافة سنة ٧٣/ سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٦٣.

رضي الله عنه سأل عبدالله رضي الله عنه كيف تصنع في الموقف يوم عرفة فقال سالم إن كنت تريد السنة فهَجِّر بالصلاة يوم عرفة فقال عبدالله بن عمر صدق إنهم كانوا يجمعون بين الظهر والعصر في السنة فقلت لسالم: أفعل ذلك رسول الله ﷺ فقال سالم: وهل يتبعون بذلك إلا سنته»[1].

وفي الختام ونحن أمام هذا القدر الكبير من البدع العملية التي وقع فيها الشيخ عبدالقادر الجيلاني ودوَّنها في مؤلفه لا يسعنا إلا أن ندعو له بالمغفرة والعفو كما ندعو إلى عدم متابعته فيها لأن المتابعة في العبادة لا تكون إلا للرسول صلوات الله وسلامه عليه. عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2] ومهما كانت منزلة الشيخ عبدالقادر في الفضل والعلم فإن ذلك لا يعني متابعته في الخطأ فإنه لم يسلم من الخطأ أحد من العلماء كما أسلفنا، وكثير من مجتهدي السلف وقع من بعضهم ما يخالف السنة ولم يتابعوا مهما كان صلاحهم وورعهم ومهما كانت عبادتهم فيها.
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وقد اتفق أهل المعرفة والتحقيق أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يتبع إلا أن يكون موافقاً لأمر الله ورسوله. إلى أن قال رحمه الله ودين الإسلام مبني على أصلين على ألا نعبد إلا الله وأن نعبده بما شرع. لا نعبده بالبدع قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[3]، فالعمل الصالح ما أحبه

(١) رواه البخاري ح١٦٦٢.
(٢) الحشر: ٧.
(٣) الكهف: ١١٠.

الله ورسوله وهو المشروع المسنون ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً[١].

(١) الفتاوى لابن تيمية ٢٥/ ٣١٤.

الفصـل السـادس
طاعة أولي الأمر

طاعة ولاة أمور المسلمين من المسائل المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة. يؤكدون عليها ويقررونها لبالغ أهميتها وعظيم شأنها. حيث لا تنتظم مصالح العباد في دينهم ودنياهم. إلا بالسمع والطاعة لمن ولاَّه الله أمرهم. وكان اهتمام السلف بارزاً خصوصاً عند ظهور الفتن وبروز القلاقل لما قد يترتب على الجهل بهذا الأمر من الفساد الكبير والخطر العظيم.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله يقرر هذه المسألة بذكر إجماع أهل السنة على ذلك بقوله:

«وأهل السنة أجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين واتباعهم والصلاة خلف كل بر منهم وفاجر والعادل منهم والجائر ومن ولّوه ونصبوه واستنابوه».

وهذا ما أكدَّه علماء أهل السنة والجماعة وقرروه لأهميته كي يجتمع شمل الأمة وتتوحد كلمتها وينصرف الإمام إلى واجباته في رعاية مصالح الأمة وتحقيق أهدافها. وهو ما نقل إلينا في أخبارهم ومواقفهم وهذه بعض أقوالهم:

١ ـ يقول عمر بن الخطاب لسويد بن غفله[1]: لعلك أن تخلَّف بعدي فأطع الإمام وإن كان عبداً حبشياً وإن ضربك فاصبر وإن

---

(١) سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر الإمام القدوة قيل له صحبة ولم يصح بل اسلم في حياة النبي ﷺ وشهد اليرموك مات سنة ٨٢هـ/ سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٩.

دعاك إلى أمر منقصة في دينك فقل سمعاً وطاعةً دمي دون ديني»[(١)].

قال محمد بن حسين الآجري بعد إيراد هذا الأثر: فإن قال قائل: أين الذي يحتمل قول عمر رضي الله عنه فيما قاله: قيل يحتمل والله تعالى أعلم أن نقول: من أُمِّر عليك من عربي أو غيره أسود أو أبيض أو عجمي فأطعه فيما ليس لله عزوجل فيه معصية وإن ظلمك حقاً لك وإن ضربك ظلماً لك وانتهك عرضك وأخذ مالك فلا يحملك ذلك على أن تخرج عليه سيفك حتى تقاتله ولا تخرج مع خارجي حتى تقاتله ولا تحرض غيرك على الخروج عليه. ولكن اصبر عليه[(٢)].

٢ ـ قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: عليك بالسمع والطاعة في يسرك وعسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك ولا تنازع الأمر أهله. إلا أن يأمرك بمعصية الله بواحاً أي جهاراً[(٣)].

٣ ـ قال عبدالله بن عمر حين قدم إلى عبدالله بن مطيع[(٤)] بعد أن صار

---

(١) الشريعة للآجري ٤٠.

(٢) الشريعة للآجري ص٤٠.

(٣) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ٢/٣٩٢.

(٤) عبدالله بن مطيع بن الأسود العدوي المدني له رؤية وكان رأس قريش يوم الحرة وأمَّره بن الزبير على الكوفة ثم قتل سنة ٧٣هـ/ تقريب التهذيب لابن حجر ٣٢٤.
وقصة يوم الحرة أن أهل المدينة خرجوا على يزيد بن معاوية فجهز جيشاً لحربهم يقول عبدالله بن حنظلة الغسيل: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات يشرب الخمر ويدع الصلاة/ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٩، ويقول ابن كثير: لما خرج أهل المدينة عن طاعة يزيد وولوا عليهم ابن مطيع وابن حنظلة لم يذكروا عنه وهم أشد الناس عداوة له إلا ما ذكروه عنه من شرب الخمر وإتيانه بعض القاذورات بل قد كان فاسقاً والفاسق لا يجوز خلعه لأجل ما يثور بسبب ذلك من الفتنة ووقوع الهرج=

من أمر الحرة ما صار زمن يزيد بن معاوية فقال عبدالله بن مطيع إطرحوا لأبي عبدالرحمن فقال: إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقوله، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية[1].

٤ ـ قال الإمام أحمد لفقهاء بغداد الذين اجتمعوا إليه وشاوروه في الخروج على الواثق بالله أثناء فتنة القول بخلق القرآن، فقال لهم: عليكم بالنكرة في قلوبكم ولا تخلعوا يداً من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين. ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين[2].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على وجوب طاعة ولاة الأمر بالكتاب والسنة، كما يلي:

أولاً: من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾[3].

وفي الآية دلالة واضحة وأمر صريح بوجوب طاعة أولي الأمر، قال ابن حجر في الفتح: قال ابن عيينة: سألت زيد بن أسلم عنها أي عن أولي الأمر في هذه الآية ولم يكن بالمدينة أحد يفسر

= كما وقع زمن الحرة/ البداية والنهاية ٨/ ٢٣٢.

(١) رواه مسلم ح١٨٥١.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ١٤٤.

(٣) النساء: ٥٩.

القرآن بعد محمد بن كعب مثله فقال: اقرأ ما قبلها تعرف، فقرأت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾[١] فقال هذه في الولاة[٢].

وقال الشوكاني: أولو الأمر في هذه الآية هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتية، والمراد طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه ما لم تكن معصية[٣].

ويدخل في أولي الأمر العلماء يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأولو الأمر أصحابه وذووه وهم الذين يأمرون الناس وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمراء فإذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس[٤].

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني**»[٥].

٢ ـ حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها قالوا: يارسول الله! كيف تأمر من أدرك ذلك منا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون**

(١) النساء: ٥٨.
(٢) فتح الباري لابن حجر ١٣/١١٩.
(٣) فتح القدير للشوكاني ١/٤٨١.
(٤) الحسبة لابن تيمية ١١٨.
(٥) رواه البخاري ح٧١٣٧ ومسلم ح١٨٣٥.

الله الذي لكم»[١].

٣ ـ حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكَرِهَ ما لم يُؤمر بمعصية فإذا أُمِرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[٢].

وهذه الأحاديث ظاهرة الدلالة في وجوب طاعة ولاة الأمور ولكنها طاعة مقيدة بأن تكون في المعروف أما إذا أمر بمعصية الله فلا تجوز طاعته بل تحرم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«أهل السنة لا يطيعون ولاة الأمور مطلقاً إنما يطيعونهم في ضمن إطاعة الرسول ﷺ كما قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٣][٤].

وبهذا يتضح موافقة الشيخ عبدالقادر الجيلاني لمذهب السلف في مسألة طاعة ولاة الأمور. والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري ٧٠٥٢ ومسلم ح١٨٣٨.

(٢) رواه البخاري ح٧١٤٤.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) منهاج السنة لابن تيمية ٢/٧٦.

الباب الثالث

آراء الشيخ عبدالقادر الجيلاني الصوفية

وتحته ستة فصول:

الفصـــل الأول: مفهوم التصوف ونشأته وتطوره

الفصـــل الثاني: التصوف عند الجيلاني

الفصـــل الثالث: الآداب عند الصوفية

الفصـــل الرابع: الولاية والكرامة

الفصل الخامس: الأحوال والمقامات

الفصل السادس: الطريقة القادرية

الفصل الأول

مفهوم التصوف ونشأته وتطوره

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحـــث الأول: **تعريف التصوف**

المبحـــث الثاني: **نشأة التصوف**

المبحـــث الثالث: **مراحل التصوف وتطوره**

المبحث الأول
تعريف التصوف

التصوُّف لغة: تباينت أقوال العلماء في الاشتقاق اللغوي لكلمة التصوف وهل هي مأخوذة من الصفاء أو الصوف أو من الصُفَّة أو الصفِّ أو غير ذلك.

فالذين قالوا إنها مشتقة من الصفاء الروحي والشفافية النفسية يعللون هذا القول بأن الصوفية تعني تلك المعاني السامية والمبادىء الرفيعة وممن ذهب إلى ذلك الشيخ عبدالقادر الجيلاني حيث يقول:

«الصوفي من صفا باطنة وظاهرة بمتابعة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»[1].

إلاَّ أن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يرد هذا الاشتقاق لعدم صحته لغوياً، «إذ اشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة، وكان حقه أن يقال صفائية أو صفوية»[2].

ومن الصوفية من ينسبها إلى الصفَّة وهي المكان الذي كان يقيم فيه بعض فقراء المهاجرين بمسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة، ممن لم يكن لهم أهل ولا دور ينزلون بها والذين كانوا قد فرَّغوا أنفسهم لطلب العلم والتعبد.

غير أن القشيري[3] لا يسلِّم بصحة هذه النسبة بقوله: «فالنسبة

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس التاسع والخمسون (ص٢٠٧).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/٣٦٩).

(٣) عبدالكريم بن هوازن القشيري الصوفي، صاحب كتاب الرسالة، المصنف في الكلام على الصوفية وأحوالهم وأخلاقهم. ولد سنة ٣٧٥هـ، وكان عديم النظير في السلوك=

إلى الصفة لا تجيء على نحو صوفي»[(١)].

وقال بعضهم: إنها منسوبة إلى الصف الذي من معانيه الصف الأول في الصلاة، والصف المقدم بين يدي الله في عموم الطاعات والقربات.

ولكن القشيري يعترض ـ أيضاً ـ على ذلك لغوياً رغم تسليمه بصحة المعنى الدال على أنهم كأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله تعالى فيقول: «ومن قال نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله قيل له كان حقه أن يقال صَفِّيَة»[(٢)].

ثم يرجِّح أنه لا يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق وأنه كاللقب[(٣)].

إلاَّ أن شيخ الإسلام ابن تيمية يرجح أن التصوّف منسوب إلى لبس الصوف فيقول:

«وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم: القُراء، فيدخل فيهم العلماء والنُساك، ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية الفقراء واسم الصوفية هو نسبة إلى لباس الصوف هذا هو الصحيح.

وقد قيل أنه نسبة إلى صفوة الفقهاء.

وقيل إلى صوفة بن أدّ بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يعرفون

= والتذكير، لطيف العبارة، طيب الأخلاق، ويعتبر من شيوخ التصوف في خراسان. مات سنة (٤٦٥هـ).
سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٢٧).

(١) الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٠).
(٢) الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٠).
(٣) الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٠).

بالنسك. وقيل إلى أهل الصفة، وقيل إلى الصفا وقيل إلى الصفوة، وقيل إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى. وهذه أقوال ضعيفة فإنه لو كان كذلك لقيل صُفِّي وصفائيّ أو صَفَوِيّ أو صفِّي ولم يقل صوفي[(١)].

ومع التسليم برجحان هذه النسبة إلاَّ أن القشيري كعادته يعترض على ذلك بأن الصوفية ليسوا وحدهم الذين يلبسون الصوف بل يشاركهم غيرهم فما الداعي لتخصيص الصوفية بهذه النسبة دون غيرهم[(٢)].

وممن تصدى للرد على هذا الاعتراض ابن خلدون[(٣)] من طريقين:

«**الأول**: أنه لو استعرضنا طوائف الناس كالصناع والزراع والعمال لا نجد أن طائفة منهم يغلب على أفرادها لبس الصوف كما غلب على طائفة الصوفية.

الثاني: أن هذه الطائفة كانت تلبس الصوف زهداً وتورعاً عن لبس فاخر الثياب، أما سائر الناس من غيرهم فيلبسونه لا لهذا الغرض الذي ينشده الصوفي وحينئذ يكون تميزهم بلبس الصوف أمراً

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١١/ ١٩٥).

(٢) الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٠).

(٣) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الفيلسوف المؤرخ العالم الاجتماعي البحاثة، ولد سنة ٧٣٢هـ، وكان فصيحاً جميل الصورة عاقلاً صادق اللهجة، عزوفاً عن الضيم، طموحاً للمراتب العالية، له عدة مصنفات من أشهرها العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر وهو سبعة مجلدات أولها المقدمة الذي يعتبر من أصول علم الاجتماع مات سنة (٨٠٨هـ).
الأعلام للزركلي (٣/ ٣٣٠).

واضحاً»[١].

التصوف اصطلاحاً:

من الصعب تعريف التصوف بعبارة جامعة مانعة لكثرة التعاريف التي وردت على ألسنة كثير من العلماء وبعض كبار المتصوفة والتي لا تخرج في عمومها عن أنه وصف حال الإنسان المنقطع للعبادة الزاهد في الدنيا المعرض عن زخارف الحياة.

وبما أنني سأتحدث عن التصوف عند الجيلاني في مبحث مستقل فيما سيأتي فسوف أذكر هنا تعريف التصوف عند غيره من العلماء وبعض المتصوفة:

١ـ يُعرِّف شيخ الإسلام ابن تيمية التصوف بأنه: «نوع من الصديقية فهو أي الصوفي الصدِّيق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه فكان الصدِّيق من أهل هذه الطريق كما يقال صدِّيقوا العلماء وصدِّيقوا الأمراء فهو أخصّ من الصدِّيق المطلق ودون الصدِّيق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم»[٢].

٢ـ يُعرِّف ابن خلدون أصل التصوف بأنه: «العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يُقبِل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد للخلوة في العبادة»[٣].

(١) مقدمة ابن خلدون (٣٣٤).
(٢) فتاوى ابن تيمية (١١/ ١٧).
(٣) مقدمة ابن خلدون (٣٣٣).

٣ـ سهل بن عبدالله التستري[١] يُعرِّف الصوفي بأنه: «من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله عن البشر واستوى عنده الذهب والمدر»[٢].

٤ـ الجنيد بن محمد[٣] يعرف التصوف بأنه: «ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع»[٤].

وكما هو واضح فإن تعريفات المتصوفة يكتنفها الغموض وتطغى عليها الإشارات العامة والعبارات المنمقة.

---

(١) سهل بن عبدالله التستري: شيخ العارفين الصوفي الزاهد له كلمات نافعة ومواعظ حسنة، وقدم راسخ في الطريق كان يحث على طلب العلم، وعندما سئل إلى متى يكتب الرجل الحديث قال: حتى يموت ويصيب باقي حبره في قبره، ومن كلامه: أصولنا ستة: التمسك بالقرآن والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، والتوبة، وأداء الحقوق. مات سنة (٢٨٣هـ).
سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠). وشذرات الذهب (٢/ ١٨٢). وطبقات الشعراني (١/ ٦٦).

(٢) التعرف للكلاباذي (ص٩).

(٣) أبوالقاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد: ولد ببغداد وسمع الحديث ودرس الفقه وصحب السري السقطي حتى صار شيخ زمانه وسيد الطائفة في التصوف توفي في بغداد سنة (٢٩٧هـ) ومذهبه في التصوف مبني على الكتاب والسنة حيث نقل الذهبي عنه قوله: «علمنا مضبوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدىٰ به».
سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٦). وطبقات الشعراني (١/ ٧٢).

(٤) الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٣).

المبحث الثاني

نشأة التصوف

من الخطأ الواضح أن يفسر سلوك بعض العبَّاد في القرنين الأول والثاني والمتمثل في نزعتي الزهد والتقشف وكثرة العبادة والإقبال على الأعمال الصالحة بأن هذا السلوك هو الأساس التاريخي لظاهرة التصوف وإذا كان قد وجد في القرون المفضلة من اختط لنفسه هذا المنهج صقلاً لنفسه وتطهيراً لروحه فإن ذلك لم يكن إلاَّ استجابة للدعوة التي تضمنتها رسالة الإسلام الخالدة في الترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا بالمفهوم الشرعي للزهد.

وقد اختلفت آراء الباحثين في نشأة التصوف وفي البيئة التي نبتت فيها بذرته الأولى ويمكن حصر هذه الآراء في رأيين اثنين:

الأول: أن التصوف إسلامي النشأة وأن أصوله العقائدية والسلوكية مستمدة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة وفعل السلف ويتزعم أصحاب هذا القول ابن خلدون حيث يقول في مقدمته:

«هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف فلما فشى الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى

مخالطة الدنيا: اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة»[١].

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بأن الأصول التي يبني عليها المتصوفة مذهبهم من أحوال ومقامات ومجاهدات كالتوبة والورع والزهد والذكر والصبر والمراقبة كلها أمور أمر الله بها في كتابه وحث عليها رسوله ﷺ في سنته وطبَّقها وعمل بها صحابته رضوان الله عليهم وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون ـ رضي الله عنهم ـ حتى جعل الشعراني في طبقاته الخلفاء الراشدين أول رجال طبقات الصوفية[٢].

وسبب ذلك هو الخلط بين مفهوم الزهد والورع والمراقبة، والتي هي خلق الأنبياء وعباد الله الصالحين الذين يؤثرون ما عند الله على التنعم والتلذذ والاشتغال بالمباحات والتي يخشون أن تجرهم إلى الوقوع في المخالفات فكانوا يتركون ما لا بأس به مخافة الوقوع فيما به بأس وهذا لكمال علمهم بالله عز وجل ورغبتهم فيما عنده، وبين التصوف بمناهجه وفلسفته وهواتفه وأحواله.

الثاني: أن الإسلام حين جاء كانت الصوفية منتشرة في كل البلاد التي دخلها فكانت منتشرة في جزيرة العرب باسم الكهانة وفي الهند وبلاد فارس لأن ديانتهم تقوم على أساس الرياضة والرؤى والمكاشفات، وكانت منتشرة في النصرانية التي كانت تسيطر على مصر والشام والعراق واليمن. وكذلك اليهودية وكان يطلق على الشيخ اسم الكاهن أو العارف أو العرَّاف أو ما يرادفها في اللغات الأخرى.

---

(١) مقدمة ابن خلدون (٣٣٣).

(٢) الطبقات للشعراني (١/ ١٥-٢٣).

ولما جاء الإسلام اختبأت وراء الأسوار حتى استطاع كهانها أن يجدوا لها صيغة ملائمة أظهروها بها أمام أعين الناس ثم دعوهم إليها.

وقد عرف هذه الحقيقة بعض علماء الصوفية القدامى مثل شهاب الدين السهروردي(١) الذي يقول:

«وأما أنوار السلوك في هذه الأزمنة القريبة فخميرة الفيثاغوريين رفعت إلى أخي أحميم (أي ذا النون المصري)(٢) ومنه نزلت إلى سيار تستر أي (سهل التستري) وشيعته وأما خميرة الخسروانيين في السلوك فهي نازلة إلى سيار بسطام (أبويزيد البسطامي)(٣) ومن بعده إلى فتى بيضاء (الحلاج)(٤) ومن بعده إلى سيار آمل وخرقان (أبي

---

(١) الفيلسوف شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي كان يتوقد ذكاءاً، إلاَّ أنه قليل الدين، وكان بارعاً في أصول الفقه مفرطاً في الذكاء، ولم يناظر أحداً إلاَّ أربى عليه. قال عنه الذهبي: «كان أحمق طياشاً منحلاً». قتل سنة (٥٨٧هـ).
سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٠٧).

(٢) ذا النون المصري: شيخ الديار المصرية ثوبان بن إبراهيم كان لا يتقن الحديث، وكان واعظاً فصيحاً عالماً حكيماً، وقد رمي بالزندقة. مات سنة (٢٤٦هـ).
سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٢). وطبقات الشعراني (١/ ٥٩).

(٣) أبويزيد طيفور بن عيسى البسطامي: كان يقول: «لو نظرت إلى من أعطي من الكرامات حتى يطير فلا تغتروا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي وحفظ حدود الشرع» ونقل عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها ولكن كما يقول الذهبي: الشأن في ثبوتها عنه فتطوى ولا تروى إذ ظاهرها إلحاد مثل سبحاني، وما في الجبة إلاَّ الله، وما المحدثون إن خاطبهم رجل عن رجل فقد خاطبنا القلب عن الرب. توفي سنة (٢٦١هـ).
سير أعلام النبلاء (١٣/ ٨٦). وطبقات الشعراني (١/ ٦٥).

(٤) الحلاج هو الحسين بن منصور الصوفي كان جده مجوسياً صحب سهل التستري والجنيد وأكثر الترحال، وقد تبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ لسوء سيرته ونسبوه إلى الحلول والزندقة، قتل مصلُوباً بعد أن قطعت يداه ورجلاه وضرب ألف سوط =

الحسن الخراقاني)[١]»[٢].

وخلاصة هذا الرأي أن التصوف ليس إسلامي النشأة وإنما هو مزيج من العبادات الفارسية واليونانية والنصرانية واليهودية ودليل أصحاب هذا الرأي بالإضافة إلى ما ذكرنا أن علماء الصوفية إنما نشأوا في بلاد فارس وأن هناك أوجه شبه كثيرة بين الصوفية وبين أهل تلك البلدان في اعتقاداتهم وعباداتهم وخاصة في عقائد الرمز والظاهر والباطن والتأويل وغيرها. ويؤيد هذا الرأي ما ذهب إليه أبونصر السراج[٣] من أن منشأ التصوف كان في الجاهلية قبل الإسلام[٤].

وبالتأمل والنظر في كلا الرأيين نجد أن المبالغة قد طغت على أصحاب كل رأي.

فالرأي الأول بالغ أصحابه فيه حين جعلوا التصوف إسلامي النشأة ووصفوا جميع الصحابة وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون بأنهم من المتصوفة.

وأصحاب الرأي الثاني بالغوا أيضاً حين جعلوا أصول التصوف مستنبطة من الديانات القديمة ومن المذاهب والفلسفات اليونانية وإن

= وأحرقت جثته ونثر رمادها في نهر دجلة سنة (٣٠٩هـ).
سير أعلام النبلاء (١٤/٣١٣). وطبقات الشعراني (١/ ٩٢).

(١) لم أجدله ترجمة في كتب السير والتراجم ولا في طبقات الصوفية.

(٢) ولاية الله والطريق إليها لإبراهيم هلال (١٧١).

(٣) عبدالله بن علي الطوسي أبونصر السراج: زاهد كان شيخ الصوفية على طريقة السنة، له كتاب اللمع في التصوف. مات سنة (٣٧٨هـ).
شذرات الذهب (٣/ ٩١). الأعلام للزركلي (٤/ ١٠٤).

(٤) اللمع لأبي نصر السراج (٤٢).

كان أصحاب هذا الرأي على حق إذا ما عنوا به التصوف المنحرف الذي وصل بأصحابه إلى القول بالحلول ووحدة الوجود.

وأعدل الأقوال في نشأة التصوف هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يذهب إلى أن بداية نشأته كانت في أوائل القرن الثاني لكنه لم يشتهر إلاً في القرن الثالث فيقول:

«أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية أصحاب عبدالواحد بن زيد[1] وعبدالواحد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة ونحو ذلك مالم يكن في سائر الأمصارولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية»

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

«ولهذا كان غالب ما يحكى من المبالغة في هذا الباب إنما هو عن عبَّاد أهل البصرة»[2].

وقد حرَّر الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ نبذة مختصرة عظيمة الفائدة عن نشأة التصوف وكيف بدأ ثم كيف انتهى به الحال إلى أن أصبح رسوماً وإشارات وبدعاً وضلالات. يقول ـ رحمه الله ـ:

«والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص

---

(١) عبدالواحد بن زيد الزاهد: كان ممن غلب عليه العبادة حتى غفل عن الإتقان فكثرت المناكير في حديثه حتى قال عنه النسائي: متروك الحديث. أصيب بالفالج فدعا الله أن يطلقه وقت الوضوء، فكان إذا أراد أن يتوضأ انطلق، فإذا رجع إلى سريره فلج، وكان ذا وعظ مؤثر لدرجة أن بعض الجالسين في مواعظه يموتون. قال عنه الذهبي: رمي بالقدر وهو من كبار الزهاد والكمال عزيز. مات سنة (١٧٧)هـ.
سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤٩).

(٢) فتاوى ابن تيمية (١١/ ٦ـ٧).

المنتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاَّب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

«وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة حاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى.

وعلى هذا كان أوائل القوم فلبَّس إبليس عليهم في أشياء ثم لبَّس على من بعدهم من تابعيهم كلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود هو العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة، فرفضوا ما يصلح أبدانهم وشبَّهوا المال بالعقارب ونسوا أنه خُلِقَ للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى إنه كان فيهم من لا يضطجع وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري. . . » الخ)[1].

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص(١٩٩) وما بعدها.

المبحث الثالث
مراحل التصوف وتطوره

لقد بدأ التصوف كما رأينا بالزهدوالعبادة في البصرة ثم تطور إلى طرق صوفية منظمة ثم إلى انحرافات عقدية لا تمت إلى الإسلام بصلة وعليه يمكن تقسيم التصوف إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة العبَّاد والزهَّاد والذي كان يغلب على أصحابها العزلة والبعد عن الناس والزهد في الدنيا مع التزامهم في الغالب بآداب الشريعة مع تغليب جانب الخوف الشديد والبكاء المستمر.

ومن أبرز رجال هذه المرحلة عامر بن عبدالله بن الزبير الذي كان يواصل الصيام ويكثر من العبادة حتى قال له والده الصحابي الجليل عبدالله بن الزبير: «يا بني لقد رأيت أبابكر وعمر ولم يكونا هكذا»[1].

ومنهم طلق بن حبيب[2] الذي كان من الزهاد الكبار ومن

(١) عامر بن عبدالله بن الزبير: الإمام الرباني أحد العُباد. اشترى نفسه من الله ست مرات، يعني تصدق بديته ست مرات، سمع الأذان وهو يحتضر فقال: خذوا بيدي. فقيل: إنك عليل. فقال: أسمع داعي الله ولا أجيبه. فأخذوا بيده حتى دخل مع الإمام في صلاة المغرب، فركع ركعة ثم مات. قال عنه الإمام مالك: كان عامر ربما انصرف من العتمة فيعرض له الدعاء فلايزال يدعو إلى الفجر.
سير أعلام النبلاء (٥/ ٢١٩).

(٢) طلق بن حبيب العنزي: كان طيب الصوت بالقرآن برًا بوالديه ممن يخشى الله، لما كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق للناس: اتقوها بالتقوى، فقيل له: صف لنا =

العلماء العاملين، ومنهم بشر الحافي[١] الذي كان رأساً في الإخلاص والورع، والجنيد بن محمد بن الجنيد الذي كان يقول: «علمنا مضبوط بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ الكتاب ولم يكتب الحديث ولم يتفقه فلا يقتدي به»[٢].

وغيرهم كثير ممن كانت مقاصدهم حسنة ولكن ربما وقع بعضهم في بعض التجاوزات إما لقلة علمهم أو لأنهم عملوا بما وقعت عليه أيديهم من الأحاديث الضعيفة وهم لا يدرون. وهؤلاء يعتبرون من أوائل الصوفية في مراحلها الأولى حيث جمعوا بين الزهد والتشدد في الدين والتعمق في الخطرات مما لم يكن معهوداً عند السلف.

وقد استحدث في هذه المرحلة الاستماع إلى القصائد الزهدية التي تلقى بالألحان المطربة. ولعل أبرز سمات هذه المرحلة ما يلي:

١ـ التمسك بالسنة في الغالب عدا بعض التجاوزات[٣].

= التقوى؟ فقال: العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله. وكان يقول: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد وإن نعم الله أكثر من أن تحصى ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين. قال عنه أبوحاتم: طلق صدوق يرى الإرجاء.
سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠١).

(١) بشر بن الحارث بن عبدالرحمن المشهور بالحافي: الإمام الزاهد ولد سنة (١٥٢هـ) ورحل في طلب العلم وكان يقول: لا أعلم أفضل من طلب الحديث لمن اتقى الله وحسنت فيه نيته، وأما أنا فأستغفر الله من طلبه ومن كل خطوة خطوت فيه. قال عنه إبراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتم عقلاً منه ولا أحفظ للسانه. كان في كل شعرة منه عقل وما عرف له غيبة لمسلم. مات سنة (٢٢٧هـ).
سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٦٩). وشذرات الذهب (٢/ ٦٠).

(٢) الرسالة للقشيري (١/ ١١٨).

(٣) المصدر السابق (١/ ١١٨).

٢ـ احترام العلم والعلماء.
٣ـ قلة الفقه في الدين وعدم الاهتمام بالحديث[١].
٤ـ الاهتمام بالوعظ والإكثار من القصص المأخوذة من أهل الكتاب والأمم السالفة[٢].
٥ـ تغليب جانب الخوف والحزن ومواصلة الصوم والاضطراب والصعق والغشي عند سماع القرآن[٣].
٦ـ البعد عن مجالس العلم والقعود عن الكسب[٤].

وهذه السمات لم تكن لها مناهج محددة وإنما كانت سمات شخصية تقع من بعض الأفراد وتنتج غالباً عن الجهل والغفلة.

المرحلة الثانية: مرحلة طلائع الصوفية وما صاحبها من ظهور الطرق والمصطلحات الصوفية الغامضة ونزعات الأهواء والبدع وعلم الإشارات والمكاشفات والذوق إلى غير ذلك.

وفي هذه المرحلة نشأ مايسمى بعلم الظاهر والباطن وإعلان سقوط التكاليف الشرعية عن الأولياء بزعمهم أنهم اطلعوا على علم الحقيقة عن طريق الكشف «الإلهام»[٥].

وأقطاب هذه المرحلة هم مشايخ الطرق الصوفية المشهورون مثل:

١ـ أبي الحسن الشاذلي[٦] شيخ الطائفة الشاذلية الذي يصفه

---

(١) الطبقات للشعراني (١/٥٣). واصطلاحات الصوفية للكاشاني (٤٥).
(٢) الطبقات للشعراني (١/١٨٦).
(٣) الطبقات للشعراني (١/٥٢، ٥٥).
(٤) الطبقات للشعراني (١/٥١).
(٥) انظر: فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٤١٧ـ ٤٣٩).
(٦) علي بن عبدالله بن عبدالجبار الشاذلي: شيخ الطائفة الشاذلية الضرير الزاهد نزيل =

الشعراني في طبقاته بقوله: كان كبير المقدار عالي المنار له عبارات فيها رموز وكان قطب الزمان والحامل في وقته لواء أهل العيان حجة الصوفية وعَلَمُ المهتدين وزين العارفين أستاذ الأكابر وزمزم الأسرار ومعدن الأنوار»[١].

وبالرغم من أنه كان يقول: إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة»[٢].

إلاَّ أنه لم يتقيد بهذا المبدأ فقد نقل عنه الشعراني أيضاً قوله وقد سئل عن شيخه فقال:

«كنت أنتسب إلى عبدالسلام بن مشيش وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم في عشرة أبحر محمد وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وجبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح الأكبر»[٣].

ومن العجيب جدًّا أن يصنف شيخ الجامع الأزهر السابق عبدالحليم محمود كتاباً يمجد فيه الشاذلي ويثني علي طريقته وينقل أن النبي ﷺ كلَّم الشاذلي من داخل حجرته الشريفة فيقول:

«فلما قدم المدينة زادها الله تشريفاً وتعظيماً وقف على باب الحرم من أول النهار إلى نصفه عريان الرأس حافي القدمين يستأذن

= الأسكندرية، مات بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج سنة (٦٥٦هـ). الطبقات للشعراني (٢/ ٤).

(١) الطبقات للشعراني (٢/ ٤).

(٢) الطبقات للشعراني (٢/ ٤).

(٣) الطبقات للشعراني (٢/ ٦).

على رسول الله ﷺ تسليماً فسئل عن ذلك فقال: حتى يؤذن لي فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة يا علي أدخل»[١].

ولست بحاجة إلى التعليق على هذه الخرافة الباطلة فإن أفضل الأمة وخير القرون أصحاب رسول الله ﷺ من اختارهم الله لصحبة نبيه ولنصرة دينه ما كانوا يفعلون هذا الفعل المبتدع وما كانوا يقفون على باب مسجده ﷺ حاسري الرؤوس حفاة الأقدام ينتظرون الإذن لهم بالدخول إلى المسجدثم كيف استطاع الشاذلي أن يسمع صوت النبي ﷺ وقد مات صلوات الله وسلامه عليه بنص قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٢] وغير ذلك من الآيات.

ومن أقطاب هذه المرحلة أيضاً: أحمد الرفاعي[٣] الذي يزعم أتباعه أنه «لما حج سنة ٥٥٥هـ وقف تجاه الحجرة النبوية وقال: السلام عليكم يا جدي. فقال له عليه أفضل الصلاة والسلام: عليك السلام يا ولدي. وسمع ذلك كل من في المسجد النبوي ومدَّ له رسول الله يده الشريفة من قبره فقبَّلها في ملأ يقرب من تسعين ألف رجل ثم قالوا: وإنكار هذه الكرامة كفر»[٤].

بل تصديق هذه الخرافة جهل ونقص عقل إذ كيف خرجت يده ﷺ من قبره وهو قد فارق الحياة ويعيش فترة البرزخ كأكمل حياة

---

(١) المدرسة الشاذلية الحديثة للدكتور عبدالحليم محمود (ص٣٢).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٣) أحمد بن علي: بن يحيى الرفاعي الزاهد مؤسس الطريقة الرفاعية وتسمى الأحمدية، والبطائحية، ولد بالعراق وتفقه وتصوف فانضم إليه خلق كثير وهو مغربي الأصل. مات سنة (٥٧٨هـ).
سير أعلام النبلاء (٢١/٧٧). وشذرات الذهب (٤/٢٥٩).

(٤) قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر (ص١٠٤).

الشهداء.

وقد وقعت بين الرفاعية وبين شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مناظرة عظيمة أمام أمير دمشق حين زعموا أن بإمكانهم دخول النار والخروج منها سالمين فتحداهم شيخ الإسلام بأن يدخل معهم النار شريطة أن يغتسلوا بالماء الحار والخل لإزالة ما كانوا يطلون به أجسامهم من الأدوية التي كان يضعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج فمن أحرقته النار فعليه لعنة الله وكان مغلوباً، وقد أظفره الله عليهم وطلبوا التوبة وقد ذكر شيخ الإسلام القصة كاملة في الفتاوى[١].

ويمكن حصر السمات البارزة لهذه المرحلة فيما يلي:

١ـ ظهور مشايخ الطرق الصوفية ووضع الأصول والمناهج العامة لها.

٢ـ الإكثار من دعوى الإلتزام بالكتاب والسنة ونهج السلف ثم وجود المفارقات لهذا الشعار عند التطبيق[٢].

٣ـ وجود بعض الشطحات في الألفاظ والسلوك والتصرفات مما أنكره عليهم علماء السلف ووصفوهم به بالضلال[٣].

٤ـ ظهور القصائد الصوفية وتطور مفهوم السماع وما يرافقه من السكر والوجد والرقص[٤].

٥ـ ظهور المصطلحات الصوفية مثل الكشف والحقائق والأسرار

---

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٤٤٥).

(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٥٨٥).

(٣) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢/ ٧٠، ٧٤، ٧٥).

(٤) الرسالة للقشيري (٢/ ٦٤٥).

والفناء والمشاهدة وغيرها[١].

المرحلة الثالثة: تعد هذه المرحلة من أخطر مراحل التصوف فقد بدأت الانحرافات في الظهور بعد تسرب الفلسفة اليونانية والاتجاهات الفارسية والمجوسية والتأثر بالديانات اليهودية والنصرانية وأبرز سمات هذه المرحلة يمكن حصرها فيما يلي:

١ـ تكوين أصول الصوفية ومدى تأثرها بالنصرانية وقولها بالاتحاد والحلول وبالمجوسية وتقديسها للأشخاص وبالهندية وقولها بالفناء والتناسخ وبالفلسفة اليونانية وإلحادها وزندقتها والقول بوحدة الوجود[٢].

٢ـ دعوى العلم اللدني والتلقي عن الله مباشرة كقول البسطامي أخذتم دينكم ميِّت عن ميِّت أما نحن فنأخذ عن الحي الذي لا يموت[٣] وقول ابن عربي: «والله ما كتبت في الفتوحات المكية حرفاً إلاَّ عن إملاء إلهي أو إلقاء رباني أو نفث روحاني أو روح كياني»[٤].

٣ـ وقوعهم في الكثير من البدع الاعتقادية كالتشيع والتجهم والإرجاء والقدر لبعدهم عن مناهج التلقي الصحيحة وهي الكتاب والسنة[٥].

٤ـ وقوع بعضهم في الفواحش والرذائل وزعمهم أنها من باب

---

(١) دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير (٢٣٥).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٥/ ٨٢). وتلبيس إبليس لابن الجوزي (٣٤٥).

(٣) الطبقات للشعراني (١/ ٥).

(٤) الفتوحات المكية لابن عربي (٣/ ٤٥٦).

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٥/ ٧).

الكرامات[١].

وبعد فهذه ملامح رئيسة عرضت بعضها بإيجاز للدلالة على المراحل التي مرت بها الصوفية وكيف بدأت زاوية الانحراف بسيطة ثم اتسعت كلما ابتعدوا عن الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح حتى آل بهم الحال إلى الإلحاد والقول بالاتحاد ووحدة الوجود والحلول والتحلل من الشرائع نعوذ بالله من ذلك.

(١) انظر: طبقات الشعراني (١/٤٦، ٢/٤٣، ٢/١٢٩).

الفصل الثاني

التصوف عند الجيلاني

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **مفهوم التصوف عند الجيلاني**

المبحث الثاني: **العوامل التي أدت إلى تصوفه**

المبحث الثالث: **موقفه من العلم والعمل**

المبحث الأول
مفهوم التصوف عند الجيلاني

لقد رسم الجيلاني منهجاً متكاملاً للتصوف يجمع بين العلم الشرعي المؤسس على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبين التطبيق العملي والالتزام بالشرع وقد أراد بذلك مدَّ جسور التواصل بين العلماء والفقهاء ممن كثر اهتمامهم بالنصوص والعلوم الشرعية على حساب السلوك وأعمال القلوب وبين رجال التصوف الذين بالغوا في الاهتمام بالروحانيات وأعمال القلوب وأهملوا إلى حد كبير جانب العلم الشرعي ولعل أبرز مثال على ذلك شيخه في التصوف حماد الدباس الذي كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب[١] والذي كان ينكر عليه تردده على الفقهاء والعلماء ويقول له: «إيش جاء بك إلينا أنت فقيه سر إلى الفقهاء»[٢].

ونستطيع أن نعرف معالم هذا المنهج من أقواله ـ رحمه الله ـ مثل:

«انظر لنفسك نظر رحمة وشفقة واجعل الكتاب والسنة أمامك وانظر فيهما واعمل بهما ولا تغتر بالقيل والقال والهوس قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٣] ولاتخالفوه فتتركوا العمل بما جاء به وتخترعوا لأنفسكم عملاً وعبادة كما قال الله عز وجل في حق قوم ضلوا سواء السبيل ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٩٤).

(٢) قلائد الجواهر (١١٢).

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٧.

عَلَيْهِمْ﴾[١]»[٢].

ويقول في موضع آخر:

«يا قوم انصحوا القرآن بالعمل به لا بالمجادلة فيه الاعتقاد كلمات يسيرة والأعمال كثيرة عليكم بالإيمان به صدقوا بقلوبكم واعملوا بجوارحكم واشتغلوا بما ينفعكم ولا تلتفتوا إلى عقول ناقصة دنية»[٣].

وهناك نصوص كثيرة ترشد إلى منهجه هذا وتدل على بعده عن الانحرافات الصوفية إلاَّ أنه كما سبق أن أشرنا في سمات التصوف في المرحلة الثانية من الإكثار من دعوى الالتزام بالكتاب والسنة ونهج السلف ثم وجود المفارقات وعدم الالتزام بهذه الدعوى عند التطبيق وهذا ينطبق أيضاً على الشيخ عبدالقادر الجيلاني الذي لو لم تقع منه تلك المفارقات لعُدَّ من أئمة أهل السنة والجماعة ومن علماء السلف ولَمَا كانت له علاقة بالمتصوفة من قريب أو بعيد.

وقد تحدث الشيخ عبدالقادر عن مفهوم التصوف والمتصوف والصوفي كالآتي:

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(٢) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة السادسة والثلاثون (ص٦٥).

(٣) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الحادي عشر (٤١).

أولاً : مفهوم التصوف عنده :

لقد حدده بقوله:

«التصوف هو الصدق مع الحق وحسن الخُلُق مع الخَلْق»[١] .

وهذا يعني أن التصوف ينظم العلاقتين الرئيستين بين العبد وبين ربه بالصدق في العبودية وبين العبد وبقية الناس بالمعاملة الحسنة والخلق القويم.

كما يحدده بقوله:

«هو تقوى الله وطاعته ولزوم ظاهر الشرع وسلامة الصدر وسخاء النفس وبشاشة الوجه وبذل الندى وكف الأذىٰ وتحمل الأذى والفقر وحفظ حرمات المشايخ والعشرة مع الإخوان والنصيحة للأصاغر والأكابر وترك الخصومة والإرفاق وملازمة الإيثار ومجانبة الادخار وترك صحبة من ليس من طبقتهم والمعاونة في أمر الدين والدنيا»[٢] .

وهو هنا يضيف إلى ما ذكرنا أمرين هامين لهما علاقة بالتصوف:

الأول: تربية النفس وتزكيتها وتهذيبها وحملها على التخلق بالصفات النبيلة والخلال الحميدة كسلامة الصدر والسخاء والبشاشة والبذل والتحمل والحلم، والأيثار والرفق.

والثاني: التأدب في المعاشرة بالقيام بحقوق الشيخ والإخوان والنصح والإخلاص للجميع وعدم التخاصم.

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٠).

(٢) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة السابعة والخمسون (ص١٦٦).

ولا يكتفي الشيخ عبدالقادر بتنظيم تلك الأمور الهامة وإنما يبين أن التصوف يقوم ويعتمد على ثمان خصال:

١ـ السخاء: ويجعل القدوة في ذلك خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام الذي اشتهر صلوات الله وسلامه عليه بذلك[١].

٢ـ الرضا: ويجعل القدوة فيه إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وكأنه بهذا يشير إلى أنه هو الذبيح وأن استسلامه لأمر ربه ورضاه كان أبرز صفاته.

وهذا القول مرجوح عند أهل السنة والجماعة. فقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ الخلاف في هذه المسألة ورجَّح بالأدلة القاطعة والبراهين القوية أن الذبيح هو إسماعيل عليه وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأزكى السلام[٢].

٣ـ الصبر: والقدوة في التخلق بهذا الخلق العظيم أيوب عليه السلام فقد أثنى الله عليه بقوله: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[٣] وذلك لما تحلى به من الصبر لمواجهة تلك الابتلاءات العظيمة التي لا يكاد يطيقها بشر في جسده وماله وولده»[٤].

٤ـ الإشارة[٥] ويذكر أن القدوة فيها هو زكريا عليه السلام.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٥).

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (١/ ٧١).

(٣) ص (٤٤).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩).

(٥) وسائل الاتصال عند الناس هي التخاطب والتلاقي وغيرها، أما الصوفية فيستخدمون الإشارة للتعبير والإرسال والاستقبال وبهذا المعنى يشير صاحب اللمع بقوله: «الإشارة هي ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة لدقة ولطافة معناه» اللمع للطوسي (ص٤١٤).

وكأنه يشير بهذا إلى سرعة بديهته وشدة فهمه وذكائه عليه السلام فإنه لما رأى أن الله يرزق مريم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء أدرك بفطنته مدى قدرة الله عز وجل وعدم ارتباطها بالأسباب وأن الله قادر على أن يرزقه ولداً ولو كان شيخاً كبيراً قد وهن عظمه واشتعل بالشيب رأسه مع كبر امرأته فدعا الله وناداه وقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾[1][2]

٥ـ الغربة[3] وقد جعل القدوة في هذه الصفة يحيى بن زكريا عليه السلام.

ولعل قصده بذلك كثرة عبادته وخلو قلبه من المشاغل حيث لا ولد ولا زوجة فقد جعله الله سيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين[4].

٦ـ التصوف والقدوة في ذلك موسى بن عمران عليه السلام.

ولعله أراد بذلك الإشارة إلى الاصطفاء الذي وقع عليه من الله بقوله عز وجل: ﴿ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾[5].

٧ـ السياحة[6] ويذكر أن القدوة فيها هو عيسى بن مريم عليه السلام.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٠).

(٣) الغربة عند الصوفية بمعنى الاغتراب عن الوطن وذلك لتيسير الاتصال مع الله منعاً لشواغل الحس فالصوفي إذا ساح في البلاد وجد نفسه فقيراً إلى الله في كل حال. معجم ألفاظ الصوفية، لحسن شرقاوي (٢١٦).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٦١).

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٤.

(٦) السياحة في الصوفية جزء من جهاد النفس لأن في السفر والاغتراب والبعد عن الأولاد والأحباب فرصة للتربية الروحية ومخالفة النفس بالإضافة إلى لقاء الصالحين وطلب العلم وغيره.

وقد حاولت أن أجد علاقة بين هذا الوصف وبين ما كان عليه نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام فلم يتضح لي شيء.

٨ـ الفقر(١).

ولا شك أن أعظم الناس اتصافاً بهذا الوصف وهو الافتقار إلى الله وصدق اللجوء والاعتماد عليه هو خير البشر وسيد ولد آدم محمد ﷺ والشواهد على هذا كثيرة جدًّا في سيرته العظيمة(٢).

= معجم ألفاظ الصوفية (١٧٤).

(١) الفقر عند الصوفية ليس بمفهومه العام الذي هو ضد الغنى ولكن معناه الافتقار إلى الله بمعنى أن يشعر الإنسان بفقره وحاجته إلى الله ولو كان غنياً أو وجيهاً.
معجم ألفاظ الصوفية (٢٢٦).

(٢) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الخامسة والسبعون (ص١٦٦).

ثانياً : مفهوم المتصوف :

المتصوف عند الجيلاني هو الذي يتوصل بجهد وتكلف في طريق تصوفه إلى أن يكون صوفياً فيسير في طريق القوم مجاهداً لهواه ومروضاً لنفسه على التحمل والتحلي بالصفات المحمودة وتطبيقها فيقول ـ رحمه الله ـ:

«المتصوف هو الذي يتكلف أن يكون صوفياً ويتوصل بجهده إلى أن يكون صوفياً فإذا تكلف وتقمص طريق القوم وأخذ به في طريق السلوك يسمى متصوفاً»[١].

وكلامه هذا يدل على أنه يرى أن هناك مرحلة سابقة تسبق كون الرجل صوفياً وهي مرحلة الإعداد والتربية والتي غالباً ما تكون مصحوبة بالجهد والمعاناة. لأنها فترة تدريب على أعمال القلوب بالإيمان الصادق. وأعمال الجوارح بالعمل الصالح.

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٠).

ثالثاً : مفهوم الصوفي :

الصوفي عند الجيلاني هو من تحقق فيه ما سبق من معاني التصوف حتى صار أهلاً لأن يطلق عليه صوفي فيقول في وصفه:

«صوفي مأخوذ من المصافاة يعني عبد صافاه الله عز وجل، أو من كان صافياً من آفات النفس خالياً من مذموماتها سالكاً لحميد مذاهبه ملازماً للحقائق غير ساكن إلى أحد من الخلائق»(١).

ويضع ضابطاً دقيقاً للصوفي فيقول:

«الصوفي من صفا باطنه وظاهره بمتابعة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»(٢).

وكم تمنيت لو أن المتصوفة وأتباع طريقة الجيلاني تمسكوا بهذا التوجيه والتزموا وتقيدوا بهذا الضابط ولو حدث هذا لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً.

ويفرق الشيخ عبدالقادر بين المتصوف الذي لا يزال في مرحلة الإعداد والتدريب وبين الصوفي الذي قطع الطريق واجتاز فترة الإعداد بقوله:

«المتصوف: مبتدىء في طريق الوصل، والصوفي: منتهي إليه.

المتصوف: متحمل لكل ثقيل وخفيف، والصوفي: محمول.

المتصوف: شارع في الطريق. والصوفي: قطع الطريق ووصل

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٠).

(٢) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس التاسع والخمسون، ص(٢٠٧).

لمن إليه الوصل والقطع»[١].

وقد أكد الشيخ عبدالقادر الجيلاني كثيراً على عدم الاهتمام بالشكل والمظهر وإهمال الباطن والجوهر فقال:

«يا من قد لبس الصوف إلبس الصوف لسرك ثم لقلبك ثم لنفسك ثم لبدنك. بداية الزهد من هناك تكون. لا من الظاهر إلى الباطن. إذا صفا السر تعدى الصفاء إلى القلب والنفس والجوارح والمأكول والملبوس وتعدى إلى جميع أحوالك»[٢].

وفي تأكيد واضح على أن الصوفي الحقيقي هو الذي صفا قلبه بأكل الحلال وبالصدق مع الله عز وجل يقول الجيلاني:

«يا غلام صفِّ قلبك بأكل الحلال وقد عرفت ربك عز وجل صفِّ نعمتك وخرقتك وقلبك وقد صرت صافياً.

التصوف مشتق من الصفا.

يامن لبس الصوف. الصوفي الصادق في تصوفه يصفو قلبه عما سوى مولاه عز وجل وهذا شيء لا يجيء بتغيير الخرق وتصفير الوجوه وجمع الأكتاف ولقلقة اللسان وحكايات الصالحين وتحريك الأصابع بالتسبيح والتهليل وإنما يجيء بالصدق في طلب الحق عز وجل. والزهد في الدنيا وإخراج الخلق من القلب وتجرده عما سوى مولاه عز وجل»[٣].

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦١).

(٢) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الرابع والعشرون ص(٨٧).

(٣) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الخامس والعشرون (ص٩٠).

المبحث الثاني
العوامل التي أدت إلى تصوفه

هناك عوامل عدة أثَّرت في تكوين شخصية الشيخ عبدالقادر الجيلاني حتى آلت به إلى سلوك طريق التصوف إلى جانب سلوكه طريق العلم الشرعي المعتمد على الكتاب والسنة كما سبق أن أوضحناه عند عرض آرائه الاعتقادية. وأبرز هذه العوامل ما يلي:

١ـ نشأته في أحضان أسرة صالحة، تتألف من والده الذي كان مشهوراً بالصلاح والعبادة وحسن السيرة ووالدته فاطمة أم الخير بنت أبي عبدالله الصومعي المعروف بالتقوى والورع وعمته التي كانت على جانب كبير من الخير والصلاح[1].

إلى جانب شهرة جدِّه لأمه الذي كان من كبار مشايخ جيلان ورؤساء زهادهم والذي ما إن لَمَحَ فيه الاستعداد الطيب والرغبة في الخير والعلم حتى ضمَّه إليه وتعهَّده بغرس جميل الخصال فيه وَرَبَطَهُ بالعلماء والصالحين ولقد كان الزهد سمة غالبة على بيئة الشيخ عبدالقادر فقد وصف والديه بقوله:

«أهَّلني الله عز وجل ببركات متابعتي للرسول ﷺ وبري بوالدي ووالدتي رحمهما الله عز وجل، والدي زهد في الدنيا مع قدرته عليها، ووالدتي وافقته على ذلك ورضيت بفعله كانا من أهل الصلاح والديانة والشفقة على الخلق»[2].

---

(١) بهجة الأسرار (٨٨). وقلائد الجواهر (٣).

(٢) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الواحد والستون (ص٢٢٤).

ولقد أعطى هذا الطابع الديني لأسرة الشيخ عبدالقادر مكانة عالية بين الناس مما جعلهم يقدِّرونهم ويسترشدون بهم في جميع أحوالهم فقد ذكر ابن العماد الحنبلي أن أهل جيلان استسقوا بعمته الصالحة أم عائشة فلم يسقوا فكنست رحبة بيتها وقالت: يارب كنست رحبة بيتي فرشَّ أنت. فمطروا كأفواه القرب[١].

٢ـ اتصاله بالصوفية في بغداد فلقد شكَّل انتقاله إلى بغداد تطوراً جديداً في حياته لما واجهه من تغير كبير في البيئة العامة والحياة الخاصة حيث اختلط بالعلماء والفقهاء ومشايخ الصوفية وذلك في قاعات الدروس ومجالس العلم. ووقف على انتماءاتهم ونشاطاتهم وتأثر بذلك تأثراً كبيراً وقد بدأ وقائع دراسته بدراسة الفقه الحنبلي وقراءة القرآن الكريم ثم اتجه بعد ذلك إلى دراسة التصوف وعلومه وكان لصحبته للشيخ حماد الدباس الأثر الكبير في تحديد توجهاته الصوفية[٢].

٣ـ عدم ارتياحه إلى سلوك بعض الفقهاء والوعاظ في زمانه والذين كانت تحكمهم الأهواء والمنافع الشخصية وكانوا يثيرون الخلافات المذهبية ويغيرون انتماءاتهم طبقاً لمصالحهم الذاتية مما عمَّق قناعته بأن انحراف بعض الفقهاء وتكسبهم بدينهم هو نتيجة حتمية لفراغ قلوبهم من التقوى ومراقبة الله عز وجل وجعله يسلك طريق التصوف لكن ثقافته الفقهية التي تستمد أصولها من الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح كان لها الأثر الكبير في سلامته وعبوره ساحل النجاة وعدم تأثره بالفلسفات وعلوم الكلام والإشارات

(١) شذرات الذهب لابن العماد (٤/ ١٩٩).
(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٩٨).

والتفسيرات الصوفية التي تعتمد على الإلهام والكشف والذوق وغير ذلك.

٥ـ المكانة العالية والمنزلة الرفيعة التي كانت للتصوف في زمانه إثر الجهود الكبيرة التي بذلها الإمام الغزالي الذي اشتهر أمره وذاع صيته في بداية نشأة الشيخ عبدالقادر ولا أستبعد أن يكون قد تتلمذ عليه فمن المعروف أن الإمام الغزالي توفي سنة ٥٠٥هـ بينما كان وصول الشيخ عبدالقادر إلى بغداد كما أسلفنا في سنة ٤٨٨هـ بمعنى أنه عاش معه في بغداد سبعة عشر عاماً فمن المستحيل ألاَّ يكون قد سمع به أو جالسه ثم رأى تلك المنزلة العالية التي كان عليها الغزالي في بغداد ويزيد هذا الاحتمال ترجيحاً التشابه الكبير بين أسلوب الشيخ الغزالي والشيخ عبدالقادر الجيلاني في كتابيهما الغنية والإحياء.

هذه أهم العوامل في نظري والتي كان لها الأثر الكبير في تصوفه رحمه الله.

المبحث الثالث
موقفه من العلم والعمل

نلمح من خلال تتبع أحوال الشيخ عبدالقادر الجيلاني عنايته الفائقة واهتمامه البالغ بجانبي العلم النظري والعملي والذي يقرأ ما كتبه في أهمية العلم والعلماء يتضح له صدق ما ذكرت وسوف أورد بعض أقواله الدالة على مدى اهتمامه بالعلم. فمن ذلك قوله في نصيحة يوجهها إلى بعض طلاَّبه:

«إن أردت الفلاح فاصحب شيخاً عالماً بحكم الله عز وجل وعلمه يعلمك ويؤدبك ويعرفك الطريق إلى الله عز وجل».

ويقول في نصيحة أخرى:

«إذا لم تتبع الكتاب والسنة ولا الشيوخ العارفين بها فما تفلح أبداً»[(١)].

ويكفي في بيان اهتمامه بالعلم ما سبق أن أوضحناه في الباب الأول عند الحديث عن مكانته العلمية.

أما الجانب العملي فقد كان موضع عنايته باعتباره من مقتضيات العلم. ومن ثماره وسوف نذكر نماذج من تركيزه على هذا الجانب في وصاياه التي كان يوجهها إلى طلاَّبه ومريديه من ذلك قوله:

«يا غلام تحفظ القرآن ولا تعمل به تحفظ سنة رسوله ﷺ ولا

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس التاسع والثلاثون (ص١٢٧).

تعمل بها. فلأي شيء تفعل ذلك تأمر الناس وأنت لا تفعل وتنهاهم وأنت لا تنتهي قال عز وجل: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾[1] لم تقولون وتخالفون أما تستحون لم تدَّعون الإيمان ولا تؤمنون»[2].

ويؤكد على التشبيه السيء للعالم الذي لا يعمل بعلمه بقوله:

«مثَّل الله العالم الذي لا يعمل بعلمه بالحمار فقال: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[3] الأسفار هي كتب العلم هل ينتفع الحمار بكتب العلم ما يقع بيده منها سوى التعب والنصب من ازداد علمه ينبغي أن يزداد خوفه من ربِّه عزَّوجل وطواعيته له. يا مدعي العلم أين بكاؤك من خوف الله عز وجل؟ أين حذرك وخوفك؟ أين اعترافك بذنوبك؟ أين مواصلتك للضياء بالظلام في طاعة الله عز وجل؟ أين تأديبك لنفسك ومجاهدتها في جانب الحق وعداوتها فيه؟ أنت همك القميص والعمامة والأكل والنكاح والدور والدكاكين والقعود مع الخلق والأنس بهم»[4].

ولأهمية الإخلاص عند أداء العمل يقول:

«لِمَ تتعلم ولا تعمل إطو ديوان العلم ثم اشتغل بنشر ديوان العمل مع الإخلاص وإلاَّ فلا فلاح لك»[5].

وفي حياته الشخصية كان يمثل النموذج المثالي في تطبيق تلك

---

(١) سورة الصف، الآية: ٣.
(٢) الفتح الرباني للجيلاني المجلس العاشر (ص٣٥).
(٣) سورة الجمعة، الآية: ٥.
(٤) الفتح الرباني للجيلاني المجلس الثالث عشر (ص٥١).
(٥) الفتح الرباني للجيلاني المجلس الثامن والخمسون (ص٢٠١).

التعاليم فقد عمل بأغلب المبادىء والخصال التي يقوم التصوف عليها والتي ذكرناها في المبحث السابق.

وقد اتفق من ترجم له أو وصفه على حسن خلقه وكريم سجاياه وعلو همته وتواضعه وسخائه وإيثاره وتطبيقه العملي لكل ما يدعو الناس إليه وقدنقل صاحب بهجة الأسرار وصف أحد معاصريه له فقال:

«ما رأت عيناي أحسن خلقاً ولا أوسع صدراً ولا أكرم نفساً ولا ألطف قلباً ولا أحفظ عهداً ووداً من الشيخ عبدالقادر ولقد كان مع جلالة قدره وعلو منزلته وسعة علمه يقف مع الصغير ويوقر الكبير ويبدأ بالسلام ويجالس الضعفاء ويتواضع للفقراء»(١).

كما نقل صاحب قلائد الجواهر قول الإمام محمد بن يوسف الأشبيلي(٢):

«كان الشيخ عبدالقادر مجاب الدعوة سريع الدمعة دائم الذكر كثير الفكر رقيق القلب دائم البشر كريم النفس سخي اليد غزير العلم شريف الأخلاق مع قدم راسخ في العبادة والاجتهاد»(٣).

وكان اهتمامه بالجوانب التربوية كبيراً إذ أن معظم توصياته لها علاقة مباشرة بالسلوك العملي التربوي ومن الأمثلة على ذلك تلك

---

(١) بهجة الأسرار للشطنوفي (١٠٣).

(٢) الإمام المحدث الحافظ أبوعبدالله محمد بن يوسف الأشبيلي، ولد سنة (٥٧٧هـ). وقدم الإسكندرية سنة (٦٠٢هـ)، فحبب إليه طلب الحديث وكتابة الآثار، وكان كما قال الذهبي ريِّض الأخلاق بشوشاً سهل العبارة كثير الاحتمال. توفي سنة (٦٣٦هـ).
سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٥٥).

(٣) قلائد الجواهر للتاوفي (ص٩).

الخصال الحميدة التي وصَّى بها والتي تحتاج إلى مجاهدة عظيمة حتى يمكن الإنسان الاتصاف بها ليصل إلى درجات الكمال وهي:

١ـ ألا يحلف بالله عز وجل لا صادقاً ولا كاذباً ولا عامداً ولا ساهياً؛ لأنه إذا أحكم ذلك من نفسه وعوَّد لسانه دفعه ذلك إلى ترك الحلف ساهياً وعامداً فإذا اعتاد ذلك فتح الله عليه باباً من أنواره يعرف منفعة ذلك في قلبه ورفعة درجته وقوة في عزمه وفي صبره والثناء عند الإخوان والكرامة عند الجيران حتى يأتم به من يعرفه ويهابه من يراه.

٢ـ أن يجتنب الكذب لا هازلاً ولا جاداً لأنه إذا فعل ذلك وأحكمه من نفسه واعتاده لسانه شرح الله تعالى به صدره وصفا به علمه كأنه لا يعرف الكذب وإذا سمعه من غيره عاب ذلك عليه وعيَّره به في نفسه وإن دعا له بزوال ذلك كان له ثواب.

٣ـ أن يحذر أن يَعِدَ أحداً شيئاً فيخلفه ويقطع العِدَةَ البتة فإنه أقوى لأمره وأقصد لطريقه لأن الخلف من الكذب فإذا فعل ذلك فُتِحَ له باب السخاء ودرجة الحياء وأعطى مودة في الصادقين ورفعة عند الله جلَّ ثناؤه.

٤ـ أن يجتنب أن يلعن شيئاً من الخلق أو يؤذي ذرة فما فوقها لأنها من أخلاق الأبرار والصديقين وله عاقبة حسنة في حفظ الله تعالى في الدنيا مع ما يُدَّخَر له من الدرجات ويُستَنْقَذْ من مصارع الهلاك ويسلمه من الخلق ويرزقه رحمة العباد ويقربه منه عز وجل.

٥ـ أن يجتنب الدعاء على أحد من الخلق وإن ظلمه فلا يقطعه بلسانه ولا يكافئه بقول ولا فعل فإن هذه الخصلة ترفع صاحبها إلى الدرجات العلى وإذا تأدب بها ينال منزلة شريفة في الدنيا والآخرة

والمحبة والمودة في قلوب الخلق أجمعين من قريب وبعيد وعزٌ في الدنيا في قلوب المؤمنين.

٦ـ ألاً يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك ولا كفر ولا نفاق فإنه أقرب للرحمة وأعلى في الدرجة وهي تمام السنة وأبعد عن الدخول في علم الله. وأبعد من مقت الله وأقرب إلى رضاء الله تعالى ورحمته فإنه باب شريف كريم على الله تعالى يورث العبد الرحمة للخلق أجمعين.

٧ـ أن يجتنب النظر إلى المعاصي ويكف عنها جوارحه فإن ذلك من أسرع الأعمال ثواباً في القلب والجوارح في عاجل الدنيا مع ما يدخره الله له من خير الآخرة.

٨ـ أن يجتنب أن يجعل على أحد من الخلق منه مؤنة صغيرة ولا كبيرة بل يرفع مؤنته عن الخلق أجمعين مما احتاج إليه واستغنى عنه فإن ذلك تمام عزة العابدين وشرف المتقين وبه يقوى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويكون الخلق عنده أجمعين بمنزلة واحدة فإذا كان كذلك نقله الله إلى الغنىٰ واليقين والثقة به عز وجل ولا يرفع أحداً سواه ويكون الخلق عنده في الحق سواء ويقطع بأن هذه أسباب عز المؤمنين وشرف المتقين وهو أقرب باب الإخلاص.

٩ـ ينبغي له أن يقطع طمعه من الآدميين ولا يطمع نفسه فيما في أيديهم فإنه العز الأكبر والغنى الخاص والملك العظيم والفخر الجليل واليقين الصافي والتوكل الشافي الصريح وهو باب من أبواب الثقة بالله عز وجل وهو باب من أبواب الزهد وبه ينال الورع ويكمل نسكه وهو من علامات المنقطعين إلى الله عز وجل.

١٠- التواضع لأن به يُشيَّد محل العابد وتعلو منزلته ويستكمل العز والرفعة عند الله سبحانه وعند الخلق ويقدر على ما يريد من أمر الدنيا والآخرة وهذه الخصلة أصل الخصال كلها وفرعها وكمالها، وبها يدرك العبد منازل الصالحين الراضين عن الله تعالى في السراء والضراء وهي كمال التقوى.

والتواضع هو ألاَّ يلقى العبد أحداً من الناس إلاَّ رأى له الفضل عليه ويقول: عسى أن يكون عند الله خيراً مني وأرفع درجة فإن كان صغيراً قال: هذا لم يعص الله تعالى وأنا قد عصيت فلا شك أنه خير مني وإن كان كبيراً قال: هذا عَبَدَ الله قبلي وإن كان عالماً قال: هذا أعطي ما لم أبلغ ونال ما لم أنل وعلم ما جهلت وهو يعمل بعلمه، وإن كان جاهلاً قال: هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم، ولا أدري بم يختم لي وبم يختم له. وإن كان كافراً[١] قال: لا أدرى عسى أن يُسْلم فيختم له بخير العمل وعسى[٢] أن أكفر فيختم لي بسوء العمل»[٣].

(١) هذه العبارة فيها نظر، لأن المسلم لا يمكن أن يرى أن الكافر أفضل منه أو أنه عند الله خيراً منه وأرفع درجة، ولعلها خرجت من الشيخ عبدالقادر مخرج المبالغة في التواضع.

(٢) عسى هنا بمعنى لعل.

(٣) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الثامنة والسبعون (ص١١٧).

الفصل الثالث

الآداب عند الصوفية

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آداب الشيخ والمريد

المبحث الثاني: آداب الصحبة

المبحث الثالث: آداب السماع

المبحث الأول
آداب الشيخ والمريد

تعريف الأدب: الأدب عند الصوفية ليس فقط بمدلوله العام أي الأدب الظاهر إذ ربما يكون رياءاً أو نفاقاً أو مجاملة واسترضاءاً وإنما الأدب عندهم هو الأدب الباطني الذى يرجى منه كنس القلب من جميع الآفات وما يسيطر عليه من الرغبات والشهوات[(١)].

وحقيقته اجتماع جميع خصال الخير فالأديب هو الذي اجتمع فيه خصال الخير ومنه أخذت المأدبة[(٢)].

والشيخ عند الصوفية: يعني الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغ إلى حد الكمال فيها لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ومعرفته بذواتها وقدرته على شفائها والقيام بهدأها إن استعدت ووفقت لاهتدائها[(٣)].

أما المريد: فيعرفه الشيخ عبدالقادر الجيلاني:

«بأنه المقبل على الله عز وجل وطاعته المُولِّي عن غيره وإجابته يسمع من ربه عز وجل فيعمل بما في الكتاب والسنة ويصمُّ عما سوى ذلك ويُبْصِرِ بنور الله عز وجل فلا يرى إلاَّ فعله فيه وفي غيره من سائر الخلائق ويعمى عن غيره. ينصح نفسه أبداً فلا يجيبها إلى محبوبها ولذاتها وينصح عباد الله ويأنس بالخلوة مع الله ويصبر عن معاصي الله

(١) معجم ألفاظ الصوفية، د حسن شرقاوي (٣٥).
(٢) الرسالة للقشيري (٢/٥٥٨).
(٣) معجم اصطلاحات الصوفية، عبدالرزاق الكاشاني (١٧٢).

ويرضى بقضاء الله ويختار أمر الله ويستحيي من نظر الله ويبذل مجهوده في محاب الله ويتعرض أبداً لكل سبب يوصله إلى الله»[١].

وكلمة المريد يبدو أنها مصطلح تعارف عليه الناس آنذاك وأطلقوه على الشاب إذا استقام على أمر الله وتمسك بطاعته. كما أطلق الناس في زماننا مصطلح الالتزام على الشباب الذين يعودون إلى الله ويتمسكون بطاعته. وتعريف الشيخ عبدالقادر الجيلاني للمريد يدل على ذلك إلاَّ أن هذا الاصطلاح تطوَّر وخرج عن مدلوله الذي ذكره الشيخ عبدالقادر وأصبح لقباً يطلق على من ينتسب إلى التصوف في بداية تصوفه.

ومن ضرورات السلوك عند الصوفية أن يكون لكل مريد شيخ يدله على الطريق ويهديه سواء السبيل وهذا ما يقرره الشيخ عبدالقادر الجيلاني بقوله:

«فالمشايخ هو الطريق إلى الله عز وجل والأدلاء عليه والباب الذي يدخل منه وإليه فلابدَّ لكل مريد من شيخ على ما بيَّنا»[٢].

ومعنى هذا أنه يرى أن التصوف علاقة بين الشيخ والمريد وأن الشيخ هو الأساس في التربية الصوفية وهذا شيء غير مسلَّم به عند علماء أهل السنة والجماعة فرغم أنهم يرون أن كل طالب علم لابدَّ له من معلم يتلقى عنه ذلك العلم فهم يرون أيضاً أنه بالإمكان للطالب إذا كان ممن يملك القدرة على القراءة والفهم والتمييز وكان لديه مصادر للعلم أن يحصله دون الحاجة إلى شيخ. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/١٥٨).
(٢) الغنية للجيلاني (٢/١٦٦).

«وأما انتساب الطائفة إلى شيخ معين فلا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون عنه الإيمان والقرآن كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي ﷺ وتلقاه عنهم التابعون وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين بإحسان فكما أن المرء له من يعلمه القرآن ونحوه فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر ولا يتعين ذلك في شخص معين ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين فكل من أفاد غيره إفادة دينية فهو شيخه فيها وكل ميت وصل إلى الإنسان من أقواله وأعماله وآثاره ما انتفع به في دينه فهو شيخه من هذه الجهة فسلف الأمة شيوخ الخلفاء قرناً بعد قرن وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته ويعادي على ذلك بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم. ولايُخص أحدٌ بمزيد موالاة إلاَّ إذا ظهر له مزيد إيمان وتقوى، فيُقَدَّم من قدَّم الله تعالى ورسوله ويُفَضَّل من فضَّله الله ورسوله قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]»[2]

وقد وضع الشيخ عبدالقادر الجيلاني للمريد آداباً ألزمه بها في التعامل مع شيخه حتى يكون مثالياً في طريق سلوكه كما أوجب على الشيخ تجاه مريده آداباً لابدَّ من مراعاتها حتى يكون قدوة صالحة ومثالاً يحتذىٰ به.

وفيما يلي عرض لتلك الواجبات:

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٥١١).

أولاً : واجبات المريد :

وضع الشيخ عبدالقادر جملة من الواجبات التي يلتزم بها المريد المبتدىء يمكن حصرها فيما يلي:

١ـ الاعتقاد الصحيح الذي هو الأساس ويكون على عقيدة أهل السنة والجماعة والسلف الصالح.

٢ـ التمسك بالكتاب والسنة والعمل بهما أمراً ونهياً أصلاً وفرعاً.

٣ـ الصدق والاجتهاد والإخلاص مع الله والوفاء بوعده وامتثال أمره والاستمرار في عبادته ومرضاته ومحبته وكل ما يؤدي إلى قربه.

٤ـ الحذر من التقصير ومخالطة المقصرين أبناء القيل والقال أعداء الأعمال والتكاليف المدعين للإسلام.

٥ـ الاتصاف بصفة الكرم مع اليقين والاعتقاد أن الله لم يخلق ولياً بخيلاً.

٦ـ الرضابعدم الشهرة وخمول الذكر وترك الغرور وقتل الشهوات والرضا بالجوع والحرمان.

٧ـ الإيثار وتقديم أقرانه عند الشيخ وفي مجالس العلم، وعند العلماء وأصحاب الفضل فيجوع هو ليشبع الباقون، ويرضى بالذل لعز الجماعة وكرامتهم.

٨ـ أن يطلب من الله الستر ومغفرة ما سلف من الذنوب والعصمة فيما بقي من العمر والتوفيق لما يحبه الله سبحانه من الأعمال الصالحة والرضا عنه في حركاته وسكناته.

٩ـ أن يتحبب إلى الشيوخ وإلى جميع الصالحين، وأن يعفو ويصفح

عن زلات الغير وإساءات الناس إليه.

١٠ـ أن يزهد في الملذات وأن يقاوم الرغبة في التوسع في الشهوات»[١].

هذه هي مجمل الواجبات التي ينبغي على المريد أن يقوم بها وهي كفيلة بطبعه على الاستقامة وكريم الأخلاق ونبل الصفات.

ثانياً : آداب المريد مع الشيخ :

نظراً لأهمية صلة المريد بالشيخ فقد وضع الشيخ عبدالقادر الجيلاني آداباً خاصة بالمريد تجاه شيخه الذي سيصحبه وهي:

١ـ طاعته وعدم مخالفته في الظاهر أو الاعتراض عليه في الباطن مع الإكثار من قراءة ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٢] وإذا ظهر من شيخه ما يكرهه في الشرع استخبر عن ذلك بضرب المثل والإشارة ولا يصرح به لئلا ينفر منه الشيخ بسببه.

٢ـ أن يستر ما قد يرى من عيوب الشيخ ويتهم نفسه فربما وقع ذلك لعدم فهمه مراد الشيخ فإذا لم يجد للشيخ عذراً استغفر له ودعا بالتوفيق ولا يخبر أحداً بما حدث منه ولا يعتقد أن الشيخ معصوم، إنما حصل منه وإنما هو عن غفلة.

٣ـ ملازمة الشيخ وعدم الانقطاع عنه وإذا حدث وأن عبس في وجهه أو غضب عليه أو ظهر منه إعراض فليفتش في نفسه وما عسى أن يكون قد وقع منه من سوء أدب أو تفريط بترك أمر الله أو فعل نهيه وعليه أن يبادر إلى التوبة والاستغفار والعزم على عدم العودة إليه

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٣) بتصرف يسير.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

في المستقبل.

٤ـ أن يلتزم بالآداب أمام شيخه وأن يتخير أفضل الأساليب عند التخاطب معه وأن يفعل معه ما يسره.

٥ـ أن يحظى الشيخ بثقة مريده ويقينه بأنه أهل لأن يتلقى العلم والمعارف على يديه.

٦ـ أن يحذر من مقارفة الذنوب لأنها تذهب ببركة العلم وتغير الحال كما حدث لآدم حينما أُخرج من الجنة بسبب الذنب.

٧ـ ألاَّ يتكلم أمام شيخه إلاَّ للضرورة وأن يسكت إذا دارت مسألة عند شيخه ولو كان الجواب عنده بل ينتظر ما يقوله شيخه ولا يعارض»[1].

هذه هي الآداب التي ينبغي للمريد مراعاتها والتحلي بها في التعامل مع شيخه وهي في مجملها فضائل وأخلاق تدعو لتكريم الشيخ وطاعته؛ لأنه معلم، ومن حق المعلم أن يقدَّر وأن يُحترم غير أن تلك الطاعة يجب أن تكون في حدود دائرة المعروف فإذا أملى الشيخ ما يوافق الكتاب والسنة فلا شك في لزوم طاعته أما إذا أملى أو علَّم ما يخالف الكتاب والسنة فالواجب عدم طاعته هذا إذا كان الشيخ معروفاً بالدين والإيمان والاستقامة والصلاح، أما من عرف بالابتداع والفجور فيجب الإنكار عليه، وبيان بدعته وفجوره وتحذير الناس منه فضلاً عن أن يطاع فيما يأمر به. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«وبالجملة فالشيوخ وغيرهم إذا أمروا بطاعة الله ورسوله أُطيعوا

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٤) بتصرف يسير.

وإن أمروا بخلاف ذلك لم يُطَاعوا فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وليس أحد معصوماً إلاَّ رسول الله ﷺ. وهذا في الشيخ الذي ثبت معرفته بالدين وعمله به.

وأما من كان مبتدعاً بدعة ظاهرة أو فاجراً فجوراً ظاهراً فهذا إلى أن تنكر عليه بدعته وفجوره أحوج منه إلى أن يطاع فيما يأمر به. لكن إن أمر هو أو غيره بما أمر الله به ورسوله وجبت طاعة الله ورسوله، فإن طاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد في كل حال ولو كان الآمر بها كائناً من كان»[1].

ثالثاً: الآداب المتعلقة بالشيخ تجاه مريده:

لكي تتم عملية التربية السلوكية بنجاح ولأنها مسئولية مشتركة تتم من طرفين هما المريد والشيخ، فإن الشيخ عبدالقادر الجيلاني يضع آداباً وواجبات لابدَّ أن يراعيها الشيخ أثناء تعامله مع المريد وهي:

١ـ «أن يقبله لله تعالى ويتعهده بالنصيحة والرفق واللين فيكون معه كأبيه وأمه شفقة ورحمة وألاَّ يحمله ما لا يطيق، بل يتدرج معه حتى ينقله من موافقة الطبع إلى أوامر الشرع ومن الرخص إلى العزائم.

٢ـ إذا علم منه صدق المجاهدة فلا يتهاون معه بل يلزمه بأوامر الله ويزجره عن نواهيه ابتغاء مرضاته سبحانه دون النظر إلى عائد.

٣ـ أن يثبته على الطريق وألاَّ يعمل ما من شأنه التنفير لأن القصد هو الله وما كان لله دام واتصل.

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٥١٧) بتصرف يسير.

٤ـ أن يراقب سلوكه فإذا رأى مخالفة للشرع وعظه وزجره وحذَّره من العودة ورغَّبه في التوبة إلى الله.

٥ـ أن يحرص على تلقينه مبادىء الخير ويتجنب الفاحش من القول والخلق؛ لأنه محل القدوة والرحمة يرعى مصالحه وكل مشاكله ويحمل عنه عبئه»[١].

هذه الآداب التي يجب على الشيخ أن يلتزمها لاشك أنها حسنة وهي من حقوق المسلم على أخيه وهي من الشيخ أوكد.

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/١٦٨) بتصرف يسير.

المبحث الثاني
آداب الصحبة

أولاً : صحبة الإخوان :

بدأ الشيخ عبدالقادر الجيلاني تلك الآداب ببيان آداب صحبة الإخوان وما ينبغي مراعاته في التعامل معهم. من ذلك:

١ـ الإيثار والصفح عنهم والقيام معهم في شئونهم وتقديم الخدمة الممكنة لهم.

٢ـ ألاَّ يرى له على أحد حقًّا ولا يطالب أحداً بحق بل يرى أن لكل منهم عليه حقًّا ثم يجتهد في أداء حقوقهم.

٣ـ أن يظهر لهم الموافقة في جميع ما يقولون أو يفعلون ـ وهذا محمول بالطبع على القول الحق والفعل الحسن ـ وأن يتأول لهم ويعتذر عنهم.

٤ـ أن يجتنب مجادلتهم ومخالفتهم ويتعامى عن عيوبهم فإن خالفه أحد منهم في شيء سلَّم له ما يقول في الظاهر وإن كان الأمر عنده بخلاف ما يقول ـ وهذا أيضاً محمول على كون الخلاف في الأمور العادية والحياتية أما إذا كان الخلاف في شيء من الشرع فلابدَّ من بيان الحق بدليله وعدم الموافقة على الباطل ـ.

٥ـ أن يجتنب فعل ما يكرهونه من حقد أو أذية أو غيبة»[1] .

٦ـ أن يكون المعيار لعلاقات الإنسان بالآخرين هو الحب في الله ـ عز

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٩).

وجل ـ والبغض فيه يقول في هذا المعنى:

«إذا وجدت في قلبك بغض شخص أو حبّه فاعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت فيهما مبغوضة فأبشر بموافقتك لله عز وجل ولرسوله وإن كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه فاعلم بأنك صاحب هوى تبغضه بهواك ظالماً له يبغضك إياه وعاص لله عز وجل ولرسوله مخالف لهما فتب إلى الله عز وجل من بغضك وأسأله عز وجل محبة ذلك الشخص وغيره من أحبائه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده. لتكون موافقاً له عز وجل، وكذلك افعل بمن تحبه يعني أعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت محبوبة فيهما فأحببه وإن كانت مبغوضة فأبغضه كيلا تحبه بهواك وقد أمرت بمخالفة هواك قال عز وجل: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1]»[2].

وهكذا ومن خلال تلك الآداب فإننا نرى أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني لم يجعل من التصوف حالة انفصال عن المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان لأن كماله وسمو أخلاقه لا تبرز بمجرد حصوله على المعارف والعلوم وإنما تظهر في حالة احتكاكه ومخالطته وتعامله بمن يعيش معهم في المجتمع والمجتمع بمختلف فئاته وطبقاته هو المحك الذي يظهر الإنسان على حقيقته ولذا كان لابد من مراعاة تلك الآداب حتى تصلح الأحوال وتتقارب القلوب.

ثانياً: صحبة الأجانب:

وتتركز تلك الآداب على حفظ أسرارهم والشفقة عليهم

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٢) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الحادية والثلاثون ص(٧٥).

والرحمة لهم. والصبر على سوء أخلاقهم عند معاشرتهم على ألاَّ يرى لنفسه فضلاً عليهم بل يرى أنهم أهل سلامة ويقول لنفسه أنت أهل المضايقة لأنك تحاسبين الكل والله يتجاوز للجاهل مما لا يتجاوز للعالم[١].

آداب صحبة الأغنياء :

لم يتوسع الشيخ عبدالقادر الجيلاني في الحديث عن آداب الأغنياء لأن احتكاك الصوفي بهم نادراً ومع هذا فقد خصهم ببعض الآداب منها:

«أن يتعزَّز عليهم ولا يظهر الذلَّة لهم باعتبار فقره وغناهم، وألاَّ يتطلع أو يطمع فيما في أيديهم وألا ينظر إليهم نظرة استكبار واستعلاء بل يعتقد أنهم خير منه حتى يسلم من داء الكبر»[٢].

رابعاً : آداب صحبة الفقراء :

أطال الشيخ عبدالقادر الجيلاني في الحديث عن آداب الفقراء باعتبار أنهم يشكلون الأكثرية في معظم المجتمعات وباعتبار كثرة احتكاك المتصوف بهم. ولذا ركَّز على هذه الطبقة وتوسَّع في الحديث على النحو التالي:

١ـ «المبادرة إلى الإحسان إلى الفقير دون أن تنتظر حتى يسألك وإن اتفق أن استقرض منك شيئاً فعليك أن تقرضه ثم تسامحه وتبرؤه في قرارة نفسك ثم تخبره بعد فترة.

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٩).

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٦٩).

٢ـ مراعاة نفسيته بتعجيل تحقيق رغبته دون تنغيص بإطالة الانتظار لأن المماطلة والتسويف والتلويح بالمواعيد في المستقبل لها تأثيرها البالغ في نفسية الفقير وجرح مشاعره.

٣ـ الصبر عليه وعدم الانزعاج من تصرفاته فهي تصرفات ناشئة عن ضيق صدره وعن ظرفه الذي يعيشه من قلة ذات يده.

٤ـ التلطف عند سماع شكواه ومقابلته بوجه طلق وبكلام طيب جميل وبعطاء وافر جزيل. وإن تعذر الإعطاء في الحال فبوعد صادق فيما بعد لأن التعامل بهذا الأسلوب يخفف عن الفقير وطأة الحاجة أما التعامل السيء فلربما أدَّى به إلى التسخط والاعتراض على الرب عز وجل فيما قسم وتكون أنت السبب في ثوران نفسه وإعانة الشيطان عليه»[1].

خامساً: الآداب الواجبة على الفقير نفسه:

لم يكتف الشيخ عبدالقادر الجيلاني بذكر آداب التعامل مع الفقير؛ بل أشار إلى الآداب التي ينبغي للفقير أن يراعيها ومنها:

١ـ العفَّة وعدم الطمع والصبر على الفقر والاعتقاد بأنه خير له إذ هو تقدير الله واختياره.

٢ـ الرضا بماهو فيه من حال فهذا هو الغنى الحقيقي مع الأخذ بالأسباب في جلب الرزق الحلال بالعمل المباح.

٣ـ ألاَّ يشكو حاله لأحد إلاَّ لله عز وجل لأن في ذلك اعتراضاً على قضاء الله وقدره.

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٧١) بتصرف يسير.

٤ـ أن يتجنب السؤال إذا وجد الكفاية وإذا سأل فيكون لقصد الكفاية، ولا يسأل لنفسه بل لعياله، ويكون سؤاله بالإشارة.

٥ـ أن ينظر إلى الخلق على أنهم أمناء على ما أعطاهم الله فإن أعطوه فإنما أعطوه بأمر الله فيشكر وإن منعوه فبأمر الله فيصبر(١).

سادساً : آداب المعاشرة :

تعتمد تلك الآداب على العديد من الخصال التي ينبغي أن يتحلى بها الإنسان حتى يكون حسن المعاشرة كريم الأخلاق محبوباً عند إخوانه مرضياً عنه عند خالقه عز وجل وهي:

١ـ انبساط الوجه معهم، وعدم المخالفة لهم، وألاَّ يبطن لهم غشاً، بل يستر عيوبهم ويعود مريضهم ويعفو عمن ظلمه منهم وأن يؤثرهم على نفسه في جميع الأحوال، وأن يعاشر من دونه بالشفقة، ومن فوقه بالاحترام والإجلال، ومن هو مثله بالإفضال والإحسان.

٢ـ أن يسارع في خدمتهم وأن يمنعهم من خدمته وأن يزور المريض منهم وإذا احتاج إلى دواء قدَّمه إليه.

٣ـ إذا مارس عبادته أو أذكاره فعليه ألاَّ يزعجهم بل يخفض صوته ويخفي عمله عنهم وإذا صاموا أو أفطروا وافقهم في ذلك.

٤ـ أن يراعي آداب الأكل فيذكر اسم الله ويأكل بيمينه ويأكل مما يليه ولا يأكل بشراهة ولا يرفع يده وغيره يأكل حتى لا يحرجه ولا يقول لصاحب الطعام كل معنا، ولا ينتقل من مكانه على الطعام

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٧٤) بتصرف يسير.

لغيره ولا يرفع شيئاً ويضعه أمام غيره.

٥ـ في حالة السفر ينبغي أن يتحلىٰ بكريم الصفات، وأن يتزود بالتقوى وإصلاح حال من يعول، وحفظ الحقوق التي عليه أو في ذمته، وأن يلازم الأوراد والعبادات التي قد ألزم نفسه بها[1].

(١) الغنية للجيلاني (٢/١٧٨) بتصرف يسير.

المبحث الثالث
آداب السماع

السماع في اللغة: الغناء وقيل الذكر المسموع الحسن الجميل، وكل ما التذذته الأذن من صوت حسن سماع[١].

وفي اصطلاح المتصوفة يعرفه ذو النون المصري بأنه: «وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق ومن أصغى إليه بنفس تزندق»[٢].

وبالغ فيه بعضهم فعدَّ مجالسه من مجالس نزول الرحمة يقول الجنيد: «تتنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن، عند السماع فإنهم لا يسمعون إلاَّ عن حق ولا يقولون إلاَّ عن وَجْدٍ وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلاَّ عن فاقة، وعند مجاراة العلم فإنهم لا يذكرون إلاَّ صفات الأولياء»[٣].

أما الشيخ عبدالقادر الجيلاني فيعرفه بأنه:

«الحديث والكلام الذي هو سنة الله عز وجل مع العلماء والخواص من الأولياء والأبدال والأعيان الذين وقفوا مع القول والأبيات والأشعار التي تثير الطباع وتهيج العُشاق بالطباع لا بالقلوب والأرواح»[٤].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٨/ ١٦٥).
(٢) اللمع للطوسي (٣٤٢).
(٣) الرسالة للقشيري (٢/ ٦٤٥).
(٤) الغنية للجيلاني (٢/ ١٨٠).

ومن آدابه عند الشيخ الجيلاني **«أن يقصد الإنسان ذكر ربه بقلبه مُشتغلاً بحفظ قلبه من طوارق الغفلة والنسيان، فإذا سمع القارىء للقرآن رأى كأنه مستنطق من قبل الحق عز وجل»**[(١)].

ومعنى هذا: أنه يعني بالسماع في الدرجة الأولى سماع القرآن الكريم، فهذا لا شك في مشروعيته وفي مشروعية تحسين الصوت به، فقد قال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري: **«لقد أُوتيت مزماراً من مزامير آل داود»**[(٢)].

وقال: ما أذن الله بشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنَّى بالقرآن ويجهر به»[(٣)].

غير أن الشيخ الجيلاني لا يكتفي بذلك وإنما يضيف إليه سماع الأبيات والأشعار التي تثير الطباع وتهيج العشاق كما تقدم ولكنه لا يرى أنه أمر ضروري يوجب الاهتمام، كما أنه لم يعدَّه من الأسس المهمة في التصوف، ولذا أوضح رأيه فيه والمخالف لما اعتاده الصوفية في زمنه فقال:

«وإن كنا لا نرى بالسماع والقول والقصب والرقص وقد قدمنا كراهيته إلاَّ أننا قد ذكرنا ذلك على ما قد لهج به أهل زماننا في أربطتهم ومجامعهم»[(٤)].

ومعنى هذا أنه وجد نفسه أمام وَضْعٍ قائم وعُرْفٍ صوفي شائع لا يمكن تجاهله ولذا قام بوضع بعض الآداب للتخفيف من حدته

(١) المصدر السابق (٢/ ١٨٠).
(٢) رواه البخاري ، ح (٥٠٤٨). ومسلم ح (٧٩٣).
(٣) رواه البخاري ح (٥٠٢٤)، ومسلم ح (٧٩٢).
(٤) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٧).

وللحدِّ من تجاوزات أهله من ذلك:

«ألاَّ يتكلفوا السماع ولا يستقبلونه بالاختيار[١].

«وألاَّ يظهروا شيئاً من الحركات والأصوات فالخير في السماع عنده السكوت»[٢].

إلاَّ أنه يجيز للمريد أن يخرج من حال سكونه وسكوته إلى الحركة والكلام لكن بشرط إجازة الشيخ له يقول في هذا المعنى:

«وينبغي للمريد ألاَّ يتحرك في حال السماع بين يدي الشيخ إلاَّ بإشارة منه عليه ولا يرى من نفسه البتة حالاً إلاَّ أن ترد غلبة تأخذه عن التمييز والاختيار فإذا سكنت فورته فليعد إلى حال سكونه وآدابه ووقاره»[٣].

غير أن الذي يجب أن أؤكده هنا أن السماع الذي ربما أجازه الشيخ الجيلاني ليس بالصورة المعروفة عند الصوفية اليوم والتي ترافقها الدفوف والآلات فقد نقل التاذفي في قلائد الجواهر أن ابن حجر العسقلاني أجاب لما سئل عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني وهل كان يحضر مجالس السماع أو أمر بحضوره فقال:

«أما الشيخ عبدالقادر والذي وصل إلينا من أخباره الصحيحة أنه كان فقيهاً زاهداً عابداً يتكلم على الناس ويرغبهم في الزهد والتوبة ويحذرهم من العقوبة على المعصية فكان يتوب على يديه من الخلق ما لا يحصى كثره وله كرامات مستفيضة لم ينقل إلينا عن أحد من أهل عصره ولا من بعده أكثر مما نقل عنه ولا عرف عنه في

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٧٩).
(٢) المصدر السابق (٢/ ١٦٧).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١٦٧).

مسألة السماع بهذه الآلات شيئاً»[١].

أما موقف السلف من أهل السنة والجماعة من مسألة السماع هذه فقد حرَّره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وأوضح السماع المشروع من السماع المبتدع فقال:

«السماع الذي أمر الله به ورسوله واتفق عليه سلف الأمة ومشايخ الطريق هو سماع القرآن، فإنه سماع النبيين وسماع العالمين وسماع العارفين، وسماع المؤمنين. قال سبحانه وتعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[٥]».

---

(١) قلائد الجواهر للتاذفي (١٣٥).
(٢) سورة مريم، الآية: ٥٨.
(٣) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧ ـ ١٠٩.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٨٣.
(٥) سورة الأنفال، الآيات: ٢ ـ ٤.

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «وكما أثنى الله على هذا السماع فقد ذم المعرضين عنه وساق بعض الآيات القرآنية الدالة على الوعيد الشديد لمن أعرض عن سماع القرآن الكريم ثم قال:

وهذا كثير في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين يمدحون من يقبل على هذا السماع ويحبه ويرغب فيه ويذمون من يعرض عنه ويبغضه».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «وهذا سماع له آثاراً إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية يطول شرحها، ووصفها، وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب، ودموع العين، وإقشعرار الجلد، وقد ذكر الله هذه الثلاثة في القرآن، وكانت موجودة في أصحاب رسول الله ﷺ الذين أثنىٰ عليهم في القرآن، ووجد بعدهم في التابعين آثار ثلاثة الاضطراب، والاختلاج والإغماء، أو الموت والهيام، وأنكر بعض السلف ذلك إما لبدعتهم وإما لحبهم.

وأما جمهور الأئمة والسلف فلا ينكرون ذلك فإن السبب إذا لم يكن محظوراً كان صاحبه فيما تولَّد عنه معذوراً لكن سبب ذلك قوة الوارد على قلوبهم وضعف قلوبهم عن حمله فلو لم يؤثر السماع لقسوتهم كانوا مذمومين كما ذمَّ الله الذين قال فيهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾[1] وقال ـ عز وجل ـ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[2] ولو أثَّر فيهم آثاراً محمودة لم يجذبهم عن حدِّ العقل لكانوا كمن أخرجهم إلى حدِّ الغلبة كانوا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٦.

محمودين أيضاً ومعذورين.

فأما سماع القاصدين لصلاح القلوب في الاجتماع على ذلك: إما نشيد مجرد نظير الغبار وإما بالتصفيق ونحو ذلك، فهو السماع المحدث في الإسلام فإنه أحدث بعد ذهاب القرون الثلاثة الذين أثنىٰ عليهم النبي ﷺ حيث قال: «**خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[١]. وقد كرهه أعيان الأمة ولم يحضره أكابر المشايخ.

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: «خلفت ببغداد شيئاً أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن»[٢].

وسئل عنه الإمام أحمد بن حنبل فقال: «هو محدث أكرهه قيل له: إنه يرق عليه القلب. فقال: لا تجلسوا معهم. قيل له: أيهجرون؟ فقال: لا يبلغ بهم هذا كله»[٣]. فبيَّن أنه بدعة لم يفعلها القرون الفاضلة لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في مصر ولا في العراق ولا خراسان ولو كان للمسلمين به منفعة في دينهم لفعله السلف ولم يحضره مثل إبراهيم بن أدهم[٤] ولا الفضيل

---

(١) رواه البخاري ح (٣٦٥٠).
(٢) الفكر الصوفي، عبدالرحمن عبدالخالق (٦٨٤).
(٣) طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/٣٩٦) بمعناه.
(٤) إبراهيم بن أدهم بن منصور: الإمام العارف سيد الزهاد أبوإسحاق العجلي نزيل الشام، قال عنه النسائي: هو ثقة مأمون أحد الزهاد. كان يقول: الزهد الفرض هو الزهد في الحرام وزهد السلامة وهو الزهد في الشبهات، وزهد الفضل وهو الزهد في الحلال. مات سنة (١٦٢هـ).
سير أعلام النبلاء (٧/٣٨٧).

ابن عياض ولا معروف الكرخي[(١)]، ولا السري السقطي[(٢)]، ولا أبوسليمان الداراني[(٣)]، ولا مثل الشيخ عبدالقادر والشيخ عدي[(٤)] والشيخ أبي البيان[(٥)]، ولا الشيخ حياة[(٦)]، وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء كالشيخ عبدالقادر وغيره النهي عنه وكذلك أعيان المشايخ».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

«وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي ﷺ لم يترك شيئاً يقرب إلى الجنة إلاَّ وقد حدَّث به ولا شيئاً يبعد عن النار إلاَّ وقد

(١) معروف بن فيروز الكرخي: عَلَم الزهاد. من كلامه: «إذا أراد الله بعبد شرًّا أغلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل» وكان مجاب الدعوة، مات سنة (٢٠٠هـ) رحمة الله عليه.
سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٣٩).

(٢) هناد بن مصعب بن أبي بكر السري: الإمام الحجة القدوة زين العابدين صاحب كتاب الزهد، ولد سنة (١٥٢هـ). قال عنه أبوحاتم: صدوق. وقال النسائي: ثقة. مات سنة (٢٤٣هـ).
سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٦٥).

(٣) أبوسليمان الداراني: الإمام الكبير الزاهد عبدالرحمن بن أحمد ولد سنة (١٤٠هـ) من كلامه: «من وثق بالله في رزقه زاد في حسن خلقه وأعقبه الحلم، وسخت نفسه وقلَّت وساوسه في صلاته» مات سنة (٢٠٥هـ).
سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٢). وشذرات الذهب (٢/ ١٣).

(٤) عدي بن مسافر الأموي: أحد أركان التصوف وأعلى العارفين بها كان الشيخ عبدالقادر ينوه بذكره ويثني عليه وله مجاهدات عظيمة. مات سنة(٥٥٨هـ).
الطبقات للشعراني (١/ ١١٨).

(٥) لم أعثر له على ترجمة لعدم وضوح اسمه.

(٦) حياة بن قيس الحراني من أجلاء المشايخ وعظماء العارفين صاحب الكرامات والمقامات، مات سنة (٥٨١هـ).
الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٣٢).

حدَّث به وإن هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله فإن الله يقول: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[1]. وإذا وجد فيه منفعة لقلبه ولم يجدشاهد ذلك لا من الكتاب ولا من السنة لم يلتفت إليه»[2].

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٥٨٧ ـ ٥٩٥).

الفصل الرابع

الولاية والكرامة

وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول : الولاية عند أهل السنة والجماعة

المبحث الثاني: الولاية عند المتصوفة

المبحث الثالث: الكرامة عند أهل السنة والجماعة

المبحث الرابع: الكرامة عند المتصوفة

المبحث الخامس: الكرامة عند المتكلمين والأشاعرة والمعتزلة

المبحث الأول
الولاية عند أهل السنة والجماعة

الولاية لغة: مصدر ولي يليه ولاية: «إذا دنا منه وقرب أو قام به وملك أمره أو نصره وأحبه»(١).

وفي الاصطلاح: عند أهل السنة والجماعة لا يختلف عنه في المعنى اللغوي فهو يدور على القرب والحب والنصرة.

ورغم أنني لم أعثر في كتب الشيخ عبدالقادر الجيلاني على كلام بخصوص الولاية إلا أنه نظراً للعلاقة الوثيقة بين الولاية والكرامة فقد آثرت أن أتحدث بإيجاز عن الولاية عند أهل السنة والجماعة وعند المتصوفة.

وولاية الله لعبده هدايته إلى طاعته ومحبته ونصرة دينه، وولاية العبد لله تقتضي الإيمان به سبحانه والتقرب إليه بطاعته وترك مساخطه وخشيته ومراقبته قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾(٢).

وهناك فرق بين ولاية الله سبحانه للعبد وبين ولاية العبد لربه ـ عز وجل ـ وهو أن الله تعالى لا يوالي عبده لافتقار أو حاجة إليه وإنما يواليه إكراماً له وتفضلاً عليه لغناه عمن سواه وافتقار كل ما

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (٤٠٧/١٥).

(٢) سورة يونس، الآيات: ٦٢ـ٦٤.

عداه إليه.

فأما العبد فإنه يوالي ربه لفقره وحاجته إليه إذ هو دائماً في حاجة ماسة إلى معونة ربه ونصرته وإدنائه وتقريبه فالمنة لله تعالى على عبده حين يواليه ويقبله ولا منة للعبد بحال من الأحوال[١].

وبالجملة فإن كل من أكرمه الله بالهداية فآمن بالله واتقاه وتقرب إليه بفعل طاعته وترك معصيته ووالى من يواليه وعادى من يعاديه فهو ولي الله سبحانه، ولذا كان كل من عادى وليًّا لله عز وجل فكأنما ناصب الله العداء، كما في الحديث القدسي الذي يرويه رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه يقول:

«من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»[٢].

وعلى هذا يكون معنى أولياء الله أنهم خلَّص المؤمنين الذين قرَّبهم الله منه بسبب طاعتهم له وتركهم لمعصيته والذين يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ ﴾[٣].

والولي عند أهل السنة غير معصوم بل هو عرضة للخطأ، يقول

---

(١) عقيدة المؤمن للجزائري (١٧٣).

(٢) رواه البخاري ح (٦٥٠٢).

(٣) سورة يونس، الآية: ٦٣.

شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوما لا يغلط ولا يخطىء بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به وتكون مما نهى الله عنه ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى وتكون من الشيطان لبَّسها عليه لنقص درجته ولا يعرف أنها من الشيطان وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى فإن الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان؛ فقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[1].

وثبت في الصحيح أن الله سبحانه استجاب هذا الدعاء وقال: قد فعلت.

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ قال: دخل في قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشد منه فقال النبي ﷺ: قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا﴾ إلى

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٨٥، ٢٨٦.

قوله: ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال الله: قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ قال: قد فعلت.[(١)]

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[(٢)].

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً أنه قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر»[(٣)].

فلم يؤثم المجتهد المخطىء بل جعل له أجراً على اجتهاده وجعل خطأه مغفوراً له. ولكن المجتهد المصيب له أجران فهو أفضل منه.

ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله من هو ولي لله إلاَّ أن يكون نبيًّا، بل ولا يجوز لولي لله أن يعتمد على ما يلقى إليه في قلبه وعلى ما يقع له مما يراه إلهاماً[(٤)] أو محادثة[(٥)] وخطاباً من الحق بل يجب عليه أن

---

(١) رواه مسلم ح (١٢٦).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

(٣) رواه البخاري ح (٦٩١٩)، ومسلم ح (١٧١٦).

(٤) الإلهام: ما يلقى في الروح بطريق الفيض وقيل الإلهام هو ما وقع القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة وهو ليس بحجة عند العلماء إلاَّ عندالصوفية.
التعريفات للجرجاني (٥١).

(٥) المحادثة في اصطلاح الصوفية: خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة كالنداء من الشجرة لموسى عليه السلام.
المرجع السابق (٢٦٢).

يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقف عنه.

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف طرفان ووسط.

منهم: من إذا اعتقد في شخص أنه ولي الله وافقه في كل ما يظن أنه حدَّثه به قلبه عن ربه وسلَّم إليه جميع ما يفعله.

ومنهم: من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهداً مخطئاً.

وخير الأمور أوسطها وهو أن لا يجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً فلا يتبع في كل ما يقوله ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده»[1].

ولما كان من الجائز على الولي أن يخطىء باعتباره غير معصوم، فإن معنى ذلك أن طاعته غير واجبة، ومتابعته غير لازمة إلاَّ فيما وافق الكتاب والسنة، كما لا يجب تصديقه في أخباره وأقواله حتى تعرض على الكتاب والسنة فإن وافقهما وجب قبولها وإن خالفهما وجب طرحها وردها مهما كان قائلها. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«وقد اتفق سلف الأئمة وأئمتها على أن كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلاَّ رسول الله ﷺ، وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم. فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به بخلاف الأولياء فإنه لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ولا

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٢٠١).

الإيمان بجميع ما يخبرون به، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً، وإن كان صاحبه من أولياء الله وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله وله أجر على اجتهاده»[١].

هذا هو مفهوم الولاية عند أهل السنة والجماعة على الإجمال إلاَّ أنه ينبغي الإشارة إلى أنه بالرغم من أن كل مؤمن يعتبر وليًّا لله عز وجل إلاَّ أن الولاية تتفاوت بحسب تفاوت الإيمان والتقوى والعمل الصالح. وكلما ازداد يقين العبد وترقَّى في درجات الكمال والصلاح واتصف بالتقوى كان أعظم ولاية عند الله سبحانه وتعالى.

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٢٠٨).

المبحث الثاني
الولاية عند المتصوفة

يعرف المتصوفة الولاية بأنها «قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب التمكين»[(١)].

والولي عندهم «من تولَّى الحق أمره وحفظه من العصيان ولم يُخَلِّه ونفسه بالخذلان حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾[(٢)]»[(٣)].

ويبدو أن تأثير الشيعة كان واضحاً على الصوفية في إطلاق لفظ الولاية على الشيخ والعالم فإن الرافضة هم أول من أطلق الولي على أئمتهم ابتداءاً بعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ثم بقية الأئمة من بعده وقد أضافوا إليها دعوى العلم اللدني والعصمة وسرت عدواها إلى الصوفية فقالوا بأن أولياءهم يتلقون عن الله مباشرة وأنهم معصومون من الخطأ[(٤)].

وقد لا يصرح المتصوفة بدعوى عصمة أوليائهم ولكنهم يطلقون عليهم كلمة الحفظ ومجمل أحوالهم وعباراتهم توحي بأن معنى الحفظ أي العصمة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

(١) اصطلاحات الصوفية للكاشاني (٧٩).
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.
(٣) اصطلاحات الصوفية للكاشاني (٧٩).
(٤) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي (٢/ ١٠).

«والغالية في المشايخ يقولون أن الولي محفوظ والنبي معصوم وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه فحاله حال من يرى أن الشيخ أو الولي لا يخطىء ولا يذنب»[(١)].

وإنما ذهبوا إلى كلمة الحفظ دون العصمة لإيهام الناس بأن تصوفهم يعتمد على الكتاب والسنة.

ومن تعريف الصوفية للولاية نلاحظ أن لها معنى آخر يختلف عن معانيها عند أهل السنة والجماعة فليس من شروط الولاية عندهم أية صفات للإيمان أو التقوى والعمل الصالح إذ الولاية عندهم تُوهَبُ من الله عز وجل دون سبب في العبد وهذا واضح من التعريف السابق من قولهم بأن الولي من تولى الحق أمره إلخ...

وقد ترتب على هذا أن جعلوا المجاذيب والملاحدة أولياء لله عز وجل بمجرد أن ظهر على أيديهم بعض خوارق العادات كالدخول في النيران وضرب الجسم بالسهام والسكاكين واللعب بالعقارب والحيات وغير ذلك من أعمال السحر والكهانة والشعوذة.

كما جعلوها للمجانين والصبيان الشذاذ حتى عدوا من الأولياء من يأتي الحمارة في وضح النهار وأمام الأسماع والأبصار[(٢)]، ومن يشرب الخمر جهاراً نهاراً ويمارس الزنا واللواط عياناً زاعمين أن الولي لا تضره معصية وأن الخمر ينقلب في بطن الولي لبناً خالصاً، وأن الزانية تصبح زوجة للولي بمجرد معاشرتها[(٣)] ومن يخطب

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١/ ٤٤).
(٢) طبقات الشعراني (٢/ ١٣٥) ترجمة علي وحيش.
(٣) هذه هي الصوفية عبدالرحمن الوكيل (١٠٩).

الجمعة عارياً[١].

بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك فزعموا أن الولي يتصرف في الأكوان ويقول للشيء كن فيكون.

وأن أربعة من الأولياء يمسكون بالعالم من جوانبه الأربعة ويسمون عندهم الأوتاد.[٢]

وسبعة أولياء آخرين كل منهم في واحدة من السموات السبع ويسمون الأبدال[٣].

وأربعين منهم مشغولون بحمل أثقال الخلق ويسمون النجباء[٤].

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني (٢/ ١٢٩) ترجمة إبراهيم الريان.

(٢) الأوتاد هم الرجال الأربعة الذين هم على منازل الجهات الأربع من العالم في الشرق والغرب والشمال والجنوب بهم يحفظ الله تعالى تلك الجهات لكونهم محل نظره تعالى. اصطلاحات الصوفية للكاشاني (٥٨).

(٣) الأبدال جمع بدل إحدى المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء عند الصوفية وهم يشاركون في حفظ نظام الكون وترتيبهم كترتيب السموات السبع بحيث يكون ارتباط البدل الأول بالسماء السابعة على قلب الخليل عليه السلام والثاني بالسماء السادسة على قلب موسى عليه السلام، والثالث بالسماء الخامسة على قلب هارون والرابع بالسماء الرابعة على قلب إدريس عليه السلام، والخامس بالسماء الثالثة على قلب يوسف عليه السلام، والسادس بالسماء الثانية على قلب عيسى عليه السلام، والسابع بالسماء الأولى على قلب آدم عليه السلام.

معجم ألفاظ الصوفية للدكتور الشرقاوي (٢٢).

وهذه ضلالات وحماقات لا أساس لها ولا دليل عليها بل هي من إيحاءات الشياطين ووساوس الأبالسة نعوذ بالله من ذلك.

(٤) النجباء: هم الأربعون القائمون بإصلاح أمور الناس وحمل أثقالهم المتصرفون في حقوق الخلق.

اصطلاحات الصوفية للكاشاني (١١٤).

وثلاثمائة مشرفون على بواطن الناس وخفايا الضمائر ويسمون النقباء[١].

وفوق هؤلاء جميعاً القطب الأكبر أو الغوث الأعظم الذي يدير شأن الملك كله سمواته وأرضه»[٢].

وبعضهم يرى أن الولاية أفضل من النبوة ويلبسون على الناس فيقولون ولايته أفضل من نبوته وينشدون:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي[٣]

هذه هي الولاية عندالمتصوفة والتي لا تمت إلى الإسلام بصلة بل هي ضلالات وجهالات نقلت عن الفلسفات الأغريقية ونظرتها إلى الآلهة القديمة، وقد ردَّ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ تلك الجهالات وأبطل تلك الضلالات فقال:

«وكذلك كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدد الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والأقطاب مثل أربعة أو سبعة أو اثني عشر أو أربعين أو سبعين أو ثلاثمائة أو ثلاثة عشر أو القطب الواحد فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ، ولم ينطق السلف

= ومعلوم فساد هذا الكلام وبطلانه إذ لا يقوم بإصلاح أمور الخلق ويتصرف في الكون إلاَّ الله وحده.

(١) النقباء: هم الذين تحققوا باسم الباطن فأشرفوا على بواطن الناس واستخرجوا خفايا الضمائر وهم ثلاثمائة.
اصطلاحات الصوفية للكاشاني (١١٦).
وهذا أيضاً كلام باطل لا أصل له. فالله وحده هو المطلع على الغيب العالم بما تكنه الصدور وتخفيه الضمائر.

(٢) انظر الفكر الصوفي لعبدالرحمن عبدالخالق (٣٤٦).

(٣) الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٢٢٦).

بشيء من هذه الألفاظ إلاَّ بلفظ الأبدال. وروي فيهم حديث أنهم أربعون رجلاً وأنهم بالشام وهو في السنن من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وهو حديث منقطع ليس بثابت»[(١)].

ومعلوم أن عليًا ومن معه من الصحابة أفضل من معاوية[(٢)] ومن معه بالشام، فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي وقد أخرجا في الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: **«تمرق مارقة من الدين على حين فرقة من السمملمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق»**[(٣)].

وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحرورية الذين مرقوا لما حصلت الفرقة في خلافة علي فقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه فدل هذا الحديث الصحيح على أن علي بن أبي طالب وأصحابه أولى بالحق من معاوية وأصحابه فكيف يكون الأبدال في أدنى العسكرين دون أعلاهما»[(٤)].

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ١١٢) وقد أعل بالانقطاع لأنه من رواية شريح بن عبيد الحضرمي الذي لم يدرك عليًا. وعلى هذا لا يصح الحديث.

(٢) معاوية بن أبي سفيان صاحب رسول الله ﷺ وكاتب الوحي له يعدُّ من دهاة العرب أسلم عام الفتح وشهد حنيناً واليمامة. ولأه عمر على الشام وأقرّه عثمان وبعد مقتل عثمان طالب بالقصاص من قتلته ولم يبايع عليًا فحصلت الفتنة ولما قتل علي اجتمع عليه الناس فصار أميراً للمؤمنين. مات سنة (٦٠هـ).
الإصابة (٦/ ١١٢).

(٣) رواه البخاري ح (٣٦١٠). ومسلم ح (١٠٦٤).

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ١٦٧).

المبحث الثالث

الكرامة عند أهل السنة والجماعة

الكرامة في اللغة: قال صاحب القاموس الكَرَمَ محركة ضد اللؤم وكرَّمه عظَّمه ونزَّهه(١).

وفي الاصطلاح: هي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم(٢).

وهي عامة وخاصة: فالعامة ما فضل الله به الإنسان على غيره من المخلوقات كاعتدال القامة والخلق في أحسن تقويم وتسخير كل ما في الكون له قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ۝٧٠ ﴾(٣).

أما الخاصة فهي ما يكرم الله به بعض عباده وما يختصهم به من هدايتهم إلى الإيمان وتوفيقهم إلى طاعته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وهذا من أعظم الكرامات وأهلها هم أهل السعادة في الدنيا والفوز والفلاح في الآخرة يقول عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٤ ﴾(٤).

---

(١) القاموس المحيط للفيروزأبادي (١٤٨٩).
(٢) لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ٣٩٢).
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٤) سورة الأحقاف، الآيتان: ١٣، ١٤.

وأفضل منهم من يمن الله عليهم بزيادة الإيمان واليقين وكثرة التقوى والورع ودقة المراقبة والخشية والإكثار من نوافل العبادات فهؤلاء في أعلى مراتب الولاية»[(١)].

وأهل السنة والجماعة يرون إمكان وقوع الكرامة على أيدي بعض عباد الله الصالحين لكن وفق الضوابط التالية:

أولاً: أنها لا تقع إلاَّ لمن جمع الله له بين الإيمان والتقوى وذلك بتصديق ما أخبر الله به من الأمور المغيبة والالتزام بما أمر الله به من الفروض والواجبات والابتعاد عما نهى الله عنه من المحرمات وأنها لا تقع إلاَّ ببركة اتباع رسول الله ﷺ والاقتداء بهديه ولحجة في الدين أو لحاجة بالمسلمين يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«وليس لله ولي إلاَّ من اتبعه باطناً وظاهراً فصدقه فيما أخبر به من الغيوب والتزم بطاعته فيما فرض على الخلق من أداء الواجبات وترك المحرمات فمن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر ملتزماً طاعته فيما أوجب وأمر به من الأمور الباطنة التي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان لم يكن مؤمناً فضلاً عن أن يكون ولياً لله.

ولو حصل له من خوارق العادات ماذا عسى أن يحصل فإنه لا يكون مع تركه لفعل المأمور وترك المحظور من أداء الواجبات من الصلاة وغيرها بطهارتها وواجباتها إلاَّ من أهل الأحوال الشيطانية المبعدة لصاحبها عن الله المقربة إلى سخطه وعذابه»[(٢)].

ويقول ـ رحمه الله ـ في موضع آخر ـ:

(١) عقيدة المؤمن للجزائري (١٧٥) بتصرف يسير.
(٢) الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٤٣١).

فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ فيفعلون ما أمر به وينتهون عما زجر عنه فيؤيدهم الله بملائكته وروح منه ويقذف الله في قلوبهم من أنواره ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين وخيار أولياء الله تكون لحجة في الدين ولحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم محمد ﷺ كذلك»[١].

(١) فتاوى ابن تيمية (١١/ ٢٧٤).

ثانياً: أن الكرامة لا ترقى إلى درجة المعجزة التي يؤيد الله بها أنبياءه ورسله، فلقد جرت سنة الله عز وجل أن يؤيد كل رسول يبعثه إلى الناس بمعجزة خارقة للعادة وخارجة عن مألوف الناس كدليل على أنه رسول من عند الله، وحتى يحمل المعاندين والمكابرين على الإذعان والإيمان بما جاء به من هدى ورشاد.

وهذا شيء طبيعي فكما أنهم لا يبلغون إلى درجتهم في الفضل فكذلك لا يصلون بكراماتهم إلى درجة معجزاتهم. يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«آيات الأنبياء مما يعلم العقلاء أنها مختصة بهم ليست مما تكون لغيرهم فيعلمون أن الله لم يخلق مثلها لغير الأنبياء، وسواء في آياتهم التي كانت في حياة قومهم وآياتهم التي فرّق الله بها بين أتباعهم وبين مكذبيهم بنجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء وذلك مثل تغريق الله لجميع أهل الأرض إلاَّ لنوح ومن ركب معه في السفينة فهذا لم يكن قط في العالم نظيره.

وكذلك إهلاك عاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، ثم أهلكوا بريح صرصر عاتية مسخرة سبع ليال وثمانية أيام حسوماً حتى صاروا كأنهم أعجاز نخل خاوية ونجّا هوداً ومن اتبعه وهذا لم يوجد له نظير في العالم.

وكذلك قوم صالح وقوم لوط وقوم فرعون... الخ»[1].

ويقول رحمه الله في مكان آخر:

«آيات الأنبياء التي دلت على نبوتهم هي أعلى مما يشتركون

---

(١) النبوات لابن تيمية (١٠٩).

فيه هم وأتباعهم مثل الإتيان بالقرآن، ومثل الإخبار بأحوال الأنبياء المتقدمين وأممهم والإخبار بما يكون يوم القيامة وأشراط الساعة ومثل إخراج الناقة من الأرض، ومثل قلب العصا حية وشق البحر، ومثل أن يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وتسخير الجن لسليمان لم يكن مثله لغيره»[1].

(١) النبوات لابن تيمية (١١٦).

ثالثاً : أن الكرامة ليست من شروط الولاية فقد يكون الإنسان ولياً لله ومن أحبهم إليه وأكثرهم طاعة له ولا تظهر على يديه كرامة قط، وحدوثها على يد شخص لا يدل على أنه أفضل ممن لم تحدث له كرامة؛ لأن شروط الولاية التي تضمنها قول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ محصورة في شرطين فقط هما ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾. ولذا كانت الكرامات في عهد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أقل منها في العهود التي جاءت بعدهم مع كمال فضلهم وعلو منزلتهم عند الله حيث اختارهم الله لصحبة نبيه وإظهار دينه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدى الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة»[١].

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١١/ ٢٨٣).

رابعاً: أن الكرامة قد تمنح للمشتغلين بالذكر والفكر والمجاهدة مع قلة علمهم وجهل بعضهم أكثر مما تمنح للعلماء والمحققين من أهل السنة والجماعة مع كمال علمهم وتفضيل الله لهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«لا ريب أن الذي أُوتي العلم والإيمان أرفع درجة من الذين أُوتوا الإيمان فقط، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة والعلم الممنوح الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورثته الأنبياء».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

«فقد يكون الرجل حافظاً لحروف القرآن وسوره ولا يكون مؤمناً بل يكون منافقاً فالمؤمن الذي لا يحفظ حروفه وسوره خير منه وإن كان ذلك المنافق ينتفع به الغير كما ينتفع بالريحان وأما الذي أُوتي العلم والإيمان فهو مؤمن عليم فهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم. فهذا أصل يجب معرفته.

وههنا أصلٌ آخر وهو أنه ليس كل عمل أورث كشوفاً أو تصرفاً في الكون يكون أفضل من العمل الذي لا يورث كشفاً ولا تصرفاً فإن الكشف والتصرف إن لم يكن مما يستعان به على دين الله وإلاَّ كان من متاع الحياة الدنيا وقد يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب وإن لم يحصل لأهل الإيمان الذين هم أهل الجنة وأولئك أصحاب النار ففضائل الأعمال ودرجاتها لا تتلقى من قبل هذا وإنما تتلقى من دلالة الكتاب والسنة ولهذا كان كثير من الأعمال يحصل لصاحبه في الدنيا رئاسة ومال فأكرم الخلق عند الله أتقاهم ومن عبد الله بغير علم، فقد أفسد أكثر مما أصلح وإن حصل له كشف وتصرف وإن

اقتدى به خلق كثير من العامة»[١].

بهذه الضوابط يثبت أهل السنة والجماعة الكرامات ويجوّزون وقوعها ويستدلون على ذلك بما يلي:

أولاً القرآن الكريم :

١ـ قوله تعالى عن مريم عليها السلام: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[٢].

قال قتادة: «حُدِّثنا أنه كانت تؤتى بفاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء فعجب من ذلك زكريا»[٣].

٢ـ قوله تعالى في قصة سارة زوجة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[٤].

أخرج ابن أبي حاتم عن صخرة بن حبيب «أن سارة لما بشَّرها الرسل بإسحاق قال: بينما هي تمشي وتحدثهم حين أتت بالحيضة فحاضت قبل أن تحمل بإسحاق فكان من قولها للرسل حين بشروها: قد كنت شابة وكان إبراهيم شاباً فلم أحبل فحين كَبُرْتُ وكَبُرَ أألد؟! قالوا: أتعجبين من ذلك يا سارة فإن الله قد صنع بكم ما هو أعظم من ذلك إن الله قد جعل رحمته وبركاته عليكم أهل

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٣٩٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٣) كرامات أولياء الله للالكائي رقم (١٩) قال المحقق: سنده حسن.

(٤) سورة هود، الآيات: ٧١ ـ ٧٣.

البيت إنه حميد مجيد»[١].

٣ـ قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[٢].

قال سعيد بن جبير: «لما تكلم الذي عنده علم من الكتاب دخل العرش تحت الأرض فنظر إليه سليمان قد طلع بين يديه فقال: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر»[٣].

ثانياً من السنة المطهرة:

١ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**قد كان فيمن خلا من الأمم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر بن الخطاب**»[٤].

٢ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما رجل بأرض فلاة فسمع صوتاً في سحابة: إسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فانتهى إلى الحرة فإذا هي أذناب بشراج فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت الماء فتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبدالله ما اسمك قال: فلان، الاسم الذي سمع في السحابة. فقال له: يا عبدالله لم سألتني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: إسق حديقة فلان باسمك فما تصنع فيها قال: إن قلت هذا فإني أنظر إلى ما خرج منها فأتصدق بثلثه وآكل ثلثه

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤٥٢).

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٣) كرامات الأولياء للالكائي رقم (٢٢) قال المحقق: سنده صحيح.

(٤) رواه البخاري ح (٣٦٨٩)، ومسلم ح (٢٣٩٨).

وأرد فيها ثلثه»[١].

٣ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: لم يكذب إبراهيم عليه السلام قط إلاَّ ثلاث كذبات اثنتين في ذات الله عز وجل؛ قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا. وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبَّار ومعه سارة وكانت من أحسن الناس فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم إنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي وإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم اليوم مسلماً غيري وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فآتاه فقال: لقد دخل أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلاَّ لك فأرسل إليها فأتى بها، وقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة فلما أن دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها: سلي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فانطلقت يده فعاد فقبضت يده أشد من القبضة الأولى فقال لها: سلي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فانطلقت يده فدعا الذي جاء بها فقال له: إنك أنما أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان فلما رآها إبراهيم قل لها مهيم قالت: خير كفَّ الله يد الفاجر وأخدمني هاجر»[٢].

---

(١) رواه مسلم ح ٢٩٨٤).
(٢) رواه البخاري ح (٣٣٥٨) ومسلم ح (٢٣٧١).

ثالثاً بما وقع لكثير من الصحابة من الأمور الخارقة للعادة :

١ـ تنزل الملائكة لاستماع قراءة أسيد بن حضير[١]. ففي الصحيحين عن أسيد بن حضير ـ رضي الله عنه ـ قال: «بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه فلما اجترَّه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدَّث النبي ﷺ فقال له: اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير. قال: فأشفقت يارسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً. فرفعت رأسي فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظُّلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها. قال: وتدري ما ذاك قال: لا. قال: تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصْبَحَتْ ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم»[٢].

٢ـ تكثير الطعام الذي قدَّمه أبوبكر الصديق لأضيافه. ففي الصحيحين عن عبدالرحمن بن أبي بكر: أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء وأن النبي ﷺ قال: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث وإن أربع فخامس، أو سادس وأن أبابكر جاء بثلاثة فانطلق النبي ﷺ بعشرة قال: فهو أنا وأبي وأمي فلا أدري قال وامرأتي وخادم بيننا وبين بيت أبي بكر وإن أبابكر تعشى عند النبي ﷺ ثم لبث حيث

(١) أسيد بن حضير بن سماك الأنصاري: من السابقين إلى الإسلام وأحد النقباء ليلة العقبة، اختلف في شهوده بدراً لكنه شهد أحداً ومابعدها. آخى النبي ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة وكان من أحسن الناس صوتاً بتلاوة القرآن.
الإصابة لابن حجر (١/ ٤٨).

(٢) رواه البخاري ح (٥٠١٨). ومسلم ح (٧٩٦).

صُلِّيَتْ العشاء ثم رجع فلبث حتى تعشى النبي ﷺ فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله قالت له امرأته وما حبسك عن أضيافك أو قالت: ضيفك. قال: أوما عشيتيهم. قالت: أبَوا حتى تجيء قد عُرِضُوا فأبَوا. قال: فذهبت أنا فاختبأت فقال: يا غنثر فجدَّع وسبَّ فقال: كلوا لا هنيئاً فقال: والله لا أطعمه أبداً وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلاَّ ربا من أسفلها أكثر منها قال: يعني حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك فنظر إليها أبوبكر فإذا هي كما هي أو أكثر منها فقال لامرأته: ياأخت بني فراس ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات فأكل منها أبوبكر وقال: إنما ذلك من الشيطان ـ يعني يمينه ـ ثم أكل منها لقمة ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده وكان بيننا وبين قومٍ عقد فمضى الأجل ففرقنا اثنا عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناسٌ الله أعلم كم مع كل رجل فأكلوا منها أجمعون أو كما قال»[1].

٣ـ قصة خُبيب بن عدي[2] وما جرى له مع القُرَّاء الستة ثم وقوعه في الأسر وما حدث له من الكرامة حيث وجدوه يأكل عنباً، وما في مكة من ثمر»[3].

---

(١) رواه البخاري ح (٦٠٢). ومسلم ح (٢٠٥٧).

(٢) خُبيب بن عدي بن مالك الأنصاري: شهد بدراً وقتل شهيداً حين غدر به المشركون فقتله بنو الحارث وهو أول من سن صلاة ركعتين عند مقتله وله قصيدة قالها عندما أرادوا قتله منها:

ولست أُبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي

الإصابة (٢/١٠٣).

(٣) انظر: القصة بكاملها في صحيح البخاري ح (٣٠٤٥).

رابعاً بما وقع لبعض التابعين ـ رحمهم الله ـ:

١ـ ما حدث لصلة بن أشيم العدوي[1] عندما جاءه الأسد وهو قائم يصلي بالليل فقال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع فولى الأسد وله زئير[2].

٢ـ إصابة عبدالواحد بن زيد بالفالج وسؤال الله عز وجل أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء فكانت أعضاؤه تطلق له وقت الوضوء ثم تعود بعده[3].

٣ـ تسبيح آنية مطرف بن عبدالله بن الشخير[4] كلما دخل إلى بيته[5].

---

(١) صلة بن أشيم العدوي: تابعي مشهور بالزهد والعبادة كان يصلي بالليل حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلاَّ زحفاً. سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٩٧).

(٢) انظر القصة في صفة الصفوة لابن الجوزي (٣/ ١١٥).

(٣) انظر القصة كاملة في الحلية لأبي نعيم (٦/ ١٥٥).

(٤) مطرف بن عبدالله بن الشخير تابعي مشهور ولد في عهد النبي ﷺ وكان خير عباد البصرة وزهادهم له مناقب كثيرة قال ابن سعد: كان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب.
الإصابة (٦/ ١٥٨).

(٥) انظر القصة في الحلية لأبي نعيم (٢/ ٢٠٥).

المبحث الرابع
الكرامة عند المتصوفة

تحتل الكرامات مساحة كبيرة من اهتمامات المتصوفة وكتبهم مملوءة بالغرائب والعجائب من أخبارها والكثير منها يرده الشرع ويرفضه العقل وقد ذهبوا إلى ذلك كمتعلق وحيد ومستمسك واه لهم إذ ليس لديهم علم أصيل يبرزونه أو عمل صالح يظهرونه أو جهاد أو دعوة يثبتونها فجاء تركيزهم على الكرامات وبالغوا في إثباتها ثم تجاوزوا الحدود إلى نسج الأساطير واختلاق الحكايات وتناقل الخرافات ليرسخوا في أذهان عوام الناس مبدأ اللجوء إلى الأولياء والاستغاثة بهم بزعم أنهم أصحاب كرامة ولهم عند الله المنازل الرفيعة والدرجات العالية.

وسوف أعرض في هذا المبحث للكرامات التي نسبت إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني فقط لأنه موضوع الرسالة. وقد نسبت إليه الكثير من الكرامات بشكل يثيرالعجب ويدعو إلى الاستغراب، حتى جعلها بعض المؤرخين صفة من أبرز صفاته وهذه بعض أقوالهم:

- قال الإمام الذهبي: «كان له كرامات ظاهرة»[١].
- قال ابن رجب: «هو شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ صاحب المقامات والكرامات»[٢].
- قال ابن العماد: «وكراماته تخرج عن الحد وتفوت الحصر

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٤٩).
(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٩٠).

والعدّ»[١].

- قال موفق الدين ابن قدامة: «أدركناه في آخر عمره فأسكننا في مدرسته» إلى أن قال: «ولم أسمع عن أحد يحكي عنه من الكرامات أكثر مما يحكي عنه»[٢].

- قال العز بن عبدالسلام[٣]: «ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلاّ الشيخ عبدالقادر»[٤].

وقد انقسم الناس إزاء هذه الكرامات إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: غلت في رفض تلك الكرامات وتعصبت كثيراً في إنكارها حتى وصل بها الأمر إلى الطعن في الشيخ الجيلاني. والتشكيك في نسبه ووصفه بالدجل، ولعلَّ الذي دفعهم إلى هذا الموقف ما نقل من الكرامات الكاذبة والروايات الساقطة فاشتد نكيرهم لردها وإبطالها ومنهم علي بن محمد القرماني[٥].

وهذا الموقف من هذه الفئة فيه نظر وذلك لما فيه من الظلم والتجني ومجانبة الحق واتباع الهوى، فقد علمنا فيما تقدم أن الكرامات مما يجوز وقوعه بالضوابط الشرعية، والشيخ عبدالقادر الجيلاني كغيره من عباد الله الصالحين يمكن أن تقع له كرامة من الله عز وجل لإظهار فضله أو لغير ذلك.

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد (٤/ ١٩٩).

(٢) شذرات الذهب لابن العماد (٤/ ١٩٩).

(٣) عبدالعزيز بن عبدالسلام: الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي، بلغ درجة الاجتهاد ولد ونشأ في دمشق سنة ٥٧٧هـ. وزار بغداد سنة ٥٩٩هـ ثم عاد إلى دمشق وولي الخطابة في الجامع الأموي مات سنة ٦٠٠هـ. الأعلام للزركلي (٤/ ٢١).

(٤) شذرات الذهب لابن العماد (٤/ ٢٠٠).

(٥) انظر التصوف المقارن لمحمد غلاب (ص٩٠).

الفئة الثانية: تعصبت للشيخ الجيلاني وقبلت كل ما أُثِرَ عنه أو نُسب إليه من خوارق العادات من غير تمحيص ولا تدقيق أو نظر أو تأمل، مما يرده الشرع وينكره العقل.

وأشهر من جمع تلك الخوراق علي بن يوسف الشطنوفي في كتابه «بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في بعض مناقب القطب الرباني عبدالقادر الجيلاني».

ومحمد بن يحيى التادفي في كتابه «قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبدالقادر».

وعبدالوهاب الشعراني في كتابه «الطبقات الكبرى».

وقد أنكر العلماء على الشطنوفي ما جمعه في كتابه بهجة الأسرار ومعدن الأنوار فقال ابن رجب ـ رحمه الله ـ:

«قد جمع المقرىء أبوالحسن الشطنوفي المصري في أخبار الشيخ عبدالقادر ثلاثة مجلدات وكتب فيها الطمَّ والرمَّ وكفى المرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع، وقد رأيت بعض هذا الكتاب ولا يطيب على قلبي أن أعتمد على شيء مما فيه من الرواية عن المجهولين، وفيه من الشطح والطامات والدعاوى والكلام الباطل ما لا يحصى ولا يليق نسبه مثل ذلك إلى الشيخ عبدالقادر ـ رحمه الله ـ ثم وجدت ـ والكلام لازال لابن رجب ـ الكمال جعفر الأدفوني قد ذكر أن الشطنوفي نفسه كان متهماً فيما يحكيه في هذا الكتاب بعينه»[1].

وفيما يأتي نماذج من تلك الأباطيل والخرافات التي أوردها

(١) ذيل الطبقات لابن رجب (١/٢٩٣).

الشطنوفي في كتابه:

١ـ «عن عمر البزار قال: خرجت مع الشيخ عبدالقادر إلى الجامع فلم يسلم عليه أحد فقلت: يا عجباً نحن كل جمعة لا نصل إلى الجامع إلاَّ بمشقة من ازدحام الناس على الشيخ فلم يتم ما بخاطري حتى نظر إليَّ الشيخ مبتمساً وأهرع الناس للسلام عليه حتى حالوا بيني وبينه فقلت في نفسي ذلك الحال خير من هذا فالتفت إليَّ مبتسماً مسابقاً لخاطري وقال: يا عمر أنت الذي أردت هذا، أوَمَا علمت أن قلوب الناس بيدي إن شئت صرفتها عني وإن شئت أقبلت بها إليَّ»[١].

فانظر إلى هذا العدوان الآثم على مقام الربوبية فإن قلوب الناس بيد رب الأرباب ومالك السموات والأرض ففي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**»[٢]. بينما هذه القصة تقول بأن قلوب الناس بيد الشيخ عبدالقادر، وهذا كذب مردود لا يليق نسبته إلى الشيخ عبدالقادر ويحمل وزره من وضعه ورواه.

٢ـ عن أبي محمد شاور السبتي المحلي قال: «دخلت بغداد لزيارة الشيخ محي الدين عبدالقادر الجيلاني وأقمت عنده مدة فلما عزمت على الرجوع إلى مصر على قدم التجريد من الخلق ومن المعلوم استأذنته فأوصاني ألاَّ أسأل أحداً شيئاً ووضع أصبعه في فمي وأمرني أن أمصَّها ففعلت وقال لي: انصرف راشداً مهدياً فسرت من بغداد إلى مصر وأنا لا آكل ولا أشرب وقوتي في

(١) بهجة الأسرار للشطنوفي (٧٦).

(٢) صحيح مسلم ح (٢٦٥٤).

زيادة»[١].

وهذه القصة من ضلالات الصوفية ومن منكراتهم وهي باطلة وغير مقبولة إذ كيف يستطيع هذا الرجل أن يقطع تلك المسافة الطويلة بين بغداد ومصر وبوسائل النقل البدائية دون أن يتناول شيئاً من الطعام والشراب مكتفياً بتلك المصة التي مصها من إصبع الشيخ عبدالقادر وإذا كان سيد البشر ﷺ يجوع ويعطش ولم يكن يفعل ذلك لنفسه ولا لأحد من أصحابه ولم ينقل عنهم ـ رضي الله عنهم ـ أنهم كانوا إذا جاعوا يمصون أصابعهم فيكفيهم ذلك.

٣ـ عن أبي حفص عمر الكيماني قال: كان الشيخ عبدالقادر يمشي في الهواء على رؤوس الأشهاد في مجلسه ويقول ما تطلع الشمس حتى تسلِّم عليَّ وتجيء السنة إليَّ وتسلِّم عليَّ وتخبرني بما يجري فيها ويجيء الشهر ويسلم عليَّ ويخبرني بما يجري فيه ويجيء الأسبوع ويسلم عليَّ ويخبرني بما يجري فيه ويجيء اليوم ويسلم عليَّ ويخبرني بما يجري فيه وعزة ربِّي إن السعداء والأشقياء ليعرضون على عيني في اللوح المحفوظ. أنا غائص في بحار علم الله ومشاهداته أنا حجة عليكم جميعكم أنا نائب رسول الله ﷺ ووارثه في الأرض»[٢].

انظر إلى هذا الهراء الذي يستحي الإنسان من إيراده والذي لا يمكن نسبته إلى الشيخ عبدالقادر لمصادمته للشرع والعقل إذ كيف يستطيع الإنسان أن يمشي في الهواء ثم ما هذا الهذيان حول سلام

(١) بهجة الأسرار للشطنوفي (٤٠).
(٢) بهجة الأسرار للشطنوفي (٢٢).

الشمس والسنة والشهر والأسبوع واليوم وإخباره بما يجري فيها إن ذلك لم يحدث حتى لسيد ولد آدم وأفضل الخلق على الإطلاق صلوات الله وسلامه عليه مما يدل على بطلان هذا الكلام وكذبه وهذه الرواية ظاهرة الاختلاف وهي شبيهة بالروايات السابقة والتي يحمل وزرها من وضعها ومن نقلها.

٤ـ نقل الشطنوفي في بهجته عن خادم الشيخ عبدالقادر المعروف بالحطاب قال: اجتمع على الشيخ عبدالقادر ٢٥٠ ديناراً ديناً لأرباب أصناف فجاء شخص لا أعرفه فدخل عليه بلا استئذان وجلس يحدثه طويلاً وأخرج له ذهباً وقال هذا وفاء الدين وانصرف فأمرني الشيخ أن أوصل إلى كل ذي حق حقَّه وقال: هذا صيرفي القدر قلت وما صيرفي القدر قال: ملك يرسله الله تعالى إلى من عليه دين من الأولياء فهو يوفيه عنه»[١].

انظر إلى هذا الدجل الصريح الذي تمجه العقول والذي هو من ضلالات وخرافات القوم فلقد مات رسول الله ﷺ ودرعه مرهون عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير[٢] لم يقدر صيرفي القدر على الوفاء بها.

٥ـ عن عدي بن مسافر قال: «أمطرت السماء مرة والشيخ عبدالقادر يتكلم فتفرق بعض أهل المجلس فرفع رأسه نحو السماء وقال أنا أجمع وأنت تفرق فسكنت المطر عن المجلس وبقي على حاله يقع خارج المدرسة ولا يقطر على المجلس قطرة»[٣].

(١) بهجة الأسرار للشطنوفي (٧٤).
(٢) رواه البخاري ح (٢٩١٦).
(٣) بهجة الأسرار للشطنوفي (٧٥).

ولست أدري كيف يستسيغ هؤلاء ترويج مثل هذه الأساطير والأكاذيب إذ كيف يجرؤ الشيخ عبدالقادر على مخاطبة الله عز وجل بهذه اللهجة وهو المعروف بتعظيمه لله ـ سبحانه ـ إن هذا من المحال الذي لم يقع حتى للنبي ﷺ فقد استسقى الناس في يوم الجمعة ثم نزل المطر حتى اشتكى الناس فدعا رسول الله ﷺ ربه دعاء العبد الضعيف قائلاً: «**اللهم حوالينا ولا علينا**»[(١)].

٦ـ ونختم هذه الخرافات والضلالات بداهية الدواهي وأم المصائب والتي لا يصدقها عقل وهي ما نقله الشطنوفي في بهجته عن عدد كبير من مشايخ الصوفية قالوا: إن الشيخ عبدالقادر كان يتكلم عليهم وقد حضر قلبه فقال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله. فقام الشيخ علي الهيتي وصعد على الكرسي وأخذ قدم الشيخ ووضعها على عنقه ودخل تحت ذيله ومدَّ الحاضرون كلهم أعناقهم»[(٢)].

هذه الحكاية مكذوبة مستهجنة ولا تصح عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني وذلك لما يلي:

أ ـ أن هؤلاء الذين حضروا هذه الحادثة ونقلوها من المشكوك فيهم وغير موثوق في عدالتهم وضبطهم وقد بحثت عنهم في كتب الرجال فلم أجد لهم ذكراً وأيضاً فقد ذكر الشطنوفي عن بعضهم بعض الخرافات مثل داود شابا أحد الذين نقلوا الخبر أنه كان يصلي الصلوات الخمس في مكة[(٣)].

---

(١) رواه البخاري ح (١٠١٤).
(٢) بهجة الأسرار للشطنوفي ص(٣).
(٣) نفس المصدر (ص٧).

ب ـ أن هذه العبارة تتعارض مع ما هو معروف عنه من التواضع وعدم التكبر يشهد لذلك قوله للذي سأله من أين هو «متفقه من جيلان»[1] ومن ضمن تعاليم الشيخ عبدالقادر ـ رحمه الله ـ قوله:

«ألا يطلب لنفسه العلو والكبر بقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾[2]»[3].

جـ ـ أن هذه الكلمة تزكية للنفس وإهانة وإذلال للآخرين بوضع قدمه على أعناقهم وهم يزعمون أنهم أولياء الله.

د ـ أن الأحوال التي وقعت بعد قول هذه العبارة لا يمكن تصديقها لأنها أقرب إلى الخرافة والدجل منها إلى الواقع والحقيقة مثل قول الشيخ القيلوي: «إن الشيخ عبدالقادر لما قال هذه الكلمة تجلى الحق عز جل على قلبه وجاءته خلعة من رسول الله ﷺ على يد طائفة من الملائكة المقربين وأُلبسَهَا بمحضر من جميع الأولياء من تقدم منهم ومن تأخر الأحياء بأجسادهم والأموات بأرواحهم وكانت الملائكة ورجال الغيب حافين بمجلسه واقفين في الهواء صفوفاً حتى استد الأفق ولم يبق ولي في الأرض إلاَّ حنا عنقه»[4].

فانظر إلى هذا القول الباطل وإلى هذا الدجل المكشوف الذي تمجه العقول وتستهجنه النفوس والذي ينادي بكذب هذه الحادثة أصلاً، وإنما هي من وضع أتباعه الغالين فيه.

وقد حاول ابن رجب تبرير وتوجيه هذه العبارة نظراً لشهرتها

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤٤٤).

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٣) بهجة الأسرار للشطنوفي (٦٧).

(٤) بهجة الأسرار للشطنوفي (٩).

فقال:

«وأما الحكاية المعروفة عن الشيخ عبدالقادر أنه قال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فقد ساقها هذا المصنف يعني الشطنوفي من طرق متعددة وأحسن ما قيل في هذا الكلام ما ذكره الشيخ أبوحفص السهروردي في عوارفه أنه من شطحات الشيوخ التي لا يقتدى بهم فيها ولا يقدح في مقاماتهم ومنازلهم فكل أحد يؤخذ من كلامه ويرد إلاّ المعصوم ﷺ»[1].

وبعضهم كالتادفي صاحب قلائد الجواهر قال: إن القدم هنا مجازية وليست حقيقية ومعناها الطريقة يقال: فلان على قدم حميدة أي على طريقة حميدة والمعنى أن طريقته حميدة»[2].

الفئة الثالثة: من يميل إلى الوسطية والاعتدال فيقبلون من كرامات الشيخ عبدالقادر الجيلاني ما صح وثبت نقله مما لا يتعارض مع الشرع، ويردون ماعدا ذلك.

ويفسرون مواقف الفئتين السابقتين بأنهم يمثلون أحد اتجاهين:
الأول: اتجاه حاقد يلجأ إلى الدس والوقيعة ويهدف إلى التشويش والتشويه لسيرة الشيخ بإشاعة ما يشبه الأساطير والخرافات لإظهاره في صورة المشعوذ الدجَّال الذي لا يحترم الشرع ولا يُبالي بالعقل.

والاتجاه الثاني: مفتون بالشيخ دفعه إعجابه به إلى اختلاق الخوارج العجيبة والكرامات النادرة وأضافها إليه لتعظيمه وتعظيم طائفته، ولإظهاره في صورة خيالية بما يخلع عليه من أشكال العظمة وبما يضيف إلى سيرته من ألوان الخيال وقصده جذب القلوب إليه،

---

(١) ذيل الطبقات لابن رجب (١/ ٢٩٥).

(٢) قلائد الجواهر للتادفي (٢٣).

ولعل هذا مما يتنافس فيه أتباع الطوائف الصوفية لترجيح طريقة كل طائفة على الأخرى فوضع أتباع كل طريقة من القصص والكرامات ما يغري الجهلة باتباع طريقهم ولا شك أن هذا مما يسخط الله عز وجل على فاعله وكلا الاتجاهين قد جانب الصواب.

أما أهل التوسط والاعتدال وهم كثير منهم كما أسلفنا ابن قدامة وابن رجب، والذهبي والعز بن عبدالسلام، وغيرهم فقد وفقوا للحق وقالوا به، فأثبتوا ما صح نقله ولم يعارض الشرع ولم يرده العقل من كرامات الشيخ عبدالقادر كغيره من عباد الله الصالحين؛ لأن هذا هو اللائق به لاسيما وقد عرفنا سلامة معتقده وشدة تركيزه على التجرد والإخلاص والتمسك بالكتاب والسنة، وعدم إكترائه بالكرامات أو طلبه لها؛ إذ يقول في بعض مقالاته:

«حتى إذا تنظف القلب من الشركاء والأنداد من الأهل والمال والولد واللذات والشهوات وطلب الولد والرياسات والكرامات والحالات والمنازل والمقامات»[1].

وحسبي وأنا أختار ما ذهب إليه أهل التوسط والاعتدال أن تكون تلك الكرامات قد نقلت بالرواية عن الثقات وأن يقرَّ بها كبار العلماء ممن لا يشك في صحة نقلهم وصدق تثبتهم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الذي نقل عنه ابن رجب في ذيل الطبقات قوله:

«حدثني الشيخ عز الدين أحمد بن إبراهيم الفاروقي أنه سمع الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي صاحب العوارف قال: كنت قد عزمت على أن أقرأ شيئاً من علم الكلام وأنا متردد:

(١) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الثانية والثلاثون (ص٧٨).

هل أقرأ الإرشاد لإمام الحرمين، أو نهاية الإقدام للشهرستاني أو كتاباً آخر ذكره فذهبت مع خالي أبي النجيب وكان يصلي بجنب الشيخ عبدالقادر قال: فالتفت الشيخ عبدالقادر وقال لي: يا عمر ما هو من من زاد القبر ما هو من زاد القبر. فرجعت عن ذلك».

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية: «ورأيت هذه الحكاية معلقة بخط الشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي رحمه الله»[١].

وهذا لا يعني القطع بصحتها إذ اكتفى شيخ الإسلام بإيرادها دون التعليق عليها بالرد أو القبول إلاَّ أن قبولها ممكن إذا اعتبرنا ذلك من باب الفراسة التي قال ابن القيم رحمه الله: «أن حقيقتها خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده على حسب الإيمان من كان أقوى إيماناً فهو أحد فراسة وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده يفرق به بين الحق والباطل والصادق والكاذب، وكان شاه الكرماني حاد الفراسة لا يخطىء ويقول: من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بالمراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود أكل الحلال لم تخطىء فراسته» مدارج السالكين (٢/ ٤٨٢).

وقد نقل رحمه الله مواقف كثيرة شاهدها بنفسه من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بالغ فيها عفا الله عنه لفرط محبته وغلوه في شيخه حتى ذكر أنه كان يخبره بأشياء باطنة تختص به مما عزم عليه ولم ينطق بها لسانه وكان يخبره بحوادث كبيرة تجري في المستقبل، وقد وقع بعضها وهذا من الغلو والمبالغة المفرطة فإن مفاتح الغيب لا يعلمها إلاَّ الله وحده.

هذا ما أردت إيضاحه مع الإيجاز وإلاَّ فموضوع الكرامات

(١) ذيل الطبقات لابن رجب (١/ ٢٩٦).

وتتبعها بالنقد والتمحيص والحكم عليها بالقبول أو الرد مطلب لا يتسع له موضوع هذه الرسالة ولا يتعلق لي به غرض والله أعلم.

المبحث الخامس
الكرامة عند المتكلمين الأشاعرة والمعتزلة

أولاً : عند الأشاعرة :

يتفق الأشاعرة مع أهل السنة والجماعة في إثبات جواز وقوع الكرامة ولكن بدون ضوابط أو حدود فلا يفرقون بين ما يقع من خوارق العادات للأنبياء وبين ما يقع للأولياء أو السحرة ولا فرق عندهم بينها إلاَّ دعوى النبوة من قبل الأنبياء وظهور علامات الصلاح والتقوى من قبل الأولياء.

يقول الجويني: «والمرضي عندنا تجويز خوارق العوائد في معارض الكرامات ثم لا يفرق بين الكرامة والمعجزة إلاَّ بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة»[(١)].

ويقول البغدادي: «اعلم أن المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادات».

إلاَّ أنه يجعل الفرق بينهما من ثلاثة أوجه:

الأول: تسمية ما يدل على صدق الأنبياء معجزة وما يظهر على الأولياء كرامة.

الثاني: أن صاحب المعجزة يظهرها لإثبات صدقه لكن صاحب الكرامة يجتهد في إخفائها.

الثالث: أن صاحب المعجزة معصوم من الكفر بعد ظهور معجزته أما صاحب الكرامة فلا يؤمن تَبَدُّلْ حاله كما حدث لبلعام بن باعوراء[(٢)].

---

(١) انظر الإرشاد للجويني (٢٦٧).

(٢) أصول الدين للبغدادي بتصرف يسير (١٧٤).

ولا شك أن أصحاب هذا القول قد جانبوا الصواب وأن التسوية بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء غير واردةلأن المعجزات التي يؤيد الله بها أنبيائه إنما كانت لإثبات نبوتهم وبالتالي حصول القناعة لدى أممهم بأنهم رسل من عند الله فيترتب على ذلك دخولهم في دين الله وحصولهم على السعادة في الدنيا والفوز بالجنة والنجاة من النار في الدار الآخرة.

أما الكرامة التي تظهر على أيدي بعض عباد الله الصالحين فإنما تقع لحاجتهم إليها أو للدلالة على فضلهم وقربهم من الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم ولكن قد يشاركونهم في بعض أعمالهم»[١].

ثانياً : المعتزلة :

المعتزلة يمنعون وقوع الكرامات أو خوارق العادات لغير الأنبياء وذلك انطلاقاً من أصلهم في رد الأمور التي لا تصدقها عقولهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«فقالت طائفة لا تخرق العادة إلاَّ لنبي وكذَّبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان وبكرامات الصالحين وهذه طريقة أكثر المعتزلة وغيرهم»[٢].

(١) النبوات لابن تيمية (٤).

(٢) النبوات لابن تيمية (٢).

ولا شك في عدم صحة قولهم بعد ثبوت الكرامات بأدلة الكتاب والسنة وتواتر الوقائع والحوادث بها كما سبق أن أوضحناه عند إيراد مذهب أهل السنة والجماعة في الكرامات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«لكن هؤلاء ـ يعني المعتزلة ـ كذَّبوا بما تواتر من الخوارق لغير الأنبياء والمنازع لهم بقول هي موجودة مشهودة لمن شهدها متواترة عند كثير من الناس أعظم مما تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء فكيف يكذبون بما شهدوه ويصدقون بما غاب عنهم ويكذبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره»[1].

وبهذا التفصيل يزول اللبس والغموض ويتضح ما يكون كرامة من عند الله لبعض أوليائه وعباده الصالحين وما يكون إيحاءاً من الشياطين وتلاعباً من الأبالسة ممن سوَّلت لهم الشياطين وأملت لهم وزينت لهم سوء أعمالهم. ونعوذ بالله من ذلك.

---

(١) النبوات لابن تيمية (٢).

الفصل الخامس

الأحوال والمقامات

وتحته سبعة مباحث:

المبحث الأول: التوبة

المبحث الثاني: الزهد

المبحث الثالث: التوكل

المبحث الرابع: الشكر

المبحث الخامس: الصبر

المبحث السادس: الرضا

المبحث السابع: الصدق

تمهيد

الأحوال في اللغة جمع حال وهو نهاية الماضي وبداية المستقبل.

وفي اصطلاح المتصوفة: «معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب[١] أو حزن[٢] أو قبض أو بسط[٣] أو هيبة[٤]»[٥].

والمقامات في اللغة جمع مقام وهو موضع القيام ويشمل الأمر الحسي كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[٦].

والمعنوى كقوله عز وجل: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٧]

---

(١) الطرب: خفة تصيب الإنسان لحدة حزن أو سرور.
التعريفات للجرجاني (١٨٣).

(٢) الحزن: أنين من القلب يمنع النفس من طلب السرور والطرب. وهو وهم يجعل الصوفي دائم التفكير في حاله وعديم الرضى عنها.
معجم ألفاظ الصوفية للشرقاوي (١٢٢).

(٣) القبض والبسط حالتان بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء والفرق بينهما أن الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت يغلب على قلب العارف.
التعريفات للجرجاني (٢٢٠).

(٤) الهيبة والأنس: حالتان فوق القبض والبسط كما أن القبض والبسط فوق الخوف والرجاء.
التعريفات للجرجاني (٣٢١).

(٥) التعريفات للجرجاني (١١٠).

(٦) سورة البقرة، الآية ١٢٥.

(٧) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

وهو مقام الشفاعة يوم القيامة.

وفي اصطلاح المتصوفة: معناه مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل[١].

والأحوال والمقامات مما اهتم به المتصوفة كثيراً إذ لا تخلو كتبهم من ذكرها والحديث عنها ويعنون بها ما يمر بالنفس من أحوال وهبية فإذا دامت واستقرت سميت مقاماً، فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من عين الوجود والمقامات تحصل ببذل المجهود[٢].

أي أن الأحوال توهب للعبد من الله سبحانه وليست من كسبه أما المقامات فيمكن أن يتوصل إليها العبد باكتسابه وبذل جهده.

إلاَّ أن بين الأحوال والمقامات تداخلاً وتلازماً بحيث يصعب التفريق بينها لأن القواعد التي وضعها المتصوفة للتمييز بينهما غير مضطردة فهم مثلاً يعرفون المقامات بأن لها صفة الديمومة بينما الأحوال في تغير مستمر. يقول القشيري في الرسالة:

«وصاحب المقام ممكن في مقامه وصاحب الحال مترق عن حاله»[٣].

ثم نراه يورد ما يعارض زوال الحال بقوله:

---

(١) اللمع للطوسي (٦٥).
(٢) الرسالة للقشيري (١/ ٢٠٦). ومدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٧١).
(٣) الرسالة للقشيري (١/ ٢٠٦).

«وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها»[١].

وأيضاً يعتبر أبوطالب المكي الخوف من المقامات[٢] بينما يرى أبونصر الطوسي أنه من الأحوال[٣].

وكذلك الرضا؛ يرى القشيري أنه من الأحوال[٤]، بينما يعتبره أبونصر الطوسي من المقامات[٥].

وللجمع بينهما يمكن أن يقال أن الحال يكون في بدايته معنى يطرأ ويزول لكنه بالتكرار يصير معنى راسخاً وهذا المعنى هو المقام.

هذه الاصطلاحات الصوفية لم أجد للشيخ عبدالقادر كلاماً لشرحها أو بيانها وإن كانت ترد في كلامه استعمالاً وهذا الذي جعلني أبين معناها عند الصوفية لمعرفة معناها في كلام الشيخ في المباحث الآتية:

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٠٧).
(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي (١/ ٣٦٤).
(٣) اللمع للطوسي (٨٩).
(٤) الرسالة للقشيري (١/ ٢٠٧).
(٥) اللمع للطوسي (٦٥).

المبحث الأول

التوبة

هي الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «التوبة النصوح هي الندم بالقلب والاستغفار باللسان والإقلاع بالبدن والإضمار على ألا يعود»[١].

ويقسمها المتصوفة إلى قسمين:

ـ توبة العوام؛ وهي التوبة من جميع الذنوب.

ـ وتوبة الخواص؛ وهي التوبة من الغفلة[٢].

وهي أول مقامات السالكين إلى الله؛ لأنها تسد أبواب الذنوب السابقة وتمنع من الوقوع فيها مستقبلاً وهي ملازمة للعبد السالك إلى الله حتى يموت قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

«ومنزل التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها فلا يفارقه العبد السالك ولا يزال به إلى الممات وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ونزل به فالتوبة هي بداية العبد ونهايته وحاجته إليها في النهاية ضرورية. كما أن حاجته إليها في البداية كذلك»[٣].

ومن هنا كان تركيز الشيخ عبدالقادر الجيلاني عليها واهتمامه بشأنها؛ قال العلامة أبوالحسن الندوي:

---

(١) التعريفات للجرجاني (٩٥).

(٢) معجم ألفاظ الصوفية للشرقاوي (٨٨).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (١/١٧٨).

«ظهر في بغداد رجل قوي الشخصية قوي الإيمان قوي العلم قوي الدعوة قوي التأثير هو الشيخ عبدالقادر الجيلاني فجدَّد دعوة الإيمان والإسلام الحقيقي والعبودية الخالصة وحارب النفاق وفتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه يدخل منه المسلمون يجددون العهد والميثاق مع الله تعالى»[(١)].

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يعتبر التوبة باب الدخول على الله سبحانه لنيل رضوانه في الدنيا والآخرة فينبغي اغتنامها وعدم تفويت فرصتها يقول:

«إغتنموا باب التوبة وادخلوا مادام مفتوحاً لكم»[(٢)].

ويبين أن المهم ليس التوبة فحسب ولكن المهم هو الاستمرار والثبات عليها فيقول:

«تب واثبت على توبتك فليس الشأن في توبتك الشأن في ثبوتك عليها ليس الشأن في غرسك الشأن في نبوته وتغصينه وثمرته»[(٣)].

وقد جعلها بمنزلة الماء الذي تزول به نجاسة الذنوب وقذارة المعاصي. إذ يقول:

«يا غلام لا تيأس من رحمة الله بمعصية ارتكبتها بل اغسل نجاسة ثوب دينك بماء التوبة والثبات عليها والإخلاص فيها»[(٤)].

وعن التائبين يصنف الشيخ عبدالقادر الناس في التوبة إلى ثلاثة

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام للندوي (٢٨٢).
(٢) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الرابع (ص١٨).
(٣) المصدر السابق، المجلس الرابع، (ص٢٢).
(٤) المصدر السابق، المجلس الثالث عشر (ص٤٨).

أصناف: توبة العوام وتوبة الخواص وتوبة خاص الخاص ويجعل لكل صنف منهم توبة تخصه فيقول:

«توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وتوبة خاص الخاص من ركون القلب إلى ما سوى الله عز وجل»[١].

ثم يوضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[٢] بأن هذا **«خطاب للعموم بالتوبة وأن حقيقة التوبة في اللغة الرجوع يقال تاب فلان من كذا أي رجع عنه فالتوبة هي الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود في الشرع والعلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات مبعدات من الله عز وجل. ومن جنته وتركها مقرب إلى الله عز وجل وجنته فكأنه عز وجل يقول: ارجعوا إلي من هوى نفوسكم ووقوفكم مع شهواتكم عسى أن تظفروا ببغيتكم عندي في المعاد وتبقوا في نعيمي في دار البقاء والقرار وتفلحوا وتفوزوا وتنجوا وتدخلوا برحمتي الجنة العليا المعدة للأبرار»**[٣].

كما يقرر الشيخ عبدالقادر الجيلاني أن التوبة من سائر الذنوب واجبة بإجماع الأمة وأنها تكون من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها[٤].

ثم يعرف الكبائر بأنها:

«ما توعّد الله عليه بالنار أو ما أوجب عليه الحد في الدنيا وأن

---

(١) الغنية للجيلاني (١/ ١١٨).

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

(٣) الغنية للجيلاني (١/ ١١٦).

(٤) المصدر السابق (١/ ١١٦).

بعض العلماء حصرها في سبع عشرة كبيرة: أربع في القلب؛ وهي الشرك بالله والإصرار على المعصية والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله. وأربع في اللسان: وهي شهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس والسحر. وثلاث في البطن وهي: شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا. واثنتان في الفرج وهما: الزنا واللواط. واثنتان في اليدين، وهما: القتل والسرقة. وواحدة في الرجلين، وهي: الفرار من الزحف. وواحدة في جميع البدن وهي: عقوق الوالدين»[١].

ولكن كيف لنا أن نعرف أن التوبة صحيحة ومقبولة عند الله إذ ليس بإمكاننا أن نتوغل في نفوس التائبين لنتعرف على صحة توبتهم لكن الشيخ عبدالقادر لم يترك هذه المسألة غامضة دون أن يقدم لنا دليلاً عملياً نعرف به صدق التوبة وصحتها فيضع لها شروطاً ثلاثة:

«أولها: الندم على ما عمل من المخالفات.

وثانيها: الإقلاع وترك الزلات في جميع الحالات والساعات.

وثالثها: العزم على ألاَّ يعود إلى ما اقترف من المعاصي والخطيئات»[٢].

وليس هذا فحسب بل جعل الشيخ الجيلاني للتوبة معياراً دقيقاً هو: «توجّع القلب عند علمه بفوات محبوبه فتطول حسراته وأحزانه وبكاؤه ونحيبه وانسكاب عبراته فيعزم على ألاَّ يعود إلى مثل ذلك لما تحقق عنده من شؤم ذلك»[٣].

---

(١) الغنية للجيلاني (١/ ١١٧).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٢٢).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٢٢).

ويجعل أيضاً مقياساً آخر يمكن بواسطته معرفة التوبة الصادقة وهو في أربعة أشياء:

«١ـ أن يملك لسانه من الفضول والغيبة والنميمة والكذب.

٢ـ ألاَّ يرى لأحد في قلبه حسداً ولا عداوة.

٣ـ أن يفارق إخوان السوء.

٤ـ أن يكون مستعداً للموت نادماً مستغفراً لما سلف من ذنوبه مجتهداً في طاعة ربه»(١)

وفي النهاية يرى الشيخ عبدالقادر الجيلاني أن التوبة على وجهين:

«أحدهما: في حق العباد بعضهم تجاه بعض وهذا لا يتحقق إلاَّ برد المظالم والتحلل من الحقوق بإعادتها إلى أصحابها.

والثاني: يتعلق بحق الله تعالى فتكون التوبة منه بالاستغفار الدائم باللسان والندم بالقلب والإضمار على ألاَّ يعود إليه في المستقبل»(٢).

هذه هي التوبة عند الشيخ عبدالقادر الجيلاني ونظراته إليها وتوجيهاته للتائبين.

وقد أوردها بعبارات جميلة وترقيقات بديعة تدل على حساسية مرهفة لمعنى التوبة وموقف العبد منها.

---

(١) الغنية للجيلاني (١/ ١٤٠).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٢٦).

المبحث الثاني

الزهـــد

الزهد لغة: زهد فيه وعنه زهداً وزهادة أعرض عنه وتركه لاحتقاره أو لتحرجه عنه.

ويقال: زهد في الدنيا ترك حلالها مخافة حسابه وترك حرامها مخافة عقابه[(١)].

وفي الاصطلاح: له عدة تعريفات من أحسنها قول ابن قدامة المقدسي: «هو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه. أو بمعنى آخر: «أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة»[(٢)].

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يفرق بين الزاهد الحقيقي والمتزهد الصوري فيقول:

«المتزهد يخرج الدنيا من يديه والزاهد المتحقق في زهده يخرجها من قلبه»[(٣)].

وكلامه هذا يشير فيه إلى نوعية من الناس يزهدون في الدنيا ويرفضونها من أيديهم لكنها تسكن في سويداء قلوبهم.

لكن هذا لا يعني أن الزاهد الحقيقي يرد ما يسوقه الله له من الرزق وإنما يأخذه ويستعين به على طاعة الله وفي هذا المعنى يقول

---

(١) القاموس المحيط (١/٣٠٨). والمعجم الوسيط (١/٤٠٤).

(٢) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي (٣٢٤).

(٣) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثلاثون (ص١٠٦).

الشيخ عبدالقادر:

«الصادق في زهده تجيء إليه أقسامه فيتناولها ويلبس ظاهره بها وقلبه مملوء من الزهد فيها وفي غيرها»(١).

ثم يضع صورة واضحة للزاهد الصادق فيقول:

«وفي الناس من تكون الدنيا بيده ولا يحبها يملكها ولا تملكه تحبه ولا يحبها تعدو خلفه ولا يعدو خلفها يستخدمها ولا تستخدمه يفرقها ولا تفرقه. قد صلح قلبه لله عز وجل فلا تقدر الدنيا تفسده فيتصرف فيها ولا تتصرف فيه»(٢).

ولما لصلاح النية والقصد من الأهمية في قبول العمل حيث أنها تتحكم في تصرفات الإنسان فتتحول العادات والمباحات إلى أعمال صالحة بالنية الصالحة والقصد الحسن وفي هذا يقول الشيخ عبدالقادر الجيلاني:

«المؤمن له نية صالحة في جميع تصرفاته لا يعمل في الدنيا للدنيا يبني في الدنيا للآخرة يعمر المساجد والقناطر والمدارس والربط ويهذب طرق المسلمين وإن بنى غير هذا فللعيال والأرامل والفقراء وما لابدَّ له منه يفعل ذلك حتى يبنى له في الآخرة»(٣).

ولكن الشيخ عبدالقادر يبين أن الزهد ليس أمراً سهلاً يمكن الاتصاف به دون تعب أو معاناة كما أنه ليس في قدرة كل واحد أن يكون زاهداً؛ لأن الزهد على حدِّ تعبير الجيلاني:

---

(١) المصدر السابق، المجلس الخامس والعشرون (ص٨٩).

(٢) المصدر السابق، المجلس الرابع والثلاثون (ص١١٣).

(٣) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس السادس عشر (٥٩).

«منة صالحة وإلاَّ فما يقدر أحد أن يزهد في قسمه.

المؤمن يستريح من ثقل الحرص لا يشره ولا يستعجل.

زهد في الأشياء بقلبه وأعرض عنها بسرِّه واشتغل بما أمر به وعلم أن قسمه لا يفوته فلم يطلبه.

ترك الأقسام تعدوا خلفه وتذل وتسأله قبولها»[١].

كما أن الزهد في نظر الشيخ الجيلاني ليس حرفة أو مهنة يمكن إدراكها عن طريق التعليم والتدريب عليها وإنما هو خطوات على درب السلوك تتبعها خطوات وفي هذا الخصوص يصف الشيخ الجيلاني حال الزاهد فيقول:

«يا غلام هذا الزهد ليس صنعة تتعلمها ليس هو شيئاً تأخذه بيدك ترميه بل هو خطوات أولها النظر في وجه الدنيا فتراها كما هي على صورتها عند من تقدم من الأنبياء والرسل»[٢].

ومن هنا فإن الجيلاني يربط بين العلم والزهد ويرى أنه لابدَّ من تلازمهما للوصول إلى الله عز وجل وهذا واضح من قوله:

«ما وصل من وصل إلاَّ بالعلم والزهد في الدنيا والإعراض عنها بالقلب والقالب»[٣].

تلك هي منزلة الزهد عند الشيخ عبدالقادر الجيلاني وهي بلا شك منزلة عالية يرتفع بها صاحبها ويعظم في أنظار الناس وتتحقق لهم الاستفادة منه وقد عبَّر عن هذا بقوله:

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثامن والعشرون (ص٩٨).

(٢) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثلاثون (ص١٠٧).

(٣) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثلاثون (ص١٠٦).

«من صح زهده في الخلق صحت رغبتهم فيه وانتفعوا بكلامه والنظر فيه»(١).

أما المتصوفة وباعتبار أنه من أهم مسائلهم فله عندهم مفهوم آخر يأخذ صوراً متفاوتة في البعد والقرب عن مفهوم أهل السنة والجماعة الذي سنذكره فيما بعد فمن تعريفاتهم المعتدلة للزهد قولهم:

«الزهد في الحرام لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى»(٢).

وقولهم: «ينبغي للعبد ألا يختار ترك الحلال بتكلفة ولا طلب الفضول مما لا يحتاج إليه ويراعي القسمة فإن رزقه الله سبحانه وتعالى مالاً حلالا شكره وإن وقَّفه الله تعالى على حدِّ الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضول فالصبر أحسن بصاحب الفقر والشكر أليق بصاحب المال الحلال»(٣).

لكن هناك مبالغات تروى عنهم في الزهد تتعارض مع المنهج الشرعي الصحيح من ذلك قولهم:

«الزهد أن تترك الدنيا كما هي لا تقول أبني رباطاً أو أعمر مسجداً»(٤).

وقول عبدالواحد بن زيد: «الزهد ترك الدرهم والدينار»(٥).

لكن أهل السنة والجماعة لا يوافقون الصوفية في هذا المفهوم

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثاني والستون (ص٢٣٢).
(٢) الرسالة للقشيري (١/ ٣٢٤).
(٣) المصدر السابق (١/ ٣٢٥).
(٤) المصدر السابق (١/ ٣٢٦).
(٥) الرسالة للقشيري (١/ ٣٢٨).

للزهد. وإنما يرون أن الزهد الصحيح هو ترك الدنيا التي تصد عن ذكر الله عز وجل وتشغل عن طاعته سبحانه وتلهي عن أداء الواجبات الشرعية وتعين على الوقوع في المعاصي والآثام.

أما الدنيا التي يتزود منها الإنسان لآخرته بالعمل الصالح وأداء الواجبات المالية لنفسه وأهله وولده وجاره وأهل ملته ولنصرة دينه فإن هذه الدنيا تتحول إلى دين لا ينبغي أن يزهد الإنسان فيه وهذا ما حصل للصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وكثير من التابعين وأئمة السلف ـ رحمهم الله ـ فقد فهموا أن الزهد في الدنيا ليس المراد منه تركها والتخلي عنها بالكلية ولكن إخراجها من القلب وتسخيرها في مراضي الرب عز وجل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«الزهد النافع الذي يحبه الله ورسوله هو الزهد فيما لا ينفع في الآخرة.

فأما ما ينفع في الآخرة وما يستعان به على ذلك فالزهد فيه زهد في نوع من عبادة الله وطاعته والزهد إنما يراد لأنه زهد فيما يضر أو زهد فيما لا ينفع فأما الزهد في النافع فجهل وضلال»[١].

وينقل ابن القيم ـ رحمه الله ـ أقوال الأئمة في الزهد، ومنهم الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ الذي قال:

«الزهد على ثلاثة أوجه: الأول: ترك الحرام وهو زهد العوام.
الثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص.
الثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين».

ثم يعلق ابن القيم على كلام الإمام أحمد هذا فيقول:

(١) فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٥١١).

«وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدم من كلام المشايخ مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته وهو من أجمع الكلام وهو يدل على أنه رضي الله عنه من هذا العلم بالمحل الأعلى وقد شهد الشافعي رحمه الله بإمامته في ثمانية أشياء أحدها الزهد»(١).

وهكذا يتبين موافقة الشيخ عبدالقادر الجيلاني لأهل السنة والجماعة في مفهوم الزهد وأنه إنما يكون في ما لا منفعة فيه للعبد في الآخرة والله أعلم.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٢).

المبحث الثالث

التوكــل

التوكل: هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس[(١)].

وهو سمة من أهم سمات المؤمنين الصادقين قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾[(٢)] وقال ـ عز شأنه ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾[(٣)].

فقد علَّق الإيمان على التوكل وهذا يدلُّ على أهميته وعلى انتفاء الإيمان عمن لا توكل لديه.

وعندما تناول الشيخ عبدالقادر الجيلاني مسألة التوكل تعرَّض لأربع مسائل:

الأولى: الأصل في مشروعيته وتعريف حقيقته:

فقال:

«الأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[(٤)] وقوله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾[(٥)].

وحقيقته تفويض الأمور إلى الله عز وجل والتنقي من ظلمات

(١) التعريفات للجرجاني (٩٧).
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ٣.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

الاختيار والتدبير والترقي إلى ساحات شهود الأحكام والتقدير فيقطع العبد ألاَّ تبديل للقسمة فما قسم له لا يفوته وما لم يقدَّر له لا يناله فيسكن قلبه إلى ذلك ويطمئن إلى وعد مولاه»[١].

وقد وافقه في هذا التعريف كثير من أئمة السلف وهذا طرف من أقوالهم التي نقلها ابن القيم فقال:

«قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والإدراكات.

ومن الناس من يجعله من باب المعارف والعلوم فيقول: هو علم القلب بكفاية الرب للعبد.

ومنهم من يفسره بالسكون وخمود حركة القلب فيقول:

التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب وهو ترك الاختيار والاسترسال مع مجاري الأقدار.

قال سهل: التوكل الاسترسال مع الله مع ما يريد.

ومنهم من يفسره بالرضا فيقول: هو الرضا بالمقدور.

وقيل: التوكل هجر العلائق ومواصلة الحقائق»[٢].

المسألة الثانية: أقسام التوكل ودرجاته:

يرى الشيخ عبدالقادر أن التوكل ينقسم إلى ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض.

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٨٩).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١١٢).

«فالمتوكل يسكن إلى وعد ربه وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه»[(١)].

لكن ابن القيم ـ رحمه الله ـ لا يوافقه في هذا التقسيم بل يرى أن التوكل ينقسم إلى سبع درجات:

«الأولى: معرفة الرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه وصدورها عن مشيئته وقدرته. وهي أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل.

الثانية: إثبات الأسباب والمسببات».

وسوف نرجىء نقل كلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن هذه الدرجة إلى الحديث عن المسألة الرابعة في ختام هذا المبحث.

«الثالثة: رسوخ القلب في مقام توحيد المتوكل فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده. بل حقيقة التوكل توحيد القلب فمادامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول. وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل.

فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة ومن هنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلاَّ برفض الأسباب وهذا حق لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح.

الرابعة: اعتماد القلب على الله واستناده وسكونه إليه بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب ولا سكون إليها. علامة هذا ألا يبالي بإقبالها وإدبارها ولا يضطرب قلبه عند إدبار ما يحب وإقبال

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٨٩).

ما يكره منها لأن اعتماده على الله وسكونه إليه ومثل حاله كحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه وطمأنينته بثدي أمه لا يعرف غيره وليس في قلبه التفات إلى غيره. كذلك المتوكل لا يأوي إلاَّ إلى ربه سبحانه.

الخامسة: حسن الظن بالله عز وجل. فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه. ولذلك فسَّر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله.

والتحقيق أن حسن الظن بالله يدعو إلى التوكل عليه إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به ولا التوكل على من لا ترجوه.

السادسة: استسلام القلب له. وانجذاب دواعيه كلها إليه وبهذا فسَّره من قال: أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير.

السابعة: التفويض وهو روح التوكل ولبُّه وحقيقته وهو إلقاء أموره كلها إلى الله وإنزالها به طلباً واختياراً لا كرهاً واضطراراً. بل كتفويض الابن العاجز الضعيف كل أموره إلى أبيه العالم بشفقته عليه وتمام كفايته وحسن تدبيره فهو يرى أن تدبير أبيه له خير من تدبيره لنفسه فلا يجد له أصلح ولا أرفق من تفويض أموره كلها إلى أبيه»[1].

المسألة الثالثة : ثمرات التوكل :

لا ريب في الثمرات العظيمة التي تحصل للعبد إذا توكل على ربه باعتباره العلاج الذي يقضي على المخاوف النفسية التي تختلج

(١) مدارج السالكين لابن القيم بتصرف (٢/ ١١٢).

في نفوس الناس ويحد من وطأة القلق والاهتمام بأمور المعيشة بالاعتماد والثقة في الله عز وجل وأهم الثمرات في نظر الشيخ عبدالقادر الجيلاني اعتباره من أعظم الأسباب المؤدية إلى تقوية دين العبد وتصحيح قلبه وهدايته يقول في هذا المعنى:

«من أحب القوة في دين الله عز وجل فليتوكل على الله عز وجل لأن التوكل يصحح القلب ويقويه ويهذبه ويهديه ويريه العجائب لا تتوكل على درهمك ودينارك وأسبابك فإن ذلك يعجزك ويضعفك وتوكل على الله عز وجل. فإنه يقويك ويعينك ويلطف بك ويفتح لك من حيث لا تحتسب»[١].

وهذاما أكَّده شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهو يوضح معنى ما نقل عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني من أنه رؤي في المنام وهو يقول إخباراً عن الحق سبحانه:

من جاءنا تلقيناه من البعيد، ومن تصرف بحولنا ألنَّا له الحديد، ومن اتبع مرادنا أردنا ما يريد، ومن ترك من أجلنا أعطيناه فوق المزيد. فقال رحمه الله:

«فالأوَّلتان: العبادة والاستعانة. والآخرتان الطاعة والمعصية.

فالذهاب إلى الله هي عبادته وحده كما قال تعالى: «من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»[٢].

والتقرب بحوله هو الاستعانة والتوكل عليه فإنه لا حول ولا

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثاني والأربعون (ص١٣٤).

(٢) رواه البخاري ح (٧٥٣٦). ومسلم ح (٢٦٧٥).

قوة إلاّ بالله وفي الأثر: «من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله»[١].

وعن سعيد بن جبير قال: التوكل جماع الإيمان[٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٣]. وقال عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[٤].

وهذا على أصح القولين في أن التوكل عليه ـ بمنزلة الدعاء على أصح القولين أيضاً ـ سبب لجلب المنافع ودفع المضار فإنه يفيد قوة العبد وتصريف الكون ولهذا هو الغالب على ذوي الأحوال متشرعهم وغير متشرعهم. وبه يتصرفون ويؤثرون تارة بما يوافق الأمر وتارة بما يخالفه.

وقوله: ومن اتبع مرادنا يعني المراد الشرعي كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٥]. وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾[٦]. وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾[٧].

هذا هو طاعة أمره وقد جاء في الحديث: **«وأنت ياعمر لو أطعت الله لأطاعك»**[٨].

---

(١) أخرجه أبونعيم في الحلية ٣/ ٢١٨.
(٢) لم أجده فيما بين يدي من المراجع.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٣.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٩.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٦) سورة النساء، الآية: ٢٨.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٦.
(٨) لم أجده في كتب الحديث.

وفي الحديث الصحيح: «لئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»[(١)].

وقد قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾[(٢)].

وقوله: «ومن ترك من أجلنا أعطيناه فوق المزيد» يعني: ترك ما كره الله من المحرم والمكروه لأجل الله؛ رجاءاً ومحبة وخشية أعطيناه فوق المزيد لأن هذا مقام الصبر وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾[(٣)]»[(٤)].

المسألة الرابعة: الأسباب:

بيّن الشيخ عبدالقادر الجيلاني اعتقاده حولها والمتضمن ضرورة الأخذ بها مع عدم الاعتماد عليها فقال:

«اعتقاد المتبعين لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ: أن السيف لا يقطع بطبعه بل الله عز وجل يقطع به وأن النار لا تحرق بطبعها بل الله عز وجل المحرق بها وأن الطعام لا يشبع بطبعه بل الله عز جل يشبع به وأن الماء لا يروي بطبعه بل الله عز وجل المروي به.

وهكذا جميع الأسباب على اختلاف أجناسها الله عز وجل المتصرف فيها وبها، وهي آلة بين يديه يفعل بها ما يشاء»[(٥)].

---

(١) سبق تخريجه ص ٥٢٧
(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٦.
(٣) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٤) فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٥٤٩).
(٥) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الستون (ص٢١٣).

وهذا لا يعني دعوته إلى ترك الأسباب أو أن هناك تعارضاً بين التوكل والأخذ بالأسباب بل إن التوكل الصحيح في مفهوم الشيخ الجيلاني هو الأخذ بالسبب والتوكل على مسبب الأسباب إذ يقول في هذا الصدد:

«إعط السبب حقه، وتوكل، واقعد على باب العمل وألق نفسك في بحر التوكل فتجمع بين السبب والمسبب»[1].

والأخذ بالأسباب ثم الاعتماد على الله عز وجل هو مذهب أهل الحق من سلف هذه الأمة. يقررونه ويؤكدون عليه لأنه هو الذي يتمشى مع طبيعة هذا الدين الذي جاء لعمارة الدنيا وإصلاحها على أساس الفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«ولهذا قال طائفة من العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع»[2].

ويناقش ابن القيم ـ رحمه الله ـ قضية الأسباب بشيء من التفصيل فيقول:

«من نفى الأسباب فتوكله مدخول وهذا عكس ما يظهر في بدوات الرأي أن إثبات الأسباب يقدح في التوكل وأن نفيها تمام التوكل.

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الخمسون (ص١٦٧).

(٢) فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٣٥).

واعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل البتة لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه فهو كالدعاء الذي جعله الله سبباً في حصول المدعو به فإذا اعتقد العبد أن توكله لم ينصبه الله سبباً ولا جعل دعاءه سبباً لنيل شيء فقد وقع في الوهم الباطل.

فإن الله سبحانه وتعالى قضى بحصول الشبع إذا أكل المرء والري إذا شرب فإذا لم يفعل لم يشبع ولم يرو.

وقضى بحصول الحج والوصول إلى مكة إذا سافر وركب الطريق فإذا جلس في بيته لم يصل إلى مكة.

وقضى بدخول الجنة إذا أسلم وأتى بالأعمال الصالحة فإذا ترك الإسلام ولم يعمل الصالحات لم يدخلها أبداً.

وقضى بطلوع الحبوب التي تزرع بشق الأرض وإلقاء البذر فيها فما لم يأت بذلك لم يحصِّل إلاَّ الخيبة.

فَوِزَانِ ما قاله منكروا الأسباب أن يترك كل من هؤلاء السبب الموصل ويقول: إن كان قضى لي وسبق في الأزل حصول الشبع والري والحج ونحوها فلابدَّ أن يصل تحركت أو سكنت سافرت أو قعدت وإن لم يكن قد قضى لي لم يحصل لي أيضاً فعلت أو تركت.

فهل يَعُدُّ أحدٌ هذا من جملة العقلاء وهل البهائم إلاَّ أفقه منه فإن البهيمة تسعى في السبب بالهداية العامة.

فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه فمن أنكر الأسباب لم يستقم له التوكل.

ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها وحال بدنه قيامه بها.

فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره. فلا تقوم عبودية الأسباب إلاَّ على ساق التوكل ولا يقوم ساق التوكل إلاَّ على قدم العبودية.

بل التجرد من الأسباب جملة ممتنع عقلاً وشرعاً وحساً وما أخلَّ رسول الله ﷺ بشيء من الأسباب فقد ظاهر بين درعين يوم أحد ولم يحضر الصف قط عرياناً كما يفعل من لا علم عنده ولا معرفة. واستأجر دليلاً مشركاً على دين قومه. يدلُّه على طريق الهجرة. وقد هدى الله به العالمين وعصمه من الناس أجمعين.

وكان يدَّخِرُ لأهله قوت سنة وهو سيد المتوكلين. وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد والمزاد جميع أصحابه وهم أولوا التوكل حقًّا وأكمل المتوكلين بعدهم هو من اشتم رائحة توكلهم من مسيرة بعيدة أو لحق أثراً من غبارهم»[1].

وخلاصة القول في الأمر أن نأخذ بالأسباب ثم نعتمد في حصول النتائج على الله وحده فقد أخبر الله عز وجل عن يعقوب عليه السلام أنه أخذ بالأسباب في نصحه لأولاده فقال تعالى:

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[2].

وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ فقال: «**ما منكم من أحد إلاَّ قد كتب مقعده من النار أو من**

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١١٢).

(٢) سورة يوسف، الآية: ٦٧.

الجنة فقال رجل من القوم: ألاَّ نتكل يارسول الله ـ يعني ألاَّ نترك العمل ـ فقال لا اعملوا فكل ميسرٌ ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ ﴾ الآية[1]»[2].

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطانا»[3].**

والأدلة على ضرورة اتخاذ الأسباب وأنها لا تنافي التوكل كثيرة جدًّا. وهو ما قرره الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما سبق بيانه. والله أعلم.

---

(١) سورة الليل: الآية: ٥.

(٢) رواه البخاري، ح (٦٦٠٥).

(٣) رواه الترمذي ح (٢٤٦١). وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجة ح (٤١٦٤). وقال عنه الألباني: حديث صحيح. انظر صحيح الترمذي للألباني ح (١٩١١).

المبحث الرابع
الشكر

هو عبارة عن معروف يقابل النعمة سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب.

وقيل هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه فالعبد يشكر الله أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة[١].

وقد تحدث الشيخ عبدالقادر الجيلاني عن الشكر من خلال ثلاث مسائل:

الأولى: حقيقة الشكر.

الثانية: أقسامه.

الثالثة: أصناف الشاكرين.

أما الأولى وهي حقيقة الشكر فقد قال رحمه الله:

«وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع»[٢].

فهو رحمه الله يذكر أن حقيقة الشكر هي الاعتراف بنعم المنعم الذي هو الله ـ عزوجل ـ فهو صاحب الفضل والعطاء فيعترف القلب أن كل نعمة إنما هي من الله سبحانه.

ثم تخضع جوارحه لهذا المنعم فإن الخضوع هو الطاعة

(١) التعريفات للجرجاني (١٦٨).

(٢) الغنية للجيلاني (٢/١٩٣).

والانقياد إذ لا يسمى الإنسان خاضعاً إلاَّ إذا كان طائعاً لأمر الله ـ عز وجل ـ منقاداً لشرعه.

وعلى هذا فالشكر هو عمل القلب وعمل الجوارح كما سيتضح من خلال المسألتين الآيتين:

وأما الثانية وهي أقسام الشكر. فإنه ـ رحمه الله ـ قد قسم الشكر إلى ثلاثة أقسام فقال:

«ثم الشكر ينقسم إقساماً إلى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة.

وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاء والخدمة.

وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة»[1].

وقد جمع الشيخ عبدالقادر الجيلاني في هذا التقسيم جميع العناصر المهمة التي تعبر عن اعتراف الإنسان بنعمة الله عليه كما أنه ربط كل قسم بما يناسب حالته من الاعتراف والشكر.

فاللسان حالته التعبير والتحدث بنعمة الله على صفة الاستكانة والضعف والتذلل.

والبدن والجوارح حالتها الخدمة والقيام بتنفيذ الأوامر والابتعاد عن النواهي.

والقلب حالته الإقرار الداخلي بأن جميع النعم إنما هي من الله وحده.

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٤).

وفي موضع آخر يصف الشيخ عبدالقادر الجيلاني كيفية الشكر فيقول:

«أما كيفية الشكر فيكون باللسان بالاعتراف بالنعمة وأنها من عند الله عز وجل وترك الإضافة إلى الخلق لا إلى نفسك وحولك وقوتك وكسبك ولا إلى غيرك من الذين جرت على أيديهم لأنك وإياهم أسباب وآلات وأداة لها. وأن قاسمها ومجريها وموجدها والسبب لها هو الله عز وجل والقاسم هو الله والمجري هو فهو أحق بالشكر من غيره.

وأما الشكر بالقلب: فبالاعتقاد الدائم والعقد الوثيق الشديد المنبرم أن جميع ما بك من النعم والمنافع واللذات في الظاهر والباطن في حركاتك وسكناتك من الله عز وجل لا من غيره ويكون شكرك بلسانك معبراً عما في قلبك.

وأما شكر الجوارح: فبأن تحركها وتستعملها في طاعة الله عز وجل دون غيره من الخلق فلا تجيب أحداً من الخلق فيما فيه إعراض عن الله تعالى، وهذا يعم النفس والهوى والإرادة والأماني وسائر الخليقة بحيث تجعل طاعة الله أصلاً ومتبوعاً وإماماً وما عداها فرعاً وتابعاً ومأموماً»[١].

والثالثة: أصناف الشاكرين. وقد جعلهم ثلاثة أصناف:

الأولى: من وصفهم بالعالَمِين وهم السواد الأعظم من العباد وشكرهم يكون من جملة أقوالهم.

والثاني: من وصفهم بالعابدين وهم المؤمنون على وجه العموم

(١) فتوح الغيب للجيلاني مقالة ٥٩ (ص١٣٤).

والمباشرون للعبادات المفروضة عليهم فشكرهم يكون نوعاً من أفعالهم.

والثالث: من وصفهم بالعارفين وهم المقربون وشكرهم باستقامتهم لله عز وجل في سائر أحوالهم. واعتقادهم أن جميع ما هم فيه من الخير وما يظهر منهم من الطاعة والعبودية والذكر لله عز وجل بتوفيقه سبحانه[١].

وهذا يتطابق تماماً مع ما ذكره علماء السلف ومنهم ابن القيم ـ رحمه الله ـ الذي يرى:

«أن حقيقة الشكر تظهر جلية على لسان العبد ثناءاً واعترافاً وعلى قلبه شهوداً ومحبة وعلى جوارحه انقياداً وطاعة وأنه مبني على خمس قواعد:

١ـ خضوع الشاكر للمنعم تبارك وتعالى.

٢ـ حبه له فإن المنعم محبوب لما يتفضل به على المنعم عليه.

٣ـ اعترافه بنعمته عليه.

٤ـ ثناؤه عليه بها.

٥ـ ألا يستعملها فيما يكره.

وكل من تكلم عن الشكر أو قسّمه فإنما يرجع في كلامه إلى هذه القواعد الخمس»[٢].

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٤).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٤٢) بتصرف يسير.

المبحث الخامس

الصبر

هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله لأن الله تعالى أثنى على أيوب عليه السلام بالصبر بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾[1] مع دعائه في رفع الضر عنه بقوله: ﴿۞وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2] فعلم أن العبد إذا دعا الله في كشف الضر عنه لا يقدح في صبره[3].

وعندما تحدث الشيخ عبدالقادر الجيلاني عن الصبر لم يتعرض لتعريفه ولكنه تحدث عن:

١ـ أدلة مشروعيته.

٢ـ أنواعه.

٣ـ أصناف الصابرين.

٤ـ أقسام الصبر.

فعن أدلة مشروعيته يقول ـ رحمه الله ـ:

«الأصل في مشروعية الصبر قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[5]. وقوله ﷺ: «إنما الصبر عند

(١) سورة ص، الآية: ٤٤ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.

(٣) التعريفات للجرجاني (١٧٢).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

الصدمة الأولى»[١]»[٢].

أما أنواع الصبر فقد ذكر الشيخ عبدالقادر أنه على ثلاثة أضرب:

«الأول: صبر لله عز وجل وهو على أداء أمره وانتهاء نهيه.

الثاني: صبر مع الله وهو الصبر على جريان قضائه وأفعاله فيك من سائر الشدائد والبلايا.

الثالث: صبر على الله وهو الصبر على ما وعد من الرزق والفرج والكفاية والنصر والثواب في الدار الآخرة»[٣].

وهذه الثلاثة أنواع تنتظم جميع أوجه الصبر:

فالأول يشمل الصبر على ممارسة الطاعات والقيام بالفرائض والواجبات لما فيها من المشقة واللزوم بالمحافظة عليها طيلة عمر الإنسان كالصلوات الخمس وأداء الزكاة عند توفر شروطها وصيام رمضان وأداء الحج وبقية أوامر الله عز وجل التي لا يمكن أن يقوم بها العبد إلاَّ إذا كان متسلحاً بالصبر قائماً على نفسه بالمجاهدة.

كما يشتمل الصبر عن محارم الله والتي غالباً ما يكون لدى الإنسان ميل غريزي للوقوع فيها باعتبارها من الشهوات المحببة إلى النفوس ولكن المسلم يمتنع عنها ويصبر على ذلك رجاء ما أعدَّ الله له من الثواب وخشية ما توعَّده من العقاب.

أما النوع الثاني فإنه يتعلق بالصبر على أقدار الله المؤلمة التي

---

(١) رواه البخاري ح (١٣٠٢). ومسلم ح (٩٢٦).

(٢) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٥).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١٩٥).

يتعرض لها الإنسان وتجري عليه بها أحكام مولاه وخالقه عز وجل وفيها ما يكون مؤلماً كالموت والفقر والمرض ولكن المؤمن الصابر يتلقى تلك الأقضية والأقدار بنفس مطمئنة صابراً محتسباً موقناً بأن الله سوف يكتب له الأجر الجزيل إذا صبر على هذا البلاء واحتسبه عند الله سبحانه.

والنوع الثالث وهو ما عبَّر عنه الشيخ عبدالقادر الجيلاني بالصبر على الله ويعني به انتظار ما وعد الله به من تحقيق الكفاية والإعانة والنصر والتمكين للمؤمن في الدنيا والثواب والجزاء العظيم في الآخرة.

وهذا التقسيم الذي ذهب إليه الشيخ الجيلاني اجتهادي يوافقه في بعضه بعض أهل العلم ويزيدون عليه أو ينقصون.

فهذا ابن القيم ـ رحمه الله ـ يجعل الصبر على ثلاثة أنواع:

١ـ صبر على طاعة الله عز وجل.

٢ـ وصبر عن معصيته سبحانه.

٣ـ وصبر على أقداره تعالى.

ثم يجعله ثلاثة مراتب:

الأولى: الصبر بالله أي بالاستعانة به سبحانه كما قال عز وجل: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[1].

الثانية: الصبر لله وهو أن يكون الباعث له على الصبر إرادة وجه الله سبحانه والرغبة في ثوابه والتقرب إليه.

الثالثة: الصبر على الله: وهو أن يدور العبد مع مراد الله الديني وأحكامه الشرعية صابراً محتسباً سائراً بسيرها مقيماً بإقامتها يتوجه

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

معها أين توجهت ركائبها وينزل معها أين استقلت مضاربها»[١].

وعن أصناف الصابرين يرى الشيخ عبدالقادر الجيلاني أنهم:

«**ثلاثة أصناف: متصبر وصابر وصبار**»[٢].

لكن ابن القيم رحمه الله يجعلهم:

«خمسة أصناف: صابر، ومصطبر، ومتصبر، وصبور، وصبار.

فالصابر: أعمها، والمصطبر المكتسب الصبر المليء به، والمتصبر: المتكلف حامل نفسه عليه، والصبور العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره. والصبَّار الكثير الصبر. فهذا في القدر والكم والذي قبله في الوصف والكيف»[٣].

وأخيراً فإن الشيخ عبدالقادر الجيلاني عند تمييزه للصبر يرى أنه على قسمين:

«**أحدهما: صبر على ما هو كسب للعبد من فعل أوامر الله وترك نواهيه.**

والثاني: صبر على ما ليس بكسب له مما يقدره الله عليه من قضاء فيه مشقة وألم فيصبر على ذلك»[٤].

وهذان القسمان داخلان في الأقسام الأولى أو أنهما تفريع عنها.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٥٢). بتصرف يسير.

(٢) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٥).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٥٨).

(٤) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٥).

وبالجملة فإن معاني الصبر تكاد تكون محصورة في الصبر على أداء الواجبات وترك المنهيات والرضى بالمقدورات وهو واضح في كلام الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ كما تقدم.

المبحث السادس
الرضا

وهو سرور القلب بمر القضاء[(١)].

وهو مماأجمع العلماء على أنه مستحب واختلفوا في وجوبه. والأصل في مشروعيته واستحبابه عند الشيخ عبدالقادر الجيلاني قول الله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾[(٢)] وقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾[(٣)]. وقوله ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله عز وجل ربًا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً**»[(٤)][(٥)].

وأقوال أهل السلوك من المتصوفة في الرضا كثيرة وهي في مجموعها تعني أن العبد الراضي هو الذي يتلقى أحكام الله عز وجل وأقضيته بالتسليم وعدم إظهار الاعتراض لما يجري من أفعال الرب عز وجل وهذا هو خلق المؤمن عند الشيخ عبدالقادر الجيلاني حيث يقول:

«**فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله تعالى له. وقضاء الله ـ عز وجل ـ خير من قضاء المرء لنفسه وما قضاه الله لك يا ابن آدم فيما تكره خير لك مما قضى الله عز وجل لك فيما تحب فاتق الله تعالى وارض بقضائه، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ**

---

(١) التعريفات للجرجاني (١٤٨).

(٢) سور: المائدة ١١٩، والتوبة ١١٠، والمجادلة ٢٢، والبينة ٨.

(٣) سورة التوبة، ٢١.

(٤) رواه مسلم ح (٣٤).

(٥) الغنية للجيلاني (٣/١٩٦).

خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١] **يعني ما فيه صلاح دينكم ودنياكم فالله عز وجل طوى عن الخلق مصالحهم وكلفهم عبوديته من أداء الأوامر وانتهاء المناهي والتسليم في المقدور والرضا بالقضاء فيما لهم وعليهم في الجملة واستأثر هو عز وجل بالعواقب والمصالح فينبغي للعبد أن يديم الطاعة لمولاه ويرضى بما قسم الله له ولا يتهمه»**[٢].

ولا شك أن للرضا مردوداً عظيماً على النفس البشرية وإدخال عامل السرور والأنس عليها؛ لأن العبدحين يرضى ويسلم لاختيار المولى ـ تبارك وتعالى ـ لعلمه بأن ما يختاره الله هو خير له في كل الأحوال والظروف ينعكس هذا الرضا على الإنسان فيشعر بالراحة ويحس بالاطمئنان ويزول عنه القلق والتسخط والتعب والاضطراب وفي هذا المعنى يقول الشيخ الجيلاني:

«واعلم أن تعب كل واحد من الخلق على قدر منازعته للقدر المقدور وموافقته لهواه وترك رضاه بالقضاء فكل من رضى بالقضاء استراح وكل من لم يرض به طالت شقوته وتعبه ولاينال من الدينا إلاَّ ما قسم له»[٣].

وعن أسباب عدم الرضابأقدار الله يؤكد الشيخ عبدالقادر الجيلاني بأن السبب الوحيد هو اتباع الهوى فيقول:

«فما دام هواه متَّبعاً قاضياً عليه فهو غير راض بالقضاء لأن الهوى منازع للحق ـعز وجل ـ فتعبه متكاثف متزايد فاستجلاب

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٢) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٧).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١٩٧).

الراحة في مخالفة الهوى. لأن فيه الرضا بالقضاء بلا بُدّ، واستجلاب التعب والنصب في موافقة الهوى لأن فيه منازعة الحق عز وجل بلا بُدّ فلا كان الهوى وإذا كان فلا كنا»[١].

أما عن نوعية الرضا وهل هو من الأحوال أو من المقامات، فقد سبق أن ذكرت التداخل والتلازم بينهما في مقدمة هذا الفصل غير أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني يذكر اختلاف أهل العلم والمتصوفة فيه فيقول:

«قال أهل العراق هو من جملة الأحوال وليس هو كسباً للعبد بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال، ثم تحول وتزول ويأتي غيرها.

وقال الخراسانيون: الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل حتى يئول إلى غاية ما يتوصل إليه العبد باكتسابه»[٢].

إلاَّ أن الشيخ عبدالقادر يرى أن الجمع بينهما ممكن بأن يقال:

«بداية الرضا مكتسبة للعبد وهي من المقامات ونهايته من جملة الأحوال وهي ليست مكتسبة»[٣].

وقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ هذا الاختلاف فقال:

«وهذه مسألة اختلف فيها أرباب السلوك على ثلاث فرق فالخراسانيون قالوا: الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل، فعلى هذا يمكن أن يتوصل إليه العبد باكتسابه.

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٧).
(٢) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٧).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١٩٧).

والعراقيون قالوا: هو من جملة الأحوال وليس كسباً للعبد بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال.

والفرق بين المقامات والأحوال أن المقامات عندهم من المكاسب والأحوال مجرد المواهب.

وحكمت فرقة ثالثة منهم القشيري صاحب الرسالة وغيره فقالوا: يمكن الجمع بينهما بأن يقال بداية الرضا مكتسبة للصبر وهو من جملة المقامات ونهايته من جملة الأحوال وليست مكتسبة فأوله مقام ونهايته حال»[1].

ثم يحقق المسألة فيقول ـ رحمه الله ـ:

«والتحقيق في المسألة أن الرضا كسبي باعتبار سببه موهبي باعتبار حقيقته، فيمكن أن يقال بالكسب لأسبابه فإذا تمكن في أسبابه وغرس شجرته اجتنىٰ منها ثمرة الرضا، فإن الرضا آخر التوكل فمن رسخ قدمه في التوكل والتسليم والتفويض جُعِلَ له الرضا ولابد، ولكن لعزته وعدم إجابة أكثر النفوس له وصعوبته عليها، لم يوجبه الله على خلقه رحمة بهم وتخفيفاً عنهم لكن ندبهم إليه، وأثنى على أهله وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم الذي هو أعظم وأكبر وأجلّ من الجنان وما فيها. فمن رضى عن ربه رضي الله عنه، بل رضى العبد عن الله من نتائج رضى الله عنه فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده رضاً قبله أوجب له أن يرضىٰ عنه، ورضى بعده هو ثمرة رضاه عنه ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العارفين وحياة المحبين ونعيم العابدين وقرة عيون المشتاقين»[2].

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٧١).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٧٣).

والرضا مما أجمع العلماء على استحبابه واختلفوا في وجوبه.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ممن يذهب إلى القول باستحبابه حيث يقول رحمه الله:

«ولم يجيء الأمر به كما جاء بالصبر وإنما جاء بالثناء على أصحابه ومدحهم»[1].

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٤٠).

المبحث السابع

الصـــدق

وهو في اللغة مطابقة الحكم للواقع.

وفي اصطلاح المتصوفة وعند الشيخ عبدالقادر الجيلاني هو: قول الحق في مواطن الهلاك وقيل: هو أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلاّ الكذب. وقيل: ألا يكون في أحوالك شوب ولا في اعتقادك ريب ولا في أعمالك عيب[١].

وفيه يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

«هو المنزل الأعظم والطريق الأقوم وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان وسكان الجنان من أهل النيران وهو روح الأعمال ومحل الأحوال والحامل على اقتحام الأهوال وهو أساس الدين وعمود فسطاط اليقين ودرجة تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العاملين»[٢].

والأصل فيه عند الشيخ عبدالقادر الجيلاني قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[٣].

وما روي عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، أنه قال: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند**

(١) التعريفات للجرجاني (١٧٤). والغنية للجيلاني (٢/ ٢٠٠).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٢٦٨).

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

الله صديقاً. وإيَّاكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[١][٢].

والصدق من أعلى درجات الكمال الإنساني ولا يكون الإنسان صادقاً إلاَّ إذا توفرت فيه النفس الطيبة والسريرة الصافية والنظرة السليمة والسمعة الكريمة واللسان النظيف والقلب العامر بالإيمان والشجاعة والقوة وهذا ما حصل للشيخ عبدالقادر الجيلاني حينما واجه قُطَّاع الطريق أثناء مجيئه إلى بغداد مسافراً من موطنه جيلان ـ على ما سبق بيانه عند الحديث عن مكانته العلمية ـ، فعندما سُلِبت القافلة بأسرها واجه هذا الحدث المرعب بشجاعة المؤمن وقام ببيان ما معه من النقود في صدق وثبات وحين سأله كبير اللصوص عن سبب تكلمه بالصدق في هذا الظرف الحرج قال:

«إن أمي عاهدتني على الصدق وأني لا أخون عهدها».

فبكى الرجل وقال: أنت لم تخن عهد أمك وأنا أخون عهد ربي من كذا وكذا من السنين ثم تاب الرجل وتاب أصحابه معه»[٣].

وللصدق عند الشيخ عبدالقادر الجيلاني منزلة عالية فهو عماد الأمر وفي ذلك يقول:

«واعلم بأن الصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه، وهو ثاني درجة النبوة وهو قوله عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) رواه البخاري ح (٦٠٩٤). ومسلم ح (٢٦٠٧).

(٢) الغنية للجيلاني (٢/١٩٩).

(٣) بهجة الأسرار للشطنوطي (٨٧). وقلائد الجواهر للتادفي (٩).

رَفِيقًا ﴿٦٩﴾[١]»[٢].

وقد فرّق الشيخ الجيلاني بين الصدق والصديق بقوله:

«والصادق هو الاسم اللازم من الصدق والصدِّيق هو المبالغة منه، وهو من تكرر منه الصدق فصار دأبه وسجيته وصار الصدق غالبه فالصدق استواء السر والعلانية والصادق هو الذي صدق في أقواله والصديق من صدق في أقواله وجميع أفعاله وأحواله»[٣].

والصدق في نظر الجيلاني ملازم للصفاء الذي يقوم عليه مذهبه في التصوف كما سبق أن أوضحنا فقد جعل منهما سببين مهمين في القرب من الله ـ عز وجل ـ يقول في ذلك:

«ياغلام عليك بالصدق والصفاء فلولاهما لم يتقرب بشر إلى الله تعالى»[٤].

وهكذا يتبين اهتمام الشيخ عبدالقادر وتأكيده على أهمية التخلق والاتصاف بهذه الصفات الحميدة التي تكسب العبد سعادة الدنيا وفلاح الآخرة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٢) الغنية للجيلاني (٢/ ٢٠٠).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٠٠).
(٤) قلائد الجواهر للتادفي (٦١).

الفصل السادس

الطريقة القادرية

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **تأسيس الطريقة القادرية**

المبحث الثاني: **الجانب النظري للطريقة القادرية**

المبحث الثالث: **الجانب العملي للطريقة القادرية**

المبحث الأول
تأسيس الطريقة القادرية

الطريقة في اللغة السيرة وطريقة الرجل مذهبه يقال مازال فلان على طريقة واحدة أي على حالة واحدة وفلان حسن الطريقة. والطريقة الحال يقال: هو على طريقة حسنة وطريقة سيئة[١].

وفي اصطلاح المتصوفة: هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات[٢].

وعند أبي طالب المكي: أنها بمعنى السنة المباركة فيقال عند الصوفية طريق وطريقة وسنن وسنة وحجة ومحجة[٣].

وقيل: هي التقلل من الدنيا في كل شيء والقناعة من الله بأدنى شيء والتواضع لله في كل شيء[٤].

والطريقة القادرية سميت بذلك لانتسابها إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني الذي يعتبر المؤسس الأول لها خصوصاً بشكلها الجماعي والمنظم والقائم على جمع المريدين وربطهم بمشايخ الطريقة لتأديبهم وتربيتهم حيث كان التصوف يقوم على أساس فردي لا أثر للتجمع فيه.

وقد كنت أظن أن الطريقة القادرية إنما قام بإحداثها ووضع

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٠/ ٢٢١). ومختار الصحاح للرازي (١٦٤).

(٢) معجم اصطلاحات الصوفية لعبدالرزاق الكاشاني (ص٨٥).

(٣) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢/ ٢٨٢).

(٤) معجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن شرقاوي (ص٢٠٠).

أسسها أتباعه ولكن الحقيقة التاريخية والآثار العلمية التي بين يدي تثبت أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني هو المؤسس الأول لهذه الطريقة وهو الذي وضع مبادئها وأسسها يقول في كتاب الغنية:

«ويجب على المبتدىء في هذه الطريقة الاعتقاد الصحيح الذي هو الأساس فيكون على عقيدة السلف الصالح»(١).

والذي يبدو لي أن تأسيس الطرق الصوفية لم يكن أمراً مستقبحاً في زمانه بحيث ينفر منها هو أو غيره من الناس بل كانت أمراً سائغاً ومشهوراً عند الناس.

لكنني حينما أقارن بين ما سبق دراسته من آرائه الاعتقادية والتي تتطابق تماماً مع عقيدة السلف من أهل السنة والجماعة وبين اتجاهه الصوفي أقع في شيء من الحيرة إذ لماذا لم يسلك ـ رحمه الله ـ مسالك العلماء من أهل السنة والجماعة في زمانه والذين قاموا بالدعوة إلى الله وخدمة دينه بتعليم الناس الخير وتحذيرهم من الشر دون الحاجة إلى تأسيس مثل هذه الطريقة.

ولعله لاحظ إقبال الناس في عصره على العلم مع التهاون وعدم الاهتمام بالعمل فاجتهد رحمه الله لتربيتهم على العمل بما علموه ورأى أن ذلك لا يتحقق إلاَّ من خلال طريقة تنتظم طلابه وأتباعه ليتسنى له تربيتهم على الزهد والتواضع ونحو ذلك من الأخلاق الإسلامية.

ورغم تقدم ظهور التصوف في الأمة إلاَّ أنه لم يظهر في شكل منظم تحت طريقة واحدة إلاَّ في عهد الشيخ عبدالقادر الجيلاني.

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٣).

والمتتبع لظهور الطرق الأخرى يرى أنها جميعها إنما ظهرت بعد الشيخ عبدالقادر الجيلاني.

والطريقة القادرية لها جانبان:

الأول: جانب نظري يؤكد فيه الشيخ عبدالقادر على الإتباع وعدم الابتداع ويوصي فيه أتباعه بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة.

والثاني: جانب عملي تظهر عليه ملامح الابتداع والانحراف عن الكتاب والسنة. وهذا ما سنوضحه في المبحث الثاني والثالث الآتيين:

المبحث الثاني

الجانب النظري للطريقة القادرية

الجانب النظري هو عبارة عن التوجيهات والوصايا التي وصَّىٰ بها الشيخ عبدالقادر الجيلاني أتباعه والتي يظهر فيها الحرص على الاتباع والتمسك بالكتاب والسنة والالتزام بالأخلاق الحميدة.

والمطلع على هذا الجانب يجزم بأن قائلها لا يمكن أن يضع أوراداً أو أذكاراً أو عبادات لم ترد في الكتاب والسنة ثم يأمر أتباعه بالالتزام بها، وفيما يلي عرض لأبرز معالم الجانب النظري لهذه الطريقة:

أولاً: التأكيد على التمسك بالكتاب والسنة يقول رحمه الله وهو يوجِّه وصيته إلى ولده عبدالرزاق:

«أوصيك بتقوى الله وطاعته ولزوم الشرع وحفظ حدوده، وتعلم ياولدي وفقنا الله وإياك والمسلمين أن طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصدور وسخاء اليد وبذل الندى وكف الجفا وحمل الأذى والصفح عن عثرات الإخوان»[(١)].

ويقول في موضع آخر:

«أدخل الظلمة بالمصباح وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فإن خطر خاطر[(٢)] أو جدَّ........................

---

(١) الفيوضات الربانية/ جمع وترتيب إسماعيل القادري (٣٩).

(٢) الخاطر ما يرد على القلب من الخطاب وهو أربعة أقسام: رباني وهو أول الخواطر ولا يخطىء أبداً. وملكي: وهو الباعث على مندوب أو مفروض. ونفساني: وهو =

إلهام[١] فاعرضه على الكتاب والسنة فإن وجدت فيهما تحريم ذلك مثل أن تلهم الزنا والرياء ومخالطة أهل الفسق والفجور وغير ذلك من المعاصي فادفعه عنك واهجره ولا تقبله ولا تعمل به واقطع بأنه من الشيطان اللعين»[٢].

وكأنه ـ رحمه الله ـ يبطل ما شاع عند المتصوفة من أن الكشف والإلهام والخاطر يمكن التعبد به أو تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرَّم بموجبه كما يدعي ذلك ابن عربي في فتوحاته بقوله:

«واعلم أن جميع ما أكتبه من تأليفي ليس هو عن روية وفكر وإنما هو عن نفث في روعي على يد ملك الإلهام»[٣].

ومن تركيز الشيخ الجيلاني على أهمية التمسك بالكتاب والسنة أن جعلهما المقياس في ربط العلاقات الشخصية بالآخرين بقوله:

«إذا وجدت في نفسك بغض شخص أو حبه فاعرضه على الكتاب والسنة ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله»[٤].

ثانياً: خلو طريقته من الأفكار والفلسفات التي كانت سائدة في عصره نتيجة ترجمة المعارف اليونانية وتأثيرها على العقول والأفهام، حتى وقع في حبائلها كثير من المتصوفة فاستخدموا ألفاظها

= ما فيه خط النفس ويسمى هاجساً. وشيطاني: وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق. التعريفات للجرجاني (١٢٩).

(١) الإلهام: ما وقع في القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة وهو ليس بحجة عند العلماء إلاّ عند الصوفيين.
المرجع السابق (٥١).

(٢) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة العاشرة (ص٢١).

(٣) الفتوحات المكية لابن عربي (١/١٣٦).

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني (١/١٠٨).

ومصطلحاتها مثل الهيولي[١] والعرض[٢] والجوهر[٣].

ثالثاً: تركيزه على الاهتمام بالجوانب العملية وتجنب الإغراق في الأمور النظرية والمقدمات الجدلية العقيمة دليل ذلك ما طبقه في حياته وما ربَّى عليه أتباعه وما وضعه من أصول لطريقته التي تعتمد على سبعة أصول هي:

«المجاهدة، التوكل، حسن الخلق، الشكر، الصدق، الرضا، الصبر»[٤].

وقد تناولت هذه الأصول بالتفصيل في مبحث المقامات والأحوال.

رابعاً: وضعه لمجموعة من الآداب والتعاليم التي يجب أن يتعامل بها المنتسب لطريقته سواء مع النفس أو مع الشيخ أو مع الناس مما سنخصه بالحديث مفصلاً في الفصل القادم بإذن الله تعالى.

خامساً: تأكيده على وجوب تعظيم أوامر الله سبحانه وامتثالها

---

(١) الهيولي: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وهو جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية.
التعريفات للجرجاني (٣٢١).

(٢) العرض الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به كاللون الذي يحتاج في وجوده إلى جسم يحل به ويقوم به.
المصدر السابق (١٩٢).

(٣) الجوهر ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع وهو مختصر في خمسة أشياء هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل.
المصدر السابق (١٠٨).

(٤) الغنية للجيلاني (٢/ ١٨٢).

والبعد عن نواهيه واجتنابها والرضا بأقدار الله والاستسلام لها. يقول ـ رحمه الله ـ:

«لابد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء أمر يمتثله ونهي يجتنبه وقدر يرضى به، فأقل حالة المؤمن لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة فينبغي أن يلزم همها قلبه، ويحدث بها نفسه ويؤاخذ الجوارح بها في سائر أحواله»(١).

وقد شرح شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كلام الشيخ عبدالقادر هذا واستحسنه بقوله:

«هذا كلام شريف جامع يحتاج إليه كل أحد، وهو تفصيل لما يحتاج إليه العبد وهي مطابقة لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٠﴾(٢) ولقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾(٣) ولقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٨٦﴾(٤).

فإن التقوى تتضمن فعل المأمور وترك المحظور والصبر يتضمن الصبر على المقدور، فالثلاثة ترجع إلى هذين الأصلين، والثلاثة في الحقيقة ترجع إلى امتثال الأمر وهو طاعة الله ورسوله.

فحقيقة الأمر أن كل عبد فإنه محتاج في كل وقت إلى طاعة الله ورسوله وهو أن يفعل في ذلك الوقت ما أمر به في ذلك الوقت وطاعة الله ورسوله هي عبادة الله التي خلق لها الجن والإنس كما قال

---

(١) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الأولى (ص٦).
(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝﴾[٢] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝﴾[٣]. والرسل كلهم أمروا قومهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝﴾[٤] وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ۝﴾[٥] ثم مضى ـ رحمه الله ـ في توجيه كلام الشيخ عبدالقادر الجيلاني وشرح مراده من تلك العبارات»[٦].

هذه هي أهم الأسس التي أوصىٰ بها الشيخ عبدالقادر وأتباعه المنتسبين لطريقته.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١.
(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٥) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.
(٦) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/٤٥٦).

المبحث الثالث

الجانب العملي للطريقةالقادرية

بعد أن عرضنا في المبحث السابق لمجموعة من الوصايا التي وردت عن الشيخ عبدالقادر التي يوصي فيها بمتابعة الكتاب والسنة نورد هنا الجانب الثاني والذي يمثل الجانب العملي الذي ابتدعه أو أحدثه أتباعه من بعده ثم نسبوه إليه.

أولاً : الخلوة :

تعتبر الخلوة عند الصوفية من المستلزمات الروحية للسالك في الطريق الصوفي كما يعتقدون أنها تدعيم لصدق التوبة وتثبيت للإخلاص وهي أفضل اللحظات التي يقضيها الإنسان مع ربه عز وجل وتهدف الخلوة عندهم إلى معرفة مدى استعداد الشخص للانتقال إلى المقامات والأحوال الأخرى(١).

وقد مرَّ الشيخ عبدالقادر الجيلاني في بداية تصوفه بهذه المرحلة حيث يذكر الذهبي في ترجمته لسيرة الشيخ عبدالقادر أنه لازم الخلوة والرياضة والمجاهدة والسياحة والمقام في الخراب والصحراء(٢).

وجاء أتباعه من بعده ليضيفوا على الخلوة صفة السنية وأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يمارسونها تقرباً إلى الله تعالى وأن الاعتكاف الثابت عن النبي ﷺ يعتبر دليلاً على مشروعيتها

(١) انظر معجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن شرقاوي (١٣٠).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤٤٤).

ووضعوا آداباً خاصة لها وقالوا إنها تكون في مكان على قدر القامة[١] لا منفذ فيه ولا يتسع لغير المختلي[٢] ولا يعلم بمكانه أحد ولا يخرج منه إلاَّ للحاجة الإنسانية وما لابد له منه وأن يراعي فيها من الآداب ما يراعى في المسجد من الطهارة والسكينة والاشتغال بالذكر واستحضار صورة الشيخ وروحانيته وطرد الأفكار والخواطر»[٣].

وقد استدلوا على الخلوة بأنها من سنن الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم كما في قصة موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾[٤].

قال القرطبي: «وبهذا استدل علماء الصوفية على الوصال وأن أفضله أربعون يوماً»[٥].

كما استدلوا بفعل النبي ﷺ قبل البعثة أنه كان يختلي في غار حراء فقد جاء في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: أول ما بدىء به ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلاَّ جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبِّب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاء

---

(١) أي ارتفاع الغرفة التي تكون فيها الخلوة على قدر قامة الرجل المتوسط الطول.
(٢) أي ضيقة لا تكاد تتسع إلاَّ لشخص واحد.
(٣) جنة المريد تأليف سيدي محمد الكتني القادري (ص١٣٦).
(٤) سورة البقرة، الآية: ٥١.
(٥) تفسير القرطبي (١/٣٩٦).

الحق وهو في غار حراء[١].

وللرد على هذا الاستدلال أقول:

أما فعل موسى عليه السلام فإنه كان خاصاً به فلم يشاركه فيه حتى أخوه هارون عليه السلام مع أنه كان نبياً كما لم يشاركه فيه كذلك أحد من قومه ولم يُشْرَعْ لأمته. ولم يُشرَعْ كذلك لنبينا محمد ﷺ فكيف يستدل به وهذا هو حاله.

قال الإمام القرطبي: «وواضح أن الأمر لموسى من الله تعالى بالمكث مدة أربعين ليلة عند الطور خاص به لما بيَّن القرآن الكريم والأخبار الصحيحة من إرادة الله تعالى لإكرامه وتكليمه وإعطائه الكتاب الذي فيه الحلال والحرام والشرائع الأخرى»[٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«وطائفة يجعلون الخلوة أربعين يوماً ويعظمون أمر الأربعينية ويحتجون فيها بأن الله تعالى واعد موسى عليه السلام ثلاثين ليلة وأتمها بعشر وقد روي أن موسى عليه السلام صامها وصام المسيح أيضاً أربعين يوماً لله تعالى وخوطب بعدها فيقولون يحصل بعدها الخطاب والتنزل كما يقولون في غار حراء حصل بعده نزول الوحي وهذا أيضاً غلط فإن هذه ليست من شريعة محمد ﷺ بل شرعت لموسى عليه السلام كما شرع له السبت والمسلمون لا يسبتون وكما حرم في شرعه أشياء لم تحرم في شرع محمد ﷺ فهذا تمسك بشرع منسوخ وذاك تمسك بما كان قبل النبوة وقد جُرِّب أن من سلك هذه العبادات البدعية أتته الشياطين وحصل له تنزل شيطاني وخطاب

(١) رواه البخاري ح (٣). ومسلم ح (١٦٠).
(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٢٧٤).

شيطاني وبعضهم يطير به شيطانه وأعرف من هؤلاء عدداً طلبوا أن يحصل لهم من جنس ما حصل للأنبياء من التنزل فنزلت عليهم الشياطين لأنهم خرجوا عن شريعة محمد ﷺ التي أمروا بها»[١].

أما الاستدلال بتعبد النبي ﷺ قبل البعثة فمن أعجب الأدلة. إذ أن النبي ﷺ لم يفعل ذلك بتشريع من الله عز وجل، ولم يتعبدنا الله بأفعاله قبل البعثة بل هو ﷺ لم يَعُدْ إلى مثل ذلك بعد البعثة فكيف يستجيز أحد أن يتعبد به من تلقاء نفسه.

وأما بعد أن أكرمه الله عز وجل بالإسلام فقد كانت توجيهاته وأوامره ﷺ تخالف تلك العادة التي عاشها قبل الإسلام.

ومن ذلك نهيه ﷺ عن الوحدة والانفراد لماكشفه الله عز وجل له من خطورتها على الإنسان.

قال ﷺ: **«لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده»**[٢]. وهذا الحديث وإن كان في النهي عن السفر دون رفيق إلاَّ أن معناه يشمل الخلوة أيضاً.

وقد بوّب الإمام النووي في رياض الصالحين باباً في فضل الخلطة فقال:

«باب فضل الاختلاط بالناس وحضور جمعهم وجماعتهم ومشاهد الخير ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضهم وحضور جنائزهم. ومواساة محتاجهم وإرشاد جاهلهم وغير ذلك من مصالحهم، لمن قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقمع

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٤/٢٤٨).
(٢) رواه البخاري ح (٢٩٩٨).

نفسه عن الإيذاء وصبر على الأذى».

ثم قال ـ رحمه الله ـ:

«واعلم أن الاختلاط بالناس على الوجه الذي ذكرته هو المختار الذي كان عليه رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وكذلك الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين وأخيارهم وهو مذهب أكثر التابعين ومن بعدهم وبه قال الشافعي وأحمد وأكثر الفقهاء ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[1] والآيات في معنى ما ذكرته كثيرة معلومة»[2].

وقد رد شيخ الإسلام على استدلالهم بفعل النبي ﷺ قبل البعثة فقال: «وأما الخلوات فبعضهم يحتج فيها بتحنثه بغار حراء قبل الوحي وهذا خطأ فإن ما فعله قبل النبوة إن كان قد شرعه بعد النبوة فنحن مأمورون باتباعه فيه وإلاَّ فلا وهو من حين نبأه الله تعالى لم يصعد بعد ذلك إلى غار حراء ولا خلفاؤه الراشدون وقد أقام صلوات الله عليه بمكة قبل الهجرة بضع عشرة سنة ودخل مكة في عمرة القضاء وعام الفتح أقام بها قريباً من عشرين ليلة وأتاها في حجة الوداع وأقام بها أربع ليال وغار حراء قريب منه ولم يقصده»[3].

وأما استدلالهم باعتكاف النبي ﷺ فإنه صلوات الله وسلامه عليه شرع الاعتكاف لأمته ليحافظوا على العبادة ويتفرغوا لها وينقطعوا عن الشواغل والصوارف الأخرى، وذلك في بيوت الله عز

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) رياض الصالحين (٢٣٤).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٤/ ٢٤٧).

وجل التي أُقيمت للعبادة، ولم يشرعه لتضييع الجمع والجماعات وضياع الحقوق والواجبات كماهو الواقع في الخلوات الصوفية فقد كان يجتمع بالناس في حال الاعتكاف في حضور الجماعة والجمعة ومجالس الذكر. ولم يسمه ﷺ خلوة ولم يقل إنه لا يصح إلاَّ في مكان مظلم على طول قامة الرجل لا منفذ فيه وأنه مبني على الكتمان وأنه من الأسرار إلى غير ذلك من الشروط التي يشترطها المتصوفة في خلوتهم.

وأيضاً فقد ترتب على تلك الخلوات المبتدعة أنواع كثيرة من الشرور والمفاسد أهمها تضييع فرائض الجمع والجماعات والتعبد في أماكن لم يرد الدليل الشرعي بالتعبد فيها كالقبور والكهوف والصحاري.

ثانياً : الركعات القادرية :

وهي من أساسيات ورد القادرية وقد ورد فضلها والحث عليها عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني حيث عقد فصلاً بعنوان: «فصل في فضل الصلاة بين العشائين» ثم ساق حديثاً ضعيفاً رواه الترمذي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى ست ركعات بعد المغرب لم يتكلم بينهن عدلن بعبادة اثنتي عشرة سنة»**.

وهذا الحديث رواه الترمذي ح (١٣٦٤) وابن ماجة ح(٣٩٩). وقال عنه الألباني: ضعيف جدًّا ح (٥٦٦١) ضعيف الجامع للسيوطي. وعلى هذا فلا وجه بالاستدلال به على مشروعية تلك الصلاة مادام على هذه الدرجة من الضعف.

ومعلوم أن الشيخ عبدالقادر رحمه الله ليس ممن تصدى لنقل السنة وتحرَّى الصحة في كتبه بل قد توسَّع كثيراً غفر الله له حتى نقل

الموضوعات وعمل بها ظناً منه أنها صحيحة، وقد بيَّنت ذلك بالتفصيل في فصل البدعة من الباب الثاني.

لكن أصحابه الذين جاءوا من بعده اعتمدوا هذه الصلاة واعتبروها واجبة كالفريضة ينبغي لمن فاتته أن يقضيها كما يقضي الفريضة.

يقول الشيخ المختار أحمد الكتني القادري[1] وقد سُئِلَ عن حكم هذه الركعات:

«وأما قولك: هل لمن عدم الماء وكان حاضراً صحيحاً التيمم لركعات الورد كالفرائض؟ فالجواب: أن حكم أوراد السلف حكم الفرائض لأنها فرائض بالالتزام والعهود والنذور.

وأما قولك: هل على من فاته وقت الورد إعادته أم لا؟ فالجواب: أنه يجب عليه إعادته إذ حكمه حكم الفريضة»[2].

والقول بوجوب قضاء تلك الركعات لم أجده في شيء من كتب الشيخ الجيلاني وإنما أحدثه أتباعه من بعده ثم جعلوه ورداً رئيسياً من أوراد طريقتهم.

ثالثاً: حزب المخ:

هذا حزب نسبه إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني مؤلف كتاب الأوراد القادرية وزعم أنه ورد عن الشيخ عبدالقادر وهو:

---

(١) المختار أحمد الكتني القادري ولد سنة ١١٤٢ في مدينة تمبكتو في مالي وطلب العلم حتى برع فيه وكان من مشايخ طريقة القادرية بموريتانيا، توفي سنة ١٢٢٦هـ. القادرية في موريتانيا، رسالة ماجستير لمحمد الداه أحمد (ص٢١٩).

(٢) الكوكب الوقاد، المختار الكتني (ص١٢٧).

«بسم الله الرحمن اللهم محاً محاً محاً وحا بحا حم لا ينصرون ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1] **كهيعص حم عسق لا يصدعون عنها ولا ينزفون يارب ثلاثاً ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم».**

وهذا الحزب من الأوراد الرئيسية عند القادريين يزعمون «أن من قرأه صباحاً ومساءاً ثلاث مرات لا يضره شيء بإذن الله تعالى»[2].

هذا الورد لم يرد في شيء من كتب الشيخ عبدالقادر الجيلاني وإنما نسبه إليه صاحب الأوراد القادرية.

وأنا على يقين أن ذلك لا يصح عنه رحمه الله.

ثم إن ألفاظ هذا الورد أشبه بالطلاسم منه بالذكر والأذكار التي لا يعرف معناها لا يصح أن يطلق عليها أذكاراً.

وأيضاً فإن دعوى الثواب الحاصل لمن قرأ هذا الورد من الافتراء على الله عز وجل، إذ لا يعرف مقادير الأعمال وثوابها إلاَّ الله تعالى وتقدير أي ثواب لأي عمل لم يرد به الشرع من الكذب والافتراء.

---

(١) سورة يس، الآية: ٩.

(٢) الأوراد القادرية (ص٢١).

رابعاً : صلوات الكبريت الأحمر :

أورد صاحب الأوراد القادرية ذكراً يشتمل على الصلاة على النبي ﷺ سماها صلوات الكبريت الأحمر وقدنسبها إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني وهي:

«اللهم اجعل أفضل صلواتك أبداً وأنمى بركاتك سرمداً وأزكى تحياتك فضلاً وعدداً على أشرف الخلائق الإنسانية ومعدن الدقائق الإيمانية وطور التجليات الإحسانية ومهبط الأسرار الرحمانية وعروس المملكة الربانية شاهد أسرار الأزل ومشاهد أنوار السوابق الأُوَلْ وترجمان لسان القدم ومنبع العلم والحِلم والحكِم مظهر سر الوجود الجزئي والكلي وإنسان عين الوجود العلوي والسفلي روح جسد الكونين وعين حياة الدارين، الجوهر الشريف الأبدي والنور القديم السرمدي المحمود في الإيجاد والوجود الفاتح لكل شاهد ومشهود نور كل شيء وهداه، سر كل سر وسناه الذي شغفت منه الأسرار وانفلقت منه الأنوار»[1] .

هذا الورد من الأوراد المنكرة الذي لم أعثر عليه في شيء من كتب الشيخ عبدالقادر وبالتالي لا يمكن قبول نسبته إليه وذلك لاشتماله على ألفاظ ومعان باطلة نوجز الكلام عليها فيما يلي:

١ـ توجد عبارات غامضة لا يعرف المراد منها مثل قوله: «معدن الدقائق الإيمانية» و«طور التجليات الإحسانية» و«مشاهد أنوار السوابق الأُوَلْ».

٢ـ عبارات أهل وحدة الوجود مثل: «مظهر سر الوجود الجزئي والكلي» و«إنسان عين الوجود العلوي والسفلي» و«روح جسد

---

(١) الأوراد القادرية ص٢٦ .

الكونين» و«عين حياة الدارين».

٣ـ عبارات فاسقة مثل: «عروس المملكة الربانية» فهل يليق أن يسمى سيد البشر ﷺ «عروس المملكة الربانية».

٤ـ دعاوى كاذبة مثل: «شاهد أسرار الأزل» و«الجوهر الشريف الأبدي» و«النور القديم السرمدي».

٥ـ إطلاق أوصاف الربوبية عليه ﷺ مثل: «الفاتح لكل شاهد ومشهود» و«نور كل شيء» و«هداه سر كل سر» و«سناه الذي شغفت منه الأسرار وانغلقت منه الأنوار».

أما الصلاة على نبينا ﷺ فقد أخبرنا هو صلوات الله وسلامه عليه كيف نصلي عليه وإحداث صلاة أخرى بدلاً عنها أو معها بدعة وضلالة.

فقد ورد في الصحيحين عن عبدالرحمن بن أبي ليلى[1] قال: لقيني كعب بن عجرة[2] فقال: ألاَ أهدي إليك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى. فأهدها لي. فقال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يارسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم؟ قال: **«قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**

(١) عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري شهد أحداً مع النبي ﷺ ومعه ولده عبدالرحمن وقد اشتبه اسمه باسم ولده عند بعض النسابة.
الإصابة لابن حجر (٤/ ١٨١).

(٢) كعب بن عجرة الأنصاري: من أهل بيعة الرضوان، روى عدة أحاديث ومات سنة ٥٢هـ.
سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٥٢).

إنك حميد مجيد»[١].

وتتأكد مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في المواطن التالية:

- في الصلاة من التشهد الأخير وقبل السلام.
- قبل الدعاء وآخره.
- عند ذكر اسمه الشريف ﷺ.
- يوم الجمعة وليلتها.

خامساً: حزب الألِف القائم:

هذا الدعاء نسبه صاحب كتاب الأوراد القادرية إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني ونصه:

«اللهم إني أسألك بالألِف القائم الذي ليس مثله سابق وباللامين اللذين لمعت بهما الأسرار وجعلتهما بين العقل والروح وأخذت عليهما العهد الواثق، وبالهاء المحيط بالعلوم الحوامد المتحرك الصوامت والنواطق وأسألك الوصل بالسر الذي تذهل منه العقول فهو من قربه ذُهِلَ أيتنوخ أملوخ أملوخ مهياش مهياش إلخ...»[٢].

هذا شبيه بالدعاء المتقدم في ورد الصلاة على النبي ﷺ فقد تضمن ألفاظاً غريبة لا ندري ما معناها كما أنه تضمن دعاوي باطلة في الحروف الهجائية وألفاظاً لا معنى لها.

ولا ندري لماذا تترك الأذكار المشروعة على لسان سيد البشر ﷺ إلى أمثال هذه الأذكار المبتدعة.

ولما سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية عن دعاءٍ مثل هذا بل لا مقارنة بينه وبين هذا من حيث الألفاظ والمعاني وهو قول الرجل في

---

(١) رواه البخاري ح (٣٣٧٠). ومسلم ح (٤٠٦).

(٢) الأوراد القادرية (ص٧٨).

جوفه إذا صلى: بسم الله بابنا تبارك حيطاننا يس سقفنا فأجاب:

«هذا الدعاء المسئول عنه ليس بمأثور والمشروع للإنسان أن يدعو بالأدعية المأثورة فإن الدعاء من أفضل العبادات وقد نهانا الله عن الاعتداء فيه فينبغي لنا أن نتبع فيه ما شُرع وسن كما أنه ينبغي لنا ذلك في غيره من العبادات والذي يعدل عن الدعاء المشروع إلى غيره وإن كان من أحزاب بعض المشايخ الأحسن له ألاّ يفوته الأكمل والأفضل وهي الأدعية النبوية فإنها أفضل وأكمل باتفاق المسلمين من الأدعية التي ليست كذلك وإن قالها بعض الشيوخ فكيف يكون في عين الأدعية ما هو خطأ أو إثم أو غير ذلك ومن أشد الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺ، وإن كان حزباً لبعض المشايخ ويدع الأحزاب التي كان يقولها سيد بني آدم وإمام الخلق وحجة الله على عباده والله أعلم»[١].

سادساً: ذكر الله عز وجل بلفظ الجلالة المفرد: «الله» أو بالضمير «هو»:

والطريقة القادرية كغيرها من الطرق الصوفية يمارسون ذكر الله عز وجل بصيغة الإفراد للفظ الجلالة، وذلك بتكرارها أو بتكرار الضمير: «هو». قال صاحب «الضياء المستبين: «إن الله تعالى أمر بذكره بهذا اللفظ الله ولم يقيده بأمر زائد على هذا اللفظ لأنه ذكر الخاصة من عباده الذين يحفظ بهم عالم الدنيا»[٢].

وهذه الصيغة كذلك من الأذكار المبتدعة التي أحدثها أتباعه في الطريقة فإنه لم ينقل عنه ـ رحمه الله ـ أنه كان يذكر الله عز وجل بها أو وصى بها. ولم ينقل عن أحد من الصحابة أو التابعين أنه فعل

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢/ ٥٢٥).

(٢) الضياء المستبين لمحمد فاضل الحبيب (ص١٥٥).

ذلك ممن هم الخاصة من عباد الله الذين حفظ الله بهم دينه وأعلى بهم كلمته. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«الاسم المفرد لا يكون كلاماً مفيداً عند أحد من أهل الأرض بل ولا أهل السماء، وإن كان وحده كان معه غيره مضمراً، أو كان المقصود به تنبيهاً، وإشارة كما يقصد بالأصوات التي لم توضع لمعنى لا أنه تقصد به المعاني التي تقصد بالكلام ولهذا عدَّ الناس من البدع ما يفعله بعض النساك من ذكر اسم الله وحده بدون تأليف كلام فإن النبي ﷺ قال: **«أفضل الذكر لا إله إلاَّ الله وأفضل الدعاء الحمد لله والله أكبر»**[١]، وقال: **«أفضل الدعاء ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»**[٢]. وقد تواتر عن النبي ﷺ أنه كان يعلم أمته ذكر الله تعالى بالجمل التامة مثل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاَّ الله والله أكبر وقال: **«أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهي من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاَّ الله والله أكبر»**[٣].

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال: **«لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاَّ الله والله أكبر أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس**

---

(١) رواه الترمذي في الدعوات ح (٣٣٨). ورواه ابن ماجة ح (٣٨٠٠). ورواه ابن حبان ح (٢٣٢٦). والحاكم (٤٩٨١). وحسّنه الترمذي والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح (١٤٩٧).

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ ح (٤٩٩). وهو مرسل صحيح الإسناد والترمذي ح (٣٥٧٩) وفي سنده محمد بن أبي حميد وهو ضعيف لكن رواية مالك ترفعه إلى درجة الحسن كما قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح (١٥٠٣) وقال عنه ابن عبدالبر: لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث كما رأيت ولا أحفظه بهذا الإسناد مسنداً من وجه يحتج بمثله. (التمهيد ٦/ ٣٩).

(٣) رواه مسلم ح (٢١٣٧).

وغربت»[١]، وقال: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلاَّ الله دخل الجنة»[٢] ومثال ذلك. فظنَّ طائفة من الناس أن ذكر الاسم المفرد مشروع بل ظنه بعضهم أفضل في حق الخاصة من قول لا إله إلاَّ الله ونحوها»[٣].

ويقول أيضاً في موضع أخر: «ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضمر فهم ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝﴾[٤] من أبين غلط هؤلاء فإن الاسم الله مذكور في الأمر بجواب الاستفهام في الآية قبله وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝﴾ أي الله هو الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فالاسم (الله) مبتدأ خبره قد دلَّ عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك يقال من جاءك فتقول: زيد.

وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله ﷺ ولا يعطي بنفسه معرفة مقيدة ولا حالاً نافعاً وإنما يعطيه تصوراً مطلقاً لا يحكم عليه

---

(١) رواه مسلم ح (٢٦٩٦).

(٢) رواه أبوداود ح (٣١١٦) وأحمد في المسند (٥/٢٣٣). والحاكم في المستدرك (١/٣٥١). وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) الرد على المنطقيين لابن تيمية (٣٥).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

بنفي ولا إثبات.

فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه وإلا لم يكن فيه فائدة والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره.

وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر بالاسم المفرد وبـ«هو» في فنون من الإلحاد وأنواع من الاتحاد».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

«والذكر بالاسم المضمر أو المفرد أبعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب إلى ضلال الشيطان فإن من قال: يا هو يا هو أو هو هو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائداً إلاَّ إلى مايصوره قلبه والقلب قد يهتدي وقد يضل».

ثم يختم بقوله:

«والمقصود هنا أن المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة وهو المسمى بالكلام والواحد منه بالكلمة وهو الذي ينفع القلوب ويحصل به الثواب والأجر، ويجذب القلوب إلى الله ومعرفته ومحبته وخشيته وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية.

وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات وذريعة إلى تصورات وأحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد»[1].

وجملة القول أن التعبد بالذكر بالاسم أو المضمر لا دليل عليه من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال علماء الأمة بل عَدُّوه كما تقدم من البدع والضلالات.

---

(١) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٧٣ـ٨٢).

سابعاً : المحافظة على الصلوات المخصصة لأيام وليالي الأسبوع وشهر رجب وشعبان وغيرها مما ذكرناه بالتفصيل في الفصل الخامس من الباب الثاني الخاص بالبدعة.

وأخيراً هذه هي الطريقة القادرية بجانبيها النظري والعملي وقد رأينا كيف أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني قد أكدَّ على ضرورة التمسك بالكتاب والسنة ثم كيف ابتعد أتباعه عن هذا المنهج ولم يتمسكوا ويعتمدوا في طريقتهم على شيء من الكتاب والسنة مما يجعل الانتساب إليه شيء غير مقبول. والله أعلم.

الخاتمة

أحمد الله حمداً كثيراً على ما منَّ به عليَّ من إتمام هذا البحث وجمع شتات قضاياه ومسائله والتنقيب عنها في بطون الكتب مع التوضيح والمقارنة والعرض والنقد.

وقد كان من توفيق الله أن توصلت من خلال هذه الدراسة إلى بعض النتائج التي تبين حقيقة الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ وتتلخص فيما يلي:

أولاً: أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني سلفي العقيدة على منهج أهل السنة والجماعة في جميع قضايا العقيدة كمسائل الإيمان والتوحيد والنبوات واليوم الآخر كما أنه يقرر وجوب طاعة ولاة الأمور وعدم جواز الخروج عليهم لما في ذلك من المصلحة.

ثانياً: أنه من مشايخ الصوفية في مراحلها الأولى وبمفهومها المعتدل والأقرب إلى السنة والتي تعتمد في الغالب على الكتاب والسنة مع التركيز على أعمال القلوب.

ثالثا: أنه ـ رحمه الله ـ وبالنظر إلى تلقيه علوم التصوف من مشايخ يفتقرون إلى العلم المعتمد على الكتاب والسنة أمثال شيخه الدباس الذي كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب فقد وقع ـ رحمه الله ـ في بعض الشطحات ومارس بعض البدع في العبادات ولكن هذه الهفوات مغمورة في بحر حسناته، والعصمة ليست إلاَّ للأنبياء

وغيرهم معرض للخطأ وإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث.

رابعاً: أن معظم مانسب إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني من الكرامات مبالغ فيه وبعضها غير صحيح، وما يمكن قبوله منها فهو إما من باب الفراسة أو من باب الكرامات التي يقول أهل السنة والجماعة بجواز وقوعها بالضوابط الشرعية الموضحة في ثنايا الرسالة.

خامساً: أن كلمة التصوف مجهولة الاشتقاق لم يتفق على أصل لها ولا مصدر حتى عند المتصوفة أنفسهم.

وأيضاً فإن المنهج الصوفي كما رأينا مملوء بالضلالات والانحرافات وما كان فيه من الفضائل والمحاسن فهي أصلاً موجودة في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله ﷺ.

لذا فإن الأبرأ للذمة والأدرأ للمفاسد والابتداع والأبعد عن الفتنة والافتراق نبذ هذا المسمى اسماً ورسماً، إذ لو كان معتمداً على الكتاب والسنة فما وجه استقلاليته بهذا الاسم الذي لا يعرف حتى أكابر القوم من أين أتى وما مصدره.

وإذا كنا قد عجزنا عن محاكمة التاريخ الذي اصطلح عبر قرون عديدة على استعمال هذه اللفظة وكنا عاجزين أيضاً عن إيقاف استمرار استخدام هذا المصطلح في المستقبل فلن نكون عاجزين عن الصدع بالحق والدعوة إلى نبذ هذا الاسم وما انطوى عليه من الانحرافات.

ولن نكون مخطئين حينما ندعوا الأمة إلى جمع كلمتها وتقوية وحدتها بصدق عودتها إلى كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ وترك الفرقة

والخلاف والتسمي بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان مما لا يصر عليه ولا يركن إليه إلاَّ جاهل أو صاحب هوى.

هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي والله أسأل أن يعفو عن زللي وأن يغفر لي خطئي وأن ينفعني بما كتبت يوم فقري وحاجتي.

ورحم الله الشيخ عبدالقادر الجيلاني ورفع درجته في الخالدين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

الفهـــارس

١- فهرس الآيات الكريمة

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

٢ـ فهرس الأحاديث النبوية

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

٣ـ فهرس تراجم الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

٤ ـ فهرس الفرق

هـ فهرس المصادر والمراجع

حرف الألف

١ـ الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق بشير عون، الطبعة الثالثة، دمشق، دار البيان ١٤١١ هـ.
٢ـ إبطال التأويلات لأخبار الصفات، أبو يعلى الفراء، الطبعة الأولى، مكتبة الإمام الذهبي ١٤١٠ هـ.
٣ـ اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، مطابع الفرزدق التجارية ١٤٠٨ هـ.
٤ـ أحكام أهل الملل، أحمد بن محمد الخلال، تحقيق سيد كردي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٤ هـ.
٥ـ أدب الطلب ومنتهى الأرب، الشوكاني، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعي، الرياض.
٦ـ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، الجويني، تحقيق أسعد تميم، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤٠٥ هـ.
٧ـ الأسماء والصفات، للبيهقي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥ هـ.
٨ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩ـ أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠ هـ.
١٠ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض ١٤٠٣ هـ.
١١ـ الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة التاسعة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠ م.
١٢ـ أعلام السنة المنشورة، حافظ الحكمي، من مطبوعات دار الإفتاء

١٣٩٩ هـ.
١٣ـ الاعتصام، إبراهم بن موسى الشاطبي، تحقيق سليم الهلالي، الطبعة الأولى، دار ابن عفان، الخبر ١٤١٢ هـ.
١٤ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ترتيب محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٤ هـ.
١٥ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨١ هـ.
١٦ـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تحقيق عصام فارس ومحمد الزغلي.
١٧ـ الأوراد القادرية، جمع محمد سالم بواب، الطبعة الثانية، دار الألباب، دمشق ١٤١٣ هـ.
١٨ـ أهوال القبور، ابن رجب الحنبلي، تحقيق بشير عون، الطبعة الأولى، دار البيان، دمشق ١٤١٢ هـ.
١٩ـ الإيمان، ابن منده، تحقيق د/علي ناصر فقيهي، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧ هـ.

حرف الباء

٢٠ـ بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، علي بن يوسف الشطنوفي، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٢١ـ البداية والنهاية، الحافظ بن كثير، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، بيروت ١٤٠٨ هـ.

حرف التاء

٢٢ـ تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٣ـ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٤ـ تاريخ المعتزلة والجهمية، جمال الدين القاسمي، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ.
٢٥ـ تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٨ هـ.
٢٦ـ التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢ هـ.
٢٧ـ التخويف من النار، ابن رجب الحنبلي، تحقيق بشير عون، الطبعة الثالثة، دار البيان، بيروت ١٤١٣ هـ.
٢٨ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي، دار الكتب العلمية ١٤٠٧ هـ.
٢٩ـ تذكرة الحفاظ، الإمام الذهبي، دار إحياء التراث، بيروت.
٣٠ـ التصوف المقارن، محمد غلاب، مكتبة نهضة مصر، الفجالة.
٣١ـ تعظيم قدر الصلاة، المروزي، تحقيق د/ عبد الرحمن عبد الجبار، مكتبة الدار، المدينة المنورة ١٤٠٦ هـ.
٣٢ـ التعريفات، الجرجاني، تحقيق إبراهيم الإبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٣ هـ.
٣٣ـ التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٥٢ هـ.
٣٤ـ تفسير القرآن العظيم، الحافظ بن كثير، مكتبة دار التراث، القاهرة.
٣٥ـ التفسير الكبير، ابن تيمية، تحقيق د/ عبدالرحمن عميرة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٦ـ التفسير الكبير، الفخر الرازي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث.
٣٧ـ تقريب التهذيب، ابن حجر، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق ١٤٠٦ هـ.
٣٨ـ تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩ـ التمهيد، للباقلاني، تحقيق المكارثي، المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٥٧ م.

٤٠ـ التمهيد، ابن عبد البر، تحقيق مصطفى العلوي ومحمد البكري، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ.

٤١ـ تنزيه الشريعة، ابن عراق الكناني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩ هـ.

٤٢ـ التوحيد، ابن منده، تحقيق د. علي ناصر فقيهي، الطبعة الثانية، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ.

٤٣ـ التوحيد، ابن خزيمة، تعليق محمد الهراس، دار الجيل، بيروت ١٤٠٨ هـ.

٤٤ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر، دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد، الهند ١٣٢٥ هـ.

٤٥ـ تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله، المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٩٧ هـ.

حرف الجيم

٤٦ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت ١٤٠٨ هـ.

٤٧ـ جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٣٩٣ هـ.

٤٨ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥ هـ.

٤٩ـ الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، دائرة المعارف العثمانية، الهند ١٣٧٢ هـ.

٥٠ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٧ هـ.

٥١ـ جنة المريد، سيدي محمد الكتني، مخطوط بالآلة الكاتبة، القادرية في موريتانيا، رسالة ماجستير.

حرف الحاء

٥٢ـ الحجة في بيان المحجة، إسماعيل الأصبهاني، تحقيق د/ محمد ربيع المدخلي، الطبعة الأولى، دار الراية، الرياض ١٤١١ هـ.
٥٣ـ حادي الأرواح، ابن القيم، بيروت، دار الكتب العلمية.
٥٤ـ الحسبة، ابن تيمية، تحقيق صلاح عزام، الطبعة الأولى، دار الشعب، بيروت ١٩٧٦ م.
٥٥ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، بيروت، دار الكتب العلمية،

حرف الخاء

٥٦ـ خلق أفعال العباد، الإمام البخاري، تحقيق د/عبد الرحمن عميرة، الطبعة الثانية، دار عكاظ، جدة.

حرف الدال

٥٧ـ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق د/ رشاد محمد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠١ هـ.
٥٨ـ الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، الشوكاني، مكتبة الصحابة، الكويت.
٥٩ـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ.
٦٠ـ الدر المنثور، الإمام السيوطي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣ هـ.
٦١ـ دراسات في التصوف، إحسان إلـهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور.

حرف الذال

٦٢ـ ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، تصحيح محمد حامد فقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٢هـ.

حرف الراء

٦٣ـ رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، الطبعة الرابعة، دار القلم، الكويت ١٤٠٧ هـ.
٦٤ـ الرد على بشر المريسي، الإمام الدارمي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٥٨ هـ.
٦٥ـ الرد على الجهمية، الإمام الدارمي، ضمن عقائد السلف، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧١ م.
٦٦ـ الرد على المنطقيين، ابن تيمية، إدارة ترجمان السنة، لاهور ١٣٩٦ هـ.
٦٧ـ رسالة إلى أهل الثغر، أبي الحسن الأشعري، تحقيق عبد الله شاكر، الطبعة الأولى، مؤسسة علوم القرآن، دمشق ١٤٠٩ هـ.
٦٨ـ الرسالة القشيرية، القشيري، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود الشريف، دار الكتب الحديثة، مصر.
٦٩ـ روح المعاني، شهاب الدين الألوسي، مكتبة دار التراث، القاهرة.
٧٠ـ رياض الصالحين مع نزهة المتقين، الإمام النووي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥ هـ.

حرف الزاى

٧١ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢ هـ.

حرف السين

٧٢ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة، محد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨ هـ.
٧٣ـ السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق د/محمد سعيد القحطاني، الطبعة الثانية، رمادي للنشر، الدمام ١٤١٤ هـ.
٧٤ـ السنة، ابن أبي عاصم، تحقيق الألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٠ هـ.
٧٥ـ السنة، للخلال، تحقيق د/عطية الزهراني، الطبعة الأولى، دار الراية، الرياض ١٤١٠ هـ.
٧٦ـ سنن أبي داود، إعداد وتعليق عزت الدعاس، الطبعة الأولى دار الحديث، سورية ١٣٩٣ هـ.
٧٧ـ سنن الترمذي، تعليق إبراهم عطوة، الطبعة الأولى، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
٧٨ـ سنن الدارمي، تحقيق فؤاد زمرلي وخالد السبع، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، القاهرة ١٤٠٧ هـ.
٧٩ـ سنن ابن ماجة، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥ هـ.
٨٠ـ سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦ هـ.

حرف الشين

٨١ـ شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق أحمد الدقاق، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق ١٤٠٤ هـ.
٨٢ـ شذرات الذهب، بن العماد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٩ هـ.

٨٣ـ الشريعة، للآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣ هـ.
٨٤ـ شرح أصول أهل السنة والجماعة، اللالكائي، تحقيق د/ أحمد سعد حمدان، الطبعة الثالثة، دار طيبة، الرياض ١٤١٥ هـ.
٨٥ـ شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت.
٨٦ـ شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، تحقيق عبد الكريم عثمان، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٠٨ هـ.
٨٧ـ الشرح والإبانة، ابن بطة العكبري، تحقيق د. رضا نعسان، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ.
٨٨ـ شرح الطحاوية، ابن أبي العز، تحقيق د/ عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، الطبعة السادسة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤ هـ.
٨٩ـ شرح السنة، الإمام البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٠ هـ.
٩٠ـ شرح السنة، للبربهاري، تحقيق د/ محمد سعيد القحطاني، الطبعة الأولى، دار بن القيم، الدمام ١٤٠٨ هـ.
٩١ـ شرح حديث النزول، ابن تيمية، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت.
٩٢ـ شرح الفقه الأكبر، للملا علي قاري الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤ هـ.
٩٣ـ شفاء العليل، ابن القيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.

حرف الصاد

٩٤ـ الصحاح، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ.
٩٥ـ صحيح الجامع الصغير، للسيوطي، الطبعة الثانية، المكتب

الإسلامي، بيروت ١٤٠٦ هـ.
٩٦ـ صحيح الترمذي، للألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨ هـ.
٩٧ـ صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٢ هـ.
٩٨ـ الصفات، للدارقطني، تحقيق د/علي ناصر فقيهي. الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
٩٩ـ صفة الصفوة، ابن الجوزي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت ١٤١٢ هـ.
١٠٠ـ الصلة بين التصوف والتشيع، د/كامل شيبي، بيروت ١٩٨٢ م.
١٠١ـ الصواعق المرسلة، لابن القيم، تحقيق علي دخيل الله، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض ١٤٠٨ هـ.

حرف الضاد

١٠٢ـ ضعيف سنن بن ماجة، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
١٠٣ـ الضياء المستبين في كرامات محمد فاضل بن مامين، محمد فاضل ابن الحبيب، مخطوط خاص.

حرف الطاء

١٠٤ـ طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى، تحقيق محمد حامد الفقي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
١٠٥ـ طبقات بن سعد، دار صادر، بيروت.
١٠٦ـ الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
١٠٧ـ طريق الهجرتين، لابن القيم، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٧٥ هـ.

حرف العين

١٠٨ـ العبودية، لابن تيمية، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٥٩ هـ.

١٠٩ـ عقيدة السلف وأصحاب الحديث، إسماعيل الصابوني، تحقيق نبيل السبكي، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

١١٠ـ عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، الطبعة الخامسة، دار الكتب السلفية، القاهرة ١٤٠٥ هـ.

١١١ـ العلو للعلي الغفار، الإمام الذهبي، الطبعة الثانية، المكتبة السلفية، المدينة المنورة ١٣٨٨ هـ.

حرف الغين

١١٢ـ الغنية لطالبي طريق الحق، عبد القادر الجيلاني، دار الألباب، دمشق.

حرف الفاء

١١٣ـ فتاوى بن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، طبعة الرئاسة العامة للحرمين الشريفين.

١١٤ـ فتح الباري، بن حجر العسقلاني، تصحيح محب الدين الخطيب، الطبعة الثانية، دار الريان للتراث ١٤٠٩ هـ.

١١٥ـ فتح القدير، الشوكاني، الطبعة الثانية، مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٨٣ هـ.

١١٦ـ فتوح الغيب، عبد القادر الجيلاني، جمع محمد سالم بواب، الطبعة الثانية، دار الألباب، دمشق ١٤١٣ هـ.

١١٧ـ الفتح الرباني، عبد القادر الجيلاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٧٩ م.

١١٨ـ الفتوحات المكية، لابن عربي، دار صادر، بيروت.
١١٩ـ الفتوى الحموية، ابن تيمية، مطبعة المدني، القاهرة ١٤٠٣ هـ.
١٢٠ـ الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
١٢١ـ الفكر الصوفي، عبد الرحمن عبد الخالق، الطبعة الخامسة، دار الحرمين للطباعة، القاهرة ١٤١٤ هـ.
١٢٢ـ الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، جمع إسماعيل القادري، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.

حرف القاف

١٢٣ـ القاموس المحيط، الفيروزأبادي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧ هـ.
١٢٤ـ القادرية في موريتانيا، رسالة ماجستير، محمد الداه أحمد، جامعة أم القرى ١٤١٢ هـ.
١٢٥ـ قلادة الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، محمد يحيى التادفي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧٥ هـ.
١٢٦ـ قوت القلوب، لأبي طالب المكي، الطبعة الأولى، المطبعة المصرية، القاهرة ١٣٥١ هـ.

حرف الكاف

١٢٧ـ الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن الأثير، دار صادر، بيروت.
١٢٨ـ كرامات أولياء الله، للالكائي، تحقيق د/أحمد سعد حمدان، الطبعة الثانية، دار طيبة، الرياض ١٤١٥ هـ.
١٢٩ـ الكشاف، للزمخشري، ترتيب مصطفى حسين أحمد، الطبعة الثالثة، دار الريان للتراث، القاهرة ١٤٠٧ هـ.
١٣٠ـ الكوكب الوقاد، الشيخ سيدي المختار الكتني، مطبعة حجرية دكار

١٣٩٢ هـ.

حرف اللام

١٣١ـ لسان العرب، لابن منظور، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت ١٤١٠ هـ.
١٣٢ـ لطائف المعارف، لابن رجب، مطبعة دار الجيل، بيروت.
١٣٣ـ اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي، دار الكتب الحديثة، مصر ١٣٨٠ هـ.
١٣٤ـ لوامع الأنوار، للسفاريني، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١١ هـ.

حرف الميم

١٣٥ـ مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣ هـ.
١٣٦ـ مجمع الزوائد، للهيثمي، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٢ هـ.
١٣٧ـ المحلى، لابن حزم، مكتبة الجمهورية، القاهرة ١٣٨٧ هـ.
١٣٨ـ مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن قدامة المقدسي، مطبعة الحلبي وشركاه، القاهرة ١٤١٣ هـ.
١٣٩ـ مختار الصحاح، محمد الرازي، مكتبة لبنان ١٩٩٢ م.
١٤٠ـ مختصر الصواعق المرسلة، اختصره محمد الموصلي، دار الندوة، بيروت ١٤٠٥ هـ.
١٤١ـ مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٢ هـ.
١٤٢ـ مدارس بغداد في العصر العباسي، عماد عبد السلام رؤوف، بغداد ١٣٨٦ هـ.

١٤٣ـ المدرسة الشاذلية الحديثة، د/عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
١٤٤ـ مسائل الإمام أحمد، رواية عبد الله بن أحمد، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠١ هـ.
١٤٥ـ مسائل الإمام أحمد لابن هانيء، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت.
١٤٦ـ المسند، الإمام أحمد بن حمنبل، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥ هـ.
١٤٧ـ المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد، عبد الإله الأحمدي، الطبعة الأولى، دار طيبة ١٤١٢ هـ.
١٤٨ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٤٩ـ معارج القبول، حافظ الحكمي، الطبعة الأولى، دار بن القيم للنشر والتوزيع، الدمام ١٤١٠ هـ.
١٥٠ـ معالم السنن، الإمام الخطابي، دار الدعوة، تركيا ١٤٠١ هـ.
١٥١ـ معجم الطبراني الكبير، للطبراني، الطبعة الأولى، مطبعة الوطن، بغداد ١٤٠٠ هـ.
١٥٢ـ معجم ألفاظ الصوفية، د/حسن الشرقاوي، الطبعة الثانية، مؤسسة مختار، القاهرة ١٩٩٢ م.
١٥٣ـ معجم اصطلاحات الصوفية، عبد الرزاق الكاشاني، الطبعة الأولى، دار المنار، القاهرة ١٤١٣ هـ.
١٥٤ـ المعجم الوسيط، د/إبراهيم أنيس ورفاقه، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٩٢ هـ.
١٥٥ـ المغني، لابن قدامة، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٥٦ـ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصبهاني، دار المعرفة، بيروت.

١٥٧ـ مفتاح دار السعادة، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥٨ـ مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١١ هـ.
١٥٩ـ مقدمة ابن خلدون، دار المصحف بالقاهرة.
١٦٠ـ الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
١٦١ـ منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، د/ محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦ هـ.
١٦٢ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، مصورة عن طبعة حيدر أباد ١٣٥٧ هـ.
١٦٣ـ المواقف في علم الكلام، عبد الرحمن الأيجي، مطبعة عالم الكتب، بيروت.
١٦٤ـ الموضوعات، ابن الجوزي، الطبعة الثانية، مكتبة بن تيمية، القاهرة ١٤٠٧ هـ.
١٦٥ـ الموطأ، للإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

حرف النون

١٦٦ـ النبوات، لابن تيمية، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي ١٤٠٥ هـ.
١٦٧ـ النونية لابن القيم، شرح محمد خليل هراس، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥ هـ.
١٦٨ـ النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، دار الفكر، بيروت.
١٦٩ـ نيل الأوطار، الشوكاني، دار الجيل، بيروت ١٩٧٣ م.

حرف الواو

١٧٠ـ الوابل الصيب، ابن القيم، تحقيق مصطفى العدوي، الطبعة الأولى، دار الصحابة للتراث ١٤١٠ هـ.
١٧١ـ ولاية الله والطريق إليها، إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

حرف الهاء

١٧٢ـ هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤ م.
١٧٣ـ هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ماجد الكيلاني، الطبعة الأولى، الدار السعودية للنشر، جدة ١٤٠٥ هـ.

٦ـ فهرس الموضوعات